

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

العملية اللغوية بين القاعدة والذاكرة
دراسة تركيبية في كتاب سيبويه

إعداد الطالب:

مأمون" علي حيدر" الحباشنة

إشراف الأستاذ الدكتور:

يحيى العبابنة

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة
2007

الإهداء

إلى روح والدي ... التي تطلّ من شرفة السماء مع إشراقه كل صباح لتبعث في نفسي الأمل و الحب للحياة.

إلى النبع الذي يتدّفق في أ وصالي ودفئاً ويُعطّر كلماتي حباً وشوقاً إلى والدتي الحبيبة .

إلى أخوي الذين حملوا سلاح العلم مدافعين عن كلمات والد ي التي يتردد صداها في أعماقنا.

إلى كلِّ الذين أحبوني وأحببتهم وتذوقوا طعم كلماتي.

إلى

أولَئكَ الذّين يَغفون على حُلم الرّغيفِ ولَمْ يَجِدوا حتى خَيَالاً مِنْه في الإغفْاءِ

كل ذلك أضعه سواراً في معصم خطيبتي الغالية "منار":

مأمون الحباشنة

الشكر والتقدير

أقدم خالص شكري و تقديري إلى أستاذي و معلمي الأستاذ يحيى عبابنة على جهوده التي قدّمها لتكون هذه الدراسة بمستوى البحث العلمي ، فلطالما كان المنار العلّميــة التي تنير أمامنا كل سُبل الجدّ و الاجتهاد .

كما وأقدم جزيل الشكر للجنة المناقشة التي قدمت للبحث مجموعة من الملاحظـات كي يرتقي هذا البحث إلى مستوى الفائدة العلميّة المطلوبة .

و أخيراً أتوجه بالشُكر إلى الأصابع التي كان لها بصمتها على هذا العمل .

مأمون الحباشنة

فهرس المحتويات

المحتوى الصفحة
الإهداء..أ
الشكر و التقدير ....ب
فهرس المحتويات ....ج
الملخص باللغة العربية ....و
الملخص باللغة الإنجليزية ....ح
المقدمة 1

الفصل الأول : الإسناد الاسمي 5
1.1 التمهيد...5
2.1 الإسناد الاسمي 19
1.2.1 المبتدأ والخبر 25
2.2.1 كان وأخواتها 32
3.2.1 إنّ وأخواتها...40
4.2.1 ما الحجازية 46

الفصل الثاني: الإسناد الفعلي 50
1.2 المفاعيل...50
1.1.2 المفعول به 50
2.1.2 المفعول فيه "الظرف"...64
3.1.2 المفعول المطلق..67
4.1.2 المفعول معه 70
2.2 المحمول على المفعول به 73
1.2.2 الاختصاص...73
2.2.2 المدح و التعظيم..76

3.2.2 الشتم..77
4.2.2 الإغراء والتحذير..............................78
5.2.2 الاشتغال.......................................80
3.2 المشبه بالمفعول 83
1.3.2 الحال..83
2.3.2 التمييز..86

الفصل الثالث : التوابع...................................90
1.3العطف..90
2.3 البدل..96
3.3 النعت..98

الفصل الرابع: المجروران..................................106
1.4 المجرور بحرف الجر.....................................106
2.4 المجرور على الجوار....................................109

الفصل الخامس: حروف المعاني و الضمائر....................112
1.5 حروف المعاني...112
1.1.5 ألف الاستفهام.....................................112
2.1.5 إنّ وأنّ 115
3.1.5 إنْ...120
4.1.5 أنْ...121
5.1.5 الواو...123
6.1.5 الفاء...126
7.1.5 أو..127
8.1.5 أم..129

9.1.5 أي......................................132
10.1.5 إذا 134
11.1.5 إذن 136
12.1.5 مَنْ......................................138
13.1.5 لام الأمر 139
2.5 الضمائر.......................................141
الخاتمة 150
المصادر و المراجع 152

المُلخّص

العملية اللغوية بين القاعدة و الذاكرة

دراسة تركيبية في كتاب سيبويه

مأمون " علي حيدر " الحباشنة

جامعة مؤتة ، 2007

تَهْدف هذه الدِراسة إلى استقصاء مَدَى وعي سيبويه بالـ نظام اللغـوي الـذي يحتوي الذاكرة اللغوية المعتمدة على الاستدعاء وأنّ اللغـة لا يمكـن أنْ نُخْـضعها للنظام اللغوي العام المجرّد، وأنّ الأداءات اللغوية التي يُصدرها ابن اللغة قد تخضع لاختبارات أخرى غير قابلة للتقعيد، و استعمالها يقوم على الاستدعاء من الـذاكرة اللغوية التي تختزن جميع الأنماط اللغوية و ليس على الإبداع .

فَقَد كانَتْ دراسة اللغة تَنْطلق من النظر إلى القاعدة النحوية على أنها تشتمل تتعامل عناصر العملية اللغوية، ولكِنْ هناك أنماط لغوية لا يمكن للقاعدة أنْ تتعامـل معها ضمن معايير المستوى التقعيدي فلا بُدَّ من جعل القاعدة النحوية أكثر مُرونـة في التعامل مع مِثْل هذه الأنماط .

Abstract

The linguistic process between structure an amemory
Structure study of Sebawaih's book

Ma'mon "Ali Haidar" Al-Habashneh
Mu'tah University-2007

This study has investigated the degree of sebawaih's awareness of language system which includes linguistic competence depending upon checking. It indicates that language cannot be subject to the abstract general linguistic system and the linguistic performance produced by the native speaker may be subject to other. Non-structural, tests its use depends on checking from the competence, which stores all linguistic patterns, and not human creativity.

Language study used to start concern with syntactic structure which includes all the elements of linguistic process. However, there are a number of linguistic patterns handly accounted for by structure within the standards of structural framework. There for, syntactic structure has to be more flexible in accounting for such patterns.

المقدمة

الحمدُ لله الذي ثبتنا على هذا الدّين وبعث فينا النبي الأمين, والثناء على الذي أكرمنا بنعمة اللّسان والعقل وميّزنا عن سائر مخلوقاته بالعلم والمعرفة وجعلنا شعوباً وقبائل موسومة بالمحبّة والإخاء عاملين على نشر رسائل جميع الرسل والأنبياء التي قوامها المحبّة والسلام حاملين لواء العلم إلى كافّة الأمم والأجناس منذُ بزوغ شمس المعرفة.

لقد لاقى النحو العربي عناية فائقة واهتماماً بالغاً منذ أنْ وضع سيبويه أوّل حرفٍ في كتابه, مؤسساً لعلمٍ لا تشوبه شائبة و لا يخالطه شيءٌ من أمامه ولا من خلفه لذلك عُدَّ سيبويه إمام النّحاة ومعلمهم وواضع أضخم أعمال الفكر الإنساني وصانع أكبر انجاز حضاري في عصره وفي كافة العصور بعده. ولا شكَ أن تسمية" الكتاب" قد جاءت منسوبة إلى مؤلفه" كتاب سيبويه" ثُمّ أطلقوا عليه اسم" الكتاب" لختصاراً لشهرته, قال السيرافي:" وكان كتاب سيبويه لشهرته وفضله عَلَماً عند النحويين, فكان يُقَال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب, فَيُعلَم أنّه كتاب سيبويه, وقرأ نصف الكتاب ولا يُشكّ أنّه كتاب سيبويه[1].

وقد امتاز هذا الكتاب بجمع مادّته. ووضع لها منهجاً محكماً وخاصاً انفرد فيه عن مذاهب الآخرين في مصنفاتهم.

عمل سيبويه على وضع القاعدة النّحوية وإحكامها بحيث لا يتخللها القصور وإنّما تكون شاملة لجميع الأداءات اللغويّة محاولاً الوقوف على كل ما يمكنه أنْ يخرج عن القاعدة النحوية لأنّها مقدّسة وتكمن قدسيتها من قدسية القرآن الكريم وقدسية اللغة التي نزل بها القرآن, لذلك يتناول هذا البحث الجوانب التي تخرج عن القاعدة النحوية لأنّها تمثّل استعمالية وقف عندها النحّاة, محاولين إخضاعها للقاعدة النحوية التي هي أقدر على التعامل مع جميع الأداءات اللغوية. لذلك تنبّه سيبويه إلى الذاكرة اللغوية التي تختزل جميع الأنماط اللغوية. فالمستوى التقعيدي للغة هو المستوى الذي حاول سيبويه دائماً التعامل معه ضمن أنظمه قاعديّة ثابتة لا يمكن

1سيبويه, الكتاب, ج1, ص17.

تجاوزها بأي شكلٍ من الأشكال وإنّما يتم استدعاء الأنماط اللغوية التي تختزل في الذاكرة اللغوية وإخضاعها لقوانين القاعدة النحوية, فهذه النظرية تعتمد على تحليل بُنْية العبارة إلى مكوناتها المباشرة والتعامل معها ضمن الجانب الدلالي للغة, لأنّ النحو التقليدي اعتمد على عنصر المعنى في التعامل مع الأنماط اللغوية التي تخرج عن القاعدة النحوية, فالمعنى هو العنصر الرئيسي الذي يساعد القاعدة النحوية على إخضاع الأنماط اللغوية لقوانين القاعدة النحوية. وهذا يلتقي مع ما نادت به النظريات الحديثة للغة, لأنّ اللغة ضمن هذا الإطار تتكوّن من بُنْية سطحية وبُنْية عميقة, وهما وسيلتان من وسائل التعامل مع الأنماط اللغوية التي تخرج عن القاعدة النحويّة.

لذلك قمت بدراسة هذا الموضوع محاولاً إثبات أنّ العملية اللغوية لا يمكن لها أنْ تكون محكومة بقوانين تندرج تحت مسمى المستوى التقعيدي للغة, وهل تشتمل القاعدة النحوية في كتاب سيبويه على جميع محاور العملية اللغوية؟ وهل كان سيبويه على وعي كامل بالنّظام اللغوي الذي يحتوي على قواعد الذاكرة اللغويّة المعتمدة على الاستدعاء؟.

كتاب سيبويه هو أحد أهم الآثار النحويّة في اللغة العربية وقد تعرّض لدراسات كثيرة تحليلية وتركيبية ومنهجيّه, وكانت هذه الدراسات تنطلق من النظر إلى القاعدة النحوية على أنّها تشتمل على جميع عناصر العملية اللغويّة, حتى الدراسات التي حاولت أن تلتمس النظريات اللغوية الحديثة كالنظرية التركيبية والتحويلية, ووجهات النظر التاريخية المقارنة بل أنّ بعضها قد حاول أنْ يرسم ملامح هذه النظريات ووجودها في الكتاب. غيرَ أنّ هذه الدراسات التي انطلقت من هذه النظريات لم تخرج عنها, وقد رأينا إنّ هذه النظريات تتعرض باستمرار للتّعديل والإلغاء والنقد الحادّ حتى من أصحابها. وقد برز في علم اللغة الحديث اتجاه يقسّم العمليات إلى المحاور اللغوية الحديثة

أولاً ما يشتمل عليه النّظام اللغوي المجرّد من القواعد.

ثانياً ما تشتمل عليه الذاكرة العامّة لأبناء اللغة.

ثالثاً ما يخضع للذاكرة اللغوية, ويقُسم إلى قسمين ما تلفظه اللغة وهو الأكثر, وما تقبله اللغة بفعل قوانين التطوّر اللغوي وهو قليل, لذلك قامت هذه الدراسة بالتماس المحاور الثلاثة في كتاب سيبويه, مُثْبِتة أنّ اللغة أوسع من أنْ نخضعها للنظام اللغوي العام المجرد الذي يختزن القواعد اللغوية العامة, وأنّ الأداءات اللغوية الصادرة عن الإنسان ليست خاضعة لهذا النظام برمتها بل قد تخضع لاختبارات أخرى غير قابلة للتقعيد, واستعمالها يقوم على الاستدعاء وليس الإبداع.

غير أنّ صعوبة الحصول على الأطر النظرية كانت هي العائق أمام هذه الدراسة لأنّ الاعتماد كان على كتب بــ" لغاتٍ" غير عربية, ولا يوجد دراسات بهذا المضمون أجريت على كتاب سيبويه, غير أنّه قد صدر حديثاً كتاب" عنف اللغة" "لجان جاك لوسركل" ترجمة " محمد بدوي" صدر عن المنظمة العربية للترجمة والنشر عام2005 يتحدث عن قضايا تتعلّق بالذاكرة اللغوية وعدم خضوعها للنظام اللغوي العام المجرّد بصورة نظرية مع أمثلة من اللغة الانجليزية, فهو يتحدث عن النظرية اللغوية في صورتها العالمية.

لقد قسمت هذا البحث إلى سبعة فصول:

في الفصل الأول مهّدت لهذه النظرية وتحدثت فيها عن الذاكرة اللغوية والقاعدة النحوية, وذكرت أنّ الذاكرة اللغوية قادرة على اختزال جميع الأنماط اللغوية أمّا القاعدة الثانية فهي المستوى التقعيدي الذي يتعامل مع الأنماط اللغوية التي تكون محكومة بقوانين وأنظمة لغوية ثابتة.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن الإسناد الاسمي من حيث الابتداء والخبر, وكان وأخواتها وإنّ وأخواتها وما الحجازيّة, متناولاً كل الأنماط اللغوية التي تخرج عن القاعدة النحوية بدراسة تحليلية وفق المستوى التركيبي لبُنْية العبارة. أمّا الفصل الثالث فقد تناولت فيه الإسناد الفعلي" المفعول به و المفعول معه والمفعول فيه والمفعول المطلق" والمحمول على المفعول كـــ" الإغراء والتحذير والاختصاص والمدح والشتم" والمشبه بالمفعول به" الحال والتمييز" فقد تناولت جميع الأنماط اللغوية التي تخرج عن القاعدة النحوية بدراسة تحليلية تركيبية مثبتاً أنّ الذاكرة اللغوية قادرة على اختزال جميع الأنماط اللغوية.

وفي الفصل الرابع درست التوابع" العطف والبدل والنعت" أمّا التوكيد فلم أجد أنماطاً لغوية تخضع لذاكرة اللغوية يمكن دراستها دراسة تحليلية.

أمّا الفصل الخامس فتحدثت فيه عن المجرورات" المجرور بحرف الجر والمجرور على الجوار".

وفي الفصل السادس تحدثت عن حروف المعاني متناولاً كل الحروف التي تمثل أنماطاً لغوية خارجة عن القاعدة النحوية مع العلم أنّ بعض هذه الحروف لا تمثل أنماطها اللغوية خرقاً للقاعدة النحوية.

وفي الفصل السابع تحدثت عن الضمائر من حيث الاتصال والانفصال ومن حيث النصب والرفع والجرّ مطبقاً هذه النظرية على الضمائر بدراسة تحليلية تركيبية لجميع الأداءات التي تنطلق من الذاكرة اللغوية التي تختزل جميع الأنماط اللغوية.

وقد اتبعت منهجية ثابتة في هذا البحث تقوم على دراسة الأنماط اللغوية في كتاب سيبويه دراسة تحليلية وفق قوانين القاعدة النحوية والوقوف على كل ما يمكنه أن يخرج عن القاعدة النحوية لإثبات أنّ العملية اللغوية أوسع من أنْ نخضعها للنظام اللغوي العام المجرد. وأنّ الذاكرة اللغوية تستطيع أنْ تتعامل مع كافة الأنماط لأنّها تعتمد على الاستدعاء.

الفصل الأول

الإسناد الاسمي

1.1التمهيد

لَقَدْ تشكّلتْ النظريّة النّحويّة عِنْدَ علماءِ اللّغةِ القدماء وفِق معطياتٍ قائمةٍ على جمع المادة اللّغويّة وقولبتها ضمن إطار لا يكاد يَخْرُج عن النَّزعة السائدة للغة بمستواها التقعيدي؛ لذلك كانت نظرتهم إلى النحو العربي نظرة الكلِّ المتجانِسِ الذي لا يمكن خرقه, ولا يُمْكن الذّود عند دراسةِ أي حقل مِن حقولْ اللّغة.[1]

حاول سيبويه الربط بين كلِّ تِلك المفاهيم السائدة للنحو, باعتبار أنَّ اللّغة خلاّقةٌ وقادرةٌ على الإبداع في شتىّ الاتجاهات الفكرية واللّغويّة. يقول الدكتور كمال بشر[2]:" لقد كانت دراسة اللّغة تدور في مبدأ الأمر على تلقي النصوص من أفواه الرواة, ومشافهة الأعراب وفصحاء الحاضرة, فكان ثمّة مجال للاستقراء واستنباط القاعدة من تقصي سلوك المفردات والأمثلة". هذا الأمر دفعهم إلى السّيرِ باتجاه إحكام النحو ضمن قاعدة ثابتة مغلقة الأقطاب لا يُمْكن خَرْقها أو اختراقها إلا بقوانين القبولِ والرفضِ, والتّعاطِي مع كلِّ ما يمُكْنه أنْ يقدّم النَّفْع والفائدة للّغة." لِذلك فإنّ النحو لا يقتصرُ في العرف الحَديث على البحثِ في الإعراب ومُشْكِلاتِه, كما أرادَ له بعضُ المتأخِّرينَ من النحاة العَرب, وإنّما عليه كذلك أنْ يأخذَ في الحُسْبان أشياء أخرى, كالموقعيّة والارتباط الداخلي بين الوَحْدات المكوّنَة للجُمْلة أو العِبارةِ, وما إلى ذلك من مسائلِ لها عَلاقةٌ بنظم الكلامِ وتَأليفه"[3].

لذلك, فإنّنا نُلاحظُ أنّ دراسةَ النَّحو القَديم أَخَذَتْ منحنىً ثابتاً ومستقراً عِنْد جميع النّحاة العَرب, يسيرِ باتّجاه العَلاقَاتِ الواحدةِ ضِمْن الجُمْلة المَنْطوق بهَا بإطارها السّطحي" الأفقي". وهذا يَقُودُ إلى أَنّ أسلوبَهُم في الدِّراسة كان يَقُوم على تمازج ألوانٍ كثيرةٍ من طُرق البَحْث تَقُودُهم إلى ضعفٍ في الوصول إلى الهدف الحقيقي.

---

1 انظر,السيوطي, الاقتراح في علم أصول النحو, ص34.

2بشر كمال, دراسات في علم اللّغة, ص 11.

3حسان تمام, اللّغة بين المعيارية والو صفية, ص3.

إنَّ المَسَارات اللّغويّة تَسير بخطٍ ثابتٍ ومتجانسٍ, لا يُمْكن خَرْقه, وهذا الأمرُ تَنبَّه له علماءُ اللّغةِ القُدماء أثناءَ تناولِهم الجَوانبَ المتعدِّدة للّغة, وفْقَ المَسَارات والمُسْتويات المتعارف عليها؛ فدراسةُ النّحو والصّرْف والصّوت والدّلالة تحتاج إلى شيءٍ من التّوجيه؛ لأنّ القواعد الشّموليةِ التي تَحْتوي جميعَ هذه العناصر بدأت تميل إلى شيءٍ من عَدَم الاسْتقْرار في ضوءِ النّظريات الحَديثة؛ فقوانينُ اللُّغةِ تتغيّرُ, والعلاقةُ بَيْنَ الظّاهِرِ والباطنِ علاقةٌ غيرُ مستقرةٍ, والتواصلُ بين الفكرِ والتّفكيرِ بدأ يميلُ إلى جوانبِ مدلوليهِ مرتبطةٍ بشيءٍ من الواقعيةِ التي تنعكس على الأنّماط اللّغويّة المُسْتَعملة, وعلى الأدوات المستوحاة من المَوْروثات الفكريّة التي بدأت تَميل إلى شيءٍ من عدم التوازن." لقد قَنَعَتْ الدّراسَات النّحويّة التقليدية بالوقوفِ عِنْد حُدود الجزئيات, ولَمْ تفكّر يوماً في تجاوزِها إلى الكليّات, أي وصف القوانين العامّة والآليات المسيِّرة للغة. فالانطباع الذي يَخْرُج به الدّارس من كتب النّحو التقليدية, هو أنّ النحو مَعْنيّ بالإعراب الذي لا يزيدُ عن كونِه وسيلة آليّة لتفتيت الجُمَل إلى أجزائها."[1]

إنّ هذا يَقُودُنا إلى إعادَة النّظرِ في كلِّ الأمورِ التي يمكن لها أنْ تَصُبَّ باتجاه تَنْشيط العوامل النّحويّة القادرة على التّماهي في اللّغة, وتوجيه النظريات الحديثة وتطبيقُها ضِمْن مَفاهيم علوم اللّغةِ الحديثةِ, فالقديم المَوْرُوث المَحْكُوم بالقاعدة يَحْتاج إلى التزاوج مع الجديد المَنُوطِ بالفكرِ, لتوليد علمٍ فكريّ يحمل سمةَ الأصالة والحداثة بنظريّاتِها المتقاربة.

التُراثُ النّحوي الذي تركَهُ أسلافُنا, هو علمٌ نفيسٌ, وجهدٌ فريد, وقيمتهٌ لا تضاهيها قيمةٌ أخرى." إنّ النّحو وَسيلة المستعرِبِ, وسلاحَ اللّغوي, وعِمَاد البلاغيّ, وأداة المشرِّع والمجتهد".[2]

لقد تنبَّه علماءُ النحو العربي إلى ضرورة التّعاملِ مع المادةِ اللّغويّة المُتَاحة بكافّةِ أَبْعَادها, وهذا ما دَفَعَهُم إلى الربْط بين كلِّ العلوم وبوتقتها في مضمونٍ واحد مُتَجانسِ الأبعادِ, فاللّغة كانت الهاجِس الحقيقيّ والهمُّ الوحيدَ الذي دَفَعَهُم إلى التّعامل

1 الشايب فوزي, محاضرات في اللسانيات, ص 337.

2 حسن عباس, النحو الوافي,ج1 ص12.

مع مَقاييس الخطأ والصَّواب, والوقوف عليها ما أمْكَن, لذلك حَاولَ النُّحاةُ توخّي الدقّةَ والضّبط في كيفيةِ التعامل مع الأدوات اللّغويّة, والقوالب النّحويّة التّصريفية ونَسْجها نَسْجاً فُنولوجياً.

فقد تنبّه الجُرجَاني لهذه الظّاهرة إذْ قال:" إلاّ أنَّك لنْ تَرى على ذَلِكَ نَوْعاً مِن العلمِ قد لَقِي من الضَّيْم ما لَقيهُ, ومُني مِن الحَيْفِ ما مُني بِهِ, ودَخل على الناس من الغَلْطِ في مَعْناه ما دَخَل عليهِم فيه, فقد دَخلَت إلى نفوسهِم اعتقاداتٌ فاسدةٌ, وظنونٌ رديّةَ, وركبهم فيه جهلٌ عظيمٌ". [1]

فَلعَلّ هذا دليلٌ على أنّ العِلْم لا بدّ أن يخالِطَهُ شيءٌ من الغَلْطِ واللُّبس وعدم الدقّة فيه, لذلك جَاءَت النّظريات اللّغويّة الحديثة تُمَنْهج العمل العلمي وتُمْضيه باتجاهه ما أمكن, وخصوصاً أنّ الاتجاه المعياري هو الاتجاه الذّي سَارَ عليه النّحو العربيّ, فالمعياريّة مبنيةٌ على أساسِ فكرةٍ تقليديّةٍ مشهورةٍ تمثّلها العبارة الآتية:" اللّغة هي ما يَجِبُ أنْ يتكلّمه النّاس, وليسَ ما يتكلّمه النّاس بالفعل". [2]

وبهذا يتّضح لنا أنّ النّحو العربيّ بُني على أساسٍ وصفيٍّ قائمٍ على دراسةِ المادّة اللّغويّة ومسحها مَسْحاً دقيقاً, وبعد ذلك يتّجه نحو المعياريّة التي تقومُ على الدّراسة الوصفيّة للظّاهرة اللّغويّة بتحليلاتِها المنطقية العقلية الواضحة.

فالدّراسة المعياريّة هي نتاج استقراءٍ شاملٍ للدراسة الوَصْفية, لأنّ النّحو العربي ولد ونشأ تعليمياً, فهذه السِّمة هي الطابع الأساسي الذي غَلَبَ على مسيرة هذا العلم, بحيثُ أنَّه لا يستطيع الخروج منه.

وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى أنّ الّدرسَ النّحوي القديم قد اعْتَمَد على لغةِ الكلام الحقيقيّ بتمثيلاته الواقعية, [3] مُنْسجماً مع المعرفةِ العميقة للّغة المكتوبة وهذا ما يستَنِد عليه الدّرس اللّغوي الحديث, لأنّ النظريات الحديثة تعالج اللّغة بمفاهيمها التركيبيّة والإشاريّة بلغةٍ ذات مدلولاتٍ وجوديةٍ قائمةٍ على التجديدِ والابتكارِ.

---

1 الجرجاني, دلائل الإعجاز, ص5.

2 بشر كمال, دراسة في علم اللّغة, ص55.

3 انظر, خليل حلمي, العربية وعلم اللّغة البنيوي, ص146-147.

إنّ دراسة اللّغة بكافة مستوياتها لا تقف عند حدودِ الظّاهرة اللّغويّة وإنّما تتجاوز ذلك إلى التّمحور في كافة معطياتِها ومستوياتِها, لِذلك فإنّ قاعديّة اللّغة لا تَرْتبط بتنظيمٍ محددٍ أو بمسارٍ توافقي معين, بل تتجاوزه إلى دراسةٍ عميقةٍ تأصليةٍ تتبع منهجية ثابتة لتحقيق التوازن." إنَّ التوازي المُمْكِن في النظريّة القاعديّة التّوليديّة للغة بين التّنْظيم الوّصْفي لبعض القواعد الفُنولوجيّة, والتعاقُب التاريخي للتغيّرات الصّوتية الفعليّة, لم يَكُن هو الدّافعُ الوحيد وراء المواصلة النشيطة لعلم اللّغة التاريخي في الوقت الحاضر".[1]

وبهذا فإنّ اللّغة تتشكلُ وفقَ مَنْهجية ثابتة لا تَتَغيّر, ولا تَخْرج عنْها إلاّ لتتصَهر ضِمْنَ الإطار العام للّغة بكافة مستوياتِها وأشكالِها.

فاللّغةُ هي النتاج الحقيقي الذي يُمْكن بواسطته الخروج من التداوليّةِ الفكريّة العامة المبنية على قاعدةٍ من العلاقات التسلسلية, وهذا ما يَضْمن للظواهر اللّغويّة الانزلاق تحت ما نسميه باللّغة العالميّة, خروجاً بها عن المألُوف ووصولاً بها إلى إشكاليةٍ أكثر تعقيداً وهي إشكالية اللّغة المُمَنطقة التي تَنْدرج تحت مُسْمّى المَفْهوم الذهني للغة.

لقد بُنيت اللّغة على جُمْلة من العلاقات التسلسلية التي لا يُمْكن الفَصْل بين أجزائِها, فهي كلٌّ متكاملٌ من حَيْثُ الرّسم الدلالي والصّورة الذّهنية؛ فلا يُمْكن الوصول إلى الرسم الدّلالي إلاّ بتجذير الصورة الذهنيّة, وهذا التجذير يمرُّ بالعديد من العمليات الوقائية البالغة التعقيد, لتضمن للغة الخروج من التيه, وهذا ما دعا إليه رايل فيقول[2]:" إنّ مَفهُومَ منطق اللّغة قائمٌ على توضيح المفاهِيم واسْتِخْدام التّعْبيرات".

أمّا دافيد كرستل[3] فيرى أنّ المنطق والتعقيد مستويان يروق للناس الجدل حولَهما عندما يتكلمون على طبيعة اللّغة, ويضاف إلى ذلك مقياس آخر هو المقياس الجمالي".

---

1 وليم روبنز, موجز في تاريخ علم اللغة في الغرب, ص363.

2محمود رشوان, دراسات في فلسفة اللّغة, ص148.

3 كرستل دافيد, التعريف بعلم اللّغة العام, ص53.

هذا المِقْياس هو الذي يُمثل الثالوث الإبداعي للّغة" الأصوات والتراكيب والدلالة". وعلى ذلك لا يوجد لغة أكثرُ منطقيّة من لغةٍ أُخْرى ولا أكْثر تَعْقيداً من لُغةٍ أُخْرى. ولا أكثر جدلية من لغة أخرى, ولكنّ مِيزان التّفاضل بَيْن اللّغات– بعيداً عن المنطق– هو بساطةُ التّراكيبِ وبُعْد اللّغة عن الاستعمالات الحوشيّة والمعقّدة, ومَدَى الانسجام بين مستويات اللّغة التركيبيّة والدلاليّة والصرفيّة والصوتيّة. وبذلك فإن اللّغة هي نظامٌ بالغ الدقّة ومَضْبُوط بآليةٍ لا يمكن أنْ نُغْفل أيَّ جزءٍ منها ولو كان بسيطاً.

لذلك نُلاحظ أنّ علماءَ اللّغةِ المحدثين قَدْ قسّموا اللّغة وفقَ مراحل منسجمة لا يمكن لنظام التطاول على الآخر إلاّ شذوذاً, لوصول الصّورة النهائيّة للتركيب وإنتاج الجملة بصورتِها النهائيّة خاضعة لميزان التوافق التسلسلي.[1]

المرحلة الأولى هي الذّاكرة اللّغويّة:

إنّ قُدْرة التّعامل مع الإدراك اللّغوي ورذُود الأفعال الخاصّة والعامّة للفرد هو ما يَسْتَوجب أنماطاً لغوية مستمدّة من الآخرين من خلال اداءاتِهم اللّغويّة, أو سُلوكِهِم الفكري بشكل غير مباشر. فقابليّة اللُغة للتعامل مع الأنّماط هي ما تجعل اللّغة قادرةً على الصّياغة الصّحيحة وغير الصّحيحة وتمثُّل الفروق الدلالية بين الصّيَغ والتّراكيب داخل الجُمْلة الواحدة.

فالذّاكرة اللّغويّة هي النّشاط الذهنيّ الذي يَسْتطيع فيه الفرد اختزالَ العَديد من الأنّماط اللّغويّة والأداءات المُكْتسبة دلالياً أو سُلوكياً أو وظيفياً ثم يُعاد تَرْتيبها ضِمْن أنشطةٍ سياقيّة ذات تراكيب تحمل العشوائيّة تارَةً والعبثيّة اللّغويّة أخرى.

فالسّلوكيّون يعدون أنّ اللّغة تُكتسب نتيجة رُدَود أفعال لغوية أو سلوكيّة قائمة على المحاكاة والتحاور مع الأنّماط[2] السلوكية العشوائية. ويعد علم النفس السلوكي" أنّ اللّغة كناية عن مجموعةِ عاداتٍ صوتية تكيّفها مثيرات البيئة فلا تتعدى كَوْنَها شكلاً من أشكال المثير, فلا استجابة للمثير".

1موور تيرنيس وكرستين كارلنغ, فهم اللّغة نحو علم لغة لما بعد مرحلة تشو مسكي, ص169.

2 الراجحي عبده, النحو العربي والدرس الحديث, ص144.

أمّا العقليّون فينظرون إلى أنّ المخَّ الإنساني مزودٌ بجهاز فطريّ قادرٌ على امتصاص المعلومات العشوائية وردود الأفعال التي يتزود بها من باقي الأعضاء الحسيّة الأُخرى, ومن ثم تَخْزينها والشّعور بها, وعلى ذلك فإنَّهم يَنْظرون لتعلّم اللّغة:" العمليّة التي يَقُوم بها مخّ الطفلِ نحو التجربة العشوائية للكلام الذي يواجهه الطفل سواء أكان موجّهاً إليه أو منطوقاً في حُضُورِه, ويتمّ هذا من خلال نظام محدّد بإحكامٍ, من خلاله يجب إدخال المعلومات وتخزينها وفَهْمها".[1]

أمّا وظيفة اللّغة من هذا الجانب فإنّها تَتَمثل في كونِها وسيلة اتصالٍ فقط بين أبناء الجنسِ الواحد, لتضمن نوعاً من الانسجام اللّغوي القائم على أداء تفكيري واحد مختزل في العقل توظفّه أنماط فسيولوجيّة مُشْتركة ضِمْن إطار واحد, وبهذا يقول دافيد كرستل:" أنّ اللّغة كَوْنها وسيلة اتصال أنّها تقوم أساساً بنقل المعلومات بطريقة ما, أي أنَّها رسالةٌ بين مرسل ومستقبل".[2]

ولكنَّ اللّغة إذا خُصّصت ضِمْن هذا المجال للدّلالة على الاتصال بين الأجناس البشريّة فَقَطْ فإنّها تَفْقد عناصر أخرى من عناصر الاتصال التي تعتبر وسيلة مهمّة لا يمكن اجتثاثها وفَصْلها عن العمليّة اللّغويّة. فالحَركات واللّمس والصوت كلُّها وسائل أخرى للاتصال, وبذلك فإنّ العمليّةَ اللّغويّة قائمةٌ على مقوّمات أخرى لا يمكن الاستغناء عنها أو تجاهلها.

إذن فاللّغة هي ظاهرة أسلوبية كما يراها أصحابُ المثالية الجمالية فالعالم اللسانيّ هوجوشوخاردن يرى أنّ اللّغة إبداع فردي تَقُوم الجماعة بتعميمِه عن طريق التّقْليد؛ والتكوين النفسي للفرد هو العامل الحاسِم في إبداع اللّغة, فهذا التّكْوين محكوم بالظّروف الخارجيّة التي يَخْضع المرء في حياتِه لتأثيرها".[3]

أمّا أصْحَاب المدرسة التّوليديّة فينظُرون إلى اللّغة على أنَّها نشاطٌ عقلي خاص, وأنّ الإنسان مزود بجهاز ذهني لاكتساب اللّغة وهو موجودٌ في العَقْل, وهذا الجهاز قادر على تَخْزين أعداد لا متناهية من الجمل, وكذلك يستطيع إنتاج جمل لم

---

1 وليم روبنز, موجز في تاريخ علم اللغة في الغرب, ص 345.

2 كرستل دافيد, التعريف بعلم اللّغة العام, ص82.

3 ملكاإفتش, اتجاهات البحث اللساني, ص143.

يسمع بها قط, فالقُدرة أو الكفاية اللّغويّة المكتسبة فطرياً هي التي تستطيع أنْ تُنْتج الجمل اللاقاعديّة غير المسموعة. فاكتساب اللّغة عِنْد الأطفالِ وفق أصحاب هذه النظريّة قائم على المُلاحظة اللّغويّة دونَ تعلُّم مسبق, وهذا ما أكده جون ليونز في تعريفة للقدرة الإبداعية حين يقول:" وَنْعني بِها الطّاقة أو القُدرة التي تَجْعل أبْناء اللّغة الواحدة قادرين على إنتاج وفهم عدد كبير بل غير محدود من الجُمل التي لَمْ يَسْمعوها قَطٌّ ولم يَنْطق بها أحدٌ من قبل".[1]

وقد نَظَرَ أصحابُ هذا المَنْهج إلى قاعديّة اللّغة بأنّها واقِعٌ موجودٌ وليس مُكْتَسباً, فالنّظام القاعديّ مَوْجود في دِماغ الإنسان ولكنّ اللّغة هي التي تُكْتَسب, فإشكاليّة تَعلُّم اللّغة القائم على الملاحظة وردود الفعل الطبيعية هي التي تَجْعل اللّغة الأولى عِنْدَ الأطفال لغة عشوائية غير مَحْكومة بأنظمةٍ تحتية.

فعشوائية اللّغة الأولى هي الّتي تُتِيح الفرصةَ لإنتاج أعْداد غَيْر متناهية من الجُمل, ذلك يرى الفاسي الفهري:" أنّ النّحو واقعي بهذا المعنى,لأنّهُ مَوُجود في دماغ المتكلِّم, واللّغة لَيْسَت كذلك, بل تَبْدو وكأنّها ظاهرة عارضَة يُمْكن تصوّرها كما نُريد نظراً لتعدد العوامل والظواهر التي يُمكن أنْ تَدْخل في تَخْصيصِها".[2]

إنّ اللّغة في هذا المِضْمار تَكْتَسب صفة غير واعية في الفَهْم والإنتاج لذلك يستطيع النظام اللّغوي الفَصْل بينَ الجملِ التي تنتمي للغة والجمل التي لا تنتمي. لأنّ النّظام النّحوي" هو عبارة عن نَسق من الأوّليات والمُسلمات والمبادئ العامّة, وَهو بشكلٍ دقيق يعتمِد قواعد استدلالية تَجْعل من بنيه استنباطيّه مُعقّدة, وهو غني بَما يَكْفي من هذه العناصِر مجتمعة لِتمْثيل ما يُوجد من اختلافاتٍ بَيْن اللّغات وتَغْير دَاخِلِها".[3]

وهذا ما يقودُنا إلى أنّ العِنَاية بالشّكل اللّغوي أكْثر منه بقاعديّة اللّغة, لأنّ أصحابَ هذا المنهج وعلى رأسِهم فيرث قد جَرّدوا الشّكل اللّغوي من المُسْتويات

---

1 ليونز جون, نظرية تشومسكي نعوماللّغويّة, ص 57.

2 الفهري,عبدالقادر الفاسي, اللسانيات واللّغة العربية, ص46.

3 المرجع السابق, ص43.

المُعْجمية والنّحويّة, باعتبار أن اللّغة هي صُورة حسيّة وَوقعات صَوْتية مُجرّدة لا يَحْكمها نظام نَحْوي".[1]

المرحلة الثانية النظام النّحوي:

إنّ اللّغة الوَاعية تَخْضع لِنظامٍ نَحْوي يَضْمن لها تَعافيها وسلامتَها مِنْ كلٍّ مَا هو شائبٌ, لأنّ هذا النظام هو الذي يَسْتطيع أنْ يُحافظ على استمراريّة اللّغة, فَلَوْ انهار النّظام النّحوي في أيِّ لغةٍ فهو مؤشِّر على مَوْتها لا محال.

إنّ العقلَ الإنساني كما ذَكَرْنا سابقاً مزودٌ فِطْرياً بجهازٍ داخلي يَعْمل على تَنْسيق الجُمل والخُروج بها ضِمْن قاعديّة عالية وتَنْسيق سياقي مُتكامل, فاللّغة الأولى تُكتسب عِنْد الأطفال عشوائياً, ثم يَنْمو هذا الجهاز بالتّوعية والتّعليم للخُروج باللّغة الثانية. هذه اللّغة الناضجة قاعدياً ودَلالياً مُكْتَملة العوامل: الداخليّة والخارجيّة, فالنظام النّحوي كما يرى دي سوسير:" يَعْتَمد على العوامِلِ الخارجيّة للتّغير النّحوي, كما يتغيّر النظام الداخلي".[2] في حين أنّنا لا نَسْتطيع فَهْم النظام اللّغوي الداخلي مِن غير دراسة الظّواهِر الخارجيّة.

فاللّغة هي نِظام له تَرْتيب خاص يُبنى على مجموعةٍ من الأُسس كمّا يراها حسان تمام فهو مبني على طائفةٍ من المعاني النّحويّة العامّة التي يُسمُّونَها الجمل والأساليب, ومجموعة من المعاني الخاصة كالفاعليّة والمفعوليّة والإضافة... ومجموعةٍ من العَلاقات الّتي تَرْبط المعاني الخاصّة حَتّى تكون صالِحة عِنْد تركيبِها لبيان المرادُ مِنْها".[3]

لقد قام النّحو على سِلسلةٍ من العلاقات الذّهنيّة التي تَرْتبط بأسس من الوصف المَوْضوعي بَيْنَ الوحدات اللّغويّة, فيرى بلومفيلد:" أنّ السُّلوك بين الوَحَدات اللّغويّة يَتَجلّى في الإمكانات المَلْموسة للتواليف المتُبادلة في سِلْسلة الكَلام".[4]

---

1 انظر, خليل حلمي, العربية وعلم اللّغة البنيوي, ص 207.

2 سوسير فردناند, علم اللّغة العام, ص40.

3 حسان تمام, اللّغة العربية معناها ومبناها, ص178.

4 الشايب فوزي, محاضرات في اللسانيات, ص343.

ويتجلّى من خلال ذَلك أنَّ فِكْرة النّحو تَقُوم على مجموعةٍ منْ العَلاقات داخِلَ العبارات والجُمل في سيَاقاتِ المواقفِ المختلفةِ التي يَنْحَدر النِّظام تَحْتَها بعناصرِ فاعلة ومساعدة, يتأتى مِنْ خِلالها النّظام المنطوق بأجزاءه الصُّوريّة الفاعلة, ويتخلل ذلك مُقاربات للمعنى على حِسابِ المبنى. وبهذه المقاربات اعتدى فيرث على اللّغة:" حَيْثُ عَالج الوَصْف اللّغوي كلَّه باعتبارِه تَحْديداً للمعنى, وبذلك يعمد تطبيق معادلة:" المعنى هو الوظيفة في السِّياق ليُغطّي التَحْليل القاعديّ".[1]

أمّا دافيد كريستل فينظر إلى النّحو باعتباره وسيلة للتفسير النهائي لتعقيدات التركيب اللّغوي, فإذا ما نَظَرْنَا إليه تِلك النّظرة الخَلّاقة فسيصبح أكثر معنى وقيمة.[2]

يقوُدنا كلُّ ذلك إلى أنَّ النّظام النّحوي لا يَرْتَبط بالذّاكرة اللّغويّة, وإنما هو وعيٌ مستقل للغة الناضجة القادرة على تَخْزين القواعد وإنتاج عَدَد كبير من الجمل ذات القيمةِ الدلاليّة السليمَة, بالرُّغم من المُشْكلات التي تتصل بَوضْع القواعد التي تَحْكُم الاستعمالات اللّغويّة ضِمن العلاقات الإسنادية المعروفة في اللّغة. في حين أنّ النظام النّحوي قائمٌ على مجموعةٍ من العلاقاتِ الإسنادية التي تَرْتَبط بِبعضِها لتكوّنَ التَّنظْيم النّحوي؛ فالقاعدة التوليفية بين الكلماتِ تتكوّن مِنْ وحدات تركيبية لتَضْمن بناءً سليماً, لأنّ القواعد التركيبيّة للجملة هي التي تستطيع أنْ تُعْطينا صورة دلاليّة مركبة. فالوظائف النّحويّة الكامِنَة في السيّاق اللّغوي وحَدْها القادرة على تَشْكيل صور دلالية ثابتة؛ لأنّ الجانب الوظيفي للّنحو هو العكس للصورة الدلالية المباشرة المعّقدة. ومن ثم يتوفر للنحو التوليدي بنيه قاعديّة بسيطة قادرة على إعادة تَرْتيب المُكونّات لإعطاء صورة معجمية سليمة وغنية.

أمّا التحوّيليون وعلى رأسهم تشومسكي فَينظرون إلى اللّغة على أساس أنَّها مَقْدرة عَقْلية بَحْته, يستطيع المتكلّم أنّ يُنْتج عدداً من الجمل الّتي لَمْ يَسْمع بها من قبل, وتكون بِدَوْرِها هي المادة الأساسية للبحث في إنتاج الجمل. ويحدد تشومسكي اللّغة على النّحو الآتي:" من الآن فَصَاعِداً نَعْتبر أن اللّغة كناية عن مجموعةٍ متناهيةٍ

---

1 وليم روبنز, موجز في تاريخ علم اللغة في الغرب, ص 34.

2 كرستل دافيد, التعريف بعلم اللّغة العام, ص 110.

وغير متناهية من الجمل, كلُ جملة مِنْها طولها محدود, ومكونّه من مجموعة متناهية من العناصر".[1]

يشير هذا التحديد إلى أنّ النّظام الجُملي يَقْتَضي مجموعة من العَناصر المُتَتابعة لبناء الجملة. وهذا ما يُسمى بالقواعد, لذلكَ يجب أنْ تَكون هذه القواعد مُتَناسبة مع البنيّةِ التَرْكيبيّة للجملة, فتتخذ القواعِد شكلاً توليدياً يتم بواسطةِ إنتاج نظام مُحدد من القواعِد التي بطبيعتها تُنْتج عَدَداً لا متناهياً من الجمل التي تَشْتَمل عَلَيْها اللّغة الخاضِعة للنظام.

ففي هذا الإطار يُشير تشومسكي إلى ضَرُورة تقييم القواعد بأساليب تقييم, واعتماد القواعد الأكثر مُلائمة للمُعطيات اللّغويّة. ثم يُؤكّد على أنَّ القَواعِد التحويليّة هي القواعد القادرة على وَصْف اللّغة وتَفْسير مُعْطَياتها".[2]

يمكن تعميم فكرة قاعديّة اللّغة بأنّها قائمةٌ على مجموعةٍ من العناصر ذات الارتباطات السياقية في النَّص, فهي قادرة على إتاحة وصل الجمل وصلاً معقولاً عَاكِساً سلوكَ المتكلِّم الذي يَعْتَمد على مَعْرفة غير واعية للغة, وخِبْرة قائمةِ على الاعتباطية بين المتكلّم واللّغة. فهو يَسْتَطيع أن يُنْتج عَدَداً غير محدود من الجُمَل القائمة على السُلوك, وبعيدةَ عن الدلالة. فالفكرة القاعديّة للغة هي فِكْرة بعيدة كلّ البُعد عن العُنْصر الدلالي, وكلُّ من يَتَخيل ذلك فهو واهمُ. يقول تشومسكي:" إن أيَّ بحثٍ عن تعريف" للقاعديّة" يَعْتَمد على الدلالة يكون عقيماً".[3] لأنّ قُدْرَة المرءِ على إنشاء الجمل القاعديّة التي تَرْتَبط بالنظام لا تَعْتَمد على الجانب المعجمي للجملة. لذلك يرى تشومسكي:" أنّ اللّغويين بَذَلوا جُهوداً كبيرة في محاولة الإجابة عن السؤال الآتي: كيف يُمكن أنْ نَضَعَ نِظْام قواعد دُون اللّجوء إلى المعنى؟".[4]

إنّ الشّكلَ الذي تتّخذه القواعد التّوليديّة التحويليّة قائم على تَنْظيم القَوَاعد بقُدرات توليدية داخل الجملة, حيثُ يتمّ التعامل مع العناصر المكّونة للجملةِ ضِمْن

---

1 زكريا ميشال, مباحث في النظريّة الألسنية وتعلم اللغة, ص102.

2 المرجع السابق, ص108.

3 تشومسكي نعوم, البنى النّحويّة, ص20.

4 المرجع السابق, ص124.

الإطار النّحوي الفنولوجي والدلالي, فبنية جُمْلة النّواة التي تَحْتَكم لنظام قاعديّ رصين هي القادرة على التعامل مع هذه العناصر مُجْتمعة؛ لذلك فإنّ النظريّة التّوليديّة التحويليّة تنظر إلى النّحو التقليدي من زاوية ضيّقة, معبّرة عن عَجْزِهِ في التّعامل مع مُكونات هذه العملية باعتباره يَبْحث عن مقياسٍ داخل الجملة.

لقد سَعى تشومسكي إلى إقامة نظرية لغوية قائمة على الاتّجاه العقلي رافضاً كلَّ ما سعى له السّلوكيون, مُعْتبراً هذا الاتجاه الأداة النّاجِعة الّتي من خِلالها يَتم إنتاج الجمل التي لا نهاية لها.[1]

إن اللّغة خلاّقة بِطبيعتِها, أي أنّ كل مُتكلّم يَسْتطيع أنْ يَنْطق جملاً لَمْ يسبق أن نَطَقَها أحدٌ من قبل, ويستطيع أنْ يفهم جُملاً لم يُسبقْ أنْ سَمِعها من قبل, إذن فإن النظريّة النّحويّة يَنْبغي لها أن تَعْرف كيف تنتج اللّغة جملاً لا حدّ لها من عناصر صوتية محددة.[2]

هذه النظرة للغة القائمة على الاتجاه العقليّ تَفْتح الآفاق أمامَ عملية الاكتساب والتعلّم والتَعْليم للغة, وكيفية التمييز بين الجُمل القاعديّة والجُمل اللاقاعديّة فالرّكائز الأساسية التي بُنيت عليها النظريّة اللّغويّة عند تشومسكي هي القُدرة والأداء اللّغويين. فيرى تشومسكي:" أن أقوى شرط يمكن أن نَضَعه على العَلاقةِ بين نظرية ما للبنية اللّغويّة وأنظمةِ القَواعد المُعيّنة هو أنّ النّظريّة اللّغويّة لا بدّ أن تُزودَنا بطريقة عَملية ميكانيكية لبناء نظام القواعد من ذخيرة من الأقوال".[3]

وبهذا يتضح لنا أن تشومسكي قد ركز على مفهوم الكفاية اللّغويّة التي تَتَمثّل في معرفة ابن اللّغة للغته مَعْرفة واعية, فقد ميّز بين نَوْعين من الكفاية: النوع الأول: الكفاية النّحويّة التي ترتبط ببنية اللّغة والنوع الثاني: الكفاية التّداوليّة التي تَرتبط بكيفيةِ استعمال اللّغة.

---

1 موورتيرنيس وكرستين كارلفيهم ,اللّغة نحو علم لغة لما بعد مرحلة تشومسكي , ص .109

2 الراجحي عبده, النحو العربي والدرس الحديث, ص 114.

3 تشومسكي نعوم, البنى النّحويّة, ص70.

لكنّه وقَفَ على الكفاية النّحويّة التي ترتبط ببُنْيه اللّغة. وبدلاً من التَّرْكيز على سَطْح الحدث اللّغوي, أي الأداء, وهو الاسْتخدام الفعلي للغة في سياقات محدّدة ركز تشومسكي على الكفاية اللّغويّة, وهي مَعْرفة المتكلّم– السّامع للغته, وعليه فقواعدُ اللّغة عنده هي وصفُ الكفاية الحقيقيّة للمتكلمّ– السامع المثالي".[1]

انطلاقاً من الفهم الدقيق للغة عند ابن اللّغة المثالي والتّركيز على الجَانب الفِكْري للّغة, تَغْلغَل تشومسكي في تَقْسيم اللّغة الجملية إلى بُنْية عَميقة تَسْتَغْرق المَعْنى ومعبّرة عن الفِكْر الأنموذج لابن اللّغة, وبُنْية سَطْحية تَعْبيريّة تُمثّل الجَانِب التّحويلي في النّظرية.

فالبُنية السَّطحية تُمثل الجانب التحويلي للغة بقوانينهِ العقلية, أمّا البُنية العَميقة فهي تُمثّل الجَانِب التّوليدي للغة, معتمداً بذلِكَ على ظاهرة الإعراب كي تتوصل إلى مقياس أساسي لكل الجُمل النّحويّة.

ويَنْطلق من هذا الفهم أنّ جَميع الأنمْاط التّركيبيّة التي نَتكلّمها مرّت قَبْل أنْ تُصبح واقعاً استعمالياً منطوقاً بِعدد من القوانين التي تَعْمل على تغير هيئتها حتى صارت مجسّدة على صورتِها المادية النهائية المَسْموعة, أيْ أنّ اللّغة تَبْتدع شكلاً موضوعياً للتركيب اللّغوي أو النّمط اللّغوي, وهو شكل يمكن تفسيره, وقَدْ يَكون موجوداً في الواقع الفِعلي المَسْموع, أي أنّ النّمط يكون مُستعملاً وهو بُنية سَطْحيّة وفقاً لهذا, ولكن نمطاً آخر قد تحول عنه والنّمط الجديد يكون بُنية سَطْحيّة, وفي هذا الحَال يكون النّمط المتحوّل عنه بنية عميقة له".[2]

وفقاً لِمَا تقدّم فإنّ القواعد التّحويليّة قائمة في كلِّ اللّغات الإنسانية وعلى رأسِها اللّغة العربية, فنحنُ في العربيةِ لَسْنا بحاجة إلى قراءة نحو تشومسكي لنعرف أن جملة مثل: نَجَحَ زيدٌ وعمروٌ, آتية من جملتين هما: نَجَحَ زيدٌ ونَجَحَ عَمْروٌ, وأنّ أساليب الإغراء والتحذير مثل: الصّلاةَ الصّلاةَ والأسدَ الأسدَ, ناشئة عن تَحْويل قوامه حَذْف الجملة الفعلية وأنّ مثل إيّاك نعبد محولة عن" نَعْبدُك".[3]

---

1 الشايب فوزي, محاضرات في اللسانيات, ص 374.

2 عبابنة يحيى, علم اللّغة المعاصر, ص167.

3 الشايب فوزي, محاضرات في اللسانيات,ص 281.

فالعملية التّحويليّة هي العَمَلية التي تُنْتج عن الرّوابط العَميقة بين البُنية السّطحية والبنية العَميقة بمفاهيمها المتكاملة في اللغات الإنسانية, وهذا ما أدى إلى وقوع اللَّبس في عَمَلية الفَهْم الحقيقي لبنية الجُملة. فالجملة تَمرُّ بمجموعةٍ من القَوانين على كافة المُسْتويات: النّحويّة والصّرفية والصّوتية والدّلالية, للوصُول بِها إلى تَرْكيبٍ مُتَناسق يَحمل دلالة ثابتة لا تَخْرج عن إطارها العميق رغم احتوائِها على أكثر من معنى. وهذا ما يَدْفعنا إلى عدمِ التّفريق بين البُنية السّطحية والبُنْية العَميقة وحدوثُ اللّبس في كثير من الأحيان." الحَقيقة أنّ التّفريق ما بَيْنَ البُنية السّطحيةِ والبُنْية العَميقة من أهمّ الأفْكار التي جَاءَتْ بِها المدرسة التّحويليّة, فالبُنية السَّطحية المتحوّلة عن بنيةٍ عَميقة. من خلال قوانين يُطلق عَليها مُصطلح التّحويلات".[1]

وعليه فإنّ القواعد التّوليديّة هي التي تُفْتَرض وجُودياً, ومن ثُمَّ تَدْخل العناصر التَحْويليةِ والتي بطبيعتها هي امتداد تَطويري للقواعدِ التّوليديّة, فالأنّماط اللّغويّة هي التي تولّد ومن ثم تَدْخل عليها عَناصر تحويليّة تُكسبها صِفة العُمْق والسّطح.[2]

الدرس القديم والنظريات الحديثة.

على الرّغم من أنّ النّحو العَربي كانَ يُوصَفُ بأنّه نَحو معِياري تعليمي إلاّ أنّه قد تَناول مجموعة من المفاهيم إذا ما طبّقت على النّظريات الحَديثة لَوجَدْنا أنّها تَصبُّ في نفسِ الوعاءِ, فنظرية العامل التي تُمثل العِماد الأساسي في النّظريّة النّحويّة القديمة القائمة على الاتجاه العقلي للغة, ومُحاكاة للإبداع والإدراك اللّغوي, تَرْتَبط ارتباطاً عميقاً وملْموساً بالبُنْية السّطحية والبُنية العميقة اللّتين تَعْكسان ما يَجْري في عمقِ النظريّة التّحويلية من إجراءات تَسْتَند على دخول عَناصر لغويّة بإمكانها إنتاج أعْداد من الجمل القاعديّة التي تُسْهم في تَطور اللّغة. التَفَتَ سيبويه إلى هذه الظاهرة وحَاول مُعالجتَها في كتابه فيقول:" هذا بابُ المفعولِ الذي يَتَعدّاه فعلُه إلى مفعول, وذلك قولُكَ: كُسِي عَبدُ الله الثوبَ, وأعُطى عبدُ الله المالَ, رَفَعْتَ عَبْدُ الله ههنا كما رفعته في"ضَرِبَ" وحيث قلت:" ضُرب عبدُ الله" وشَغَلْتَ به كُسي

---

1 عبابنة يحيى, علم اللّغة المعاصر, ص 92.

2 انظر, زكريا ميشال, مباحث في النظريّة الألسنية وتعلم اللّغة, ص104.

وأعْطَي كما شَغَلْتَ به ضَرُبَ, وانتصب" الثوبَ"و" المالَ" لأنّهُما مفعولان تَعدّى إليهما فعلُ مفعولٍ هو بِمنزلة الفاعل".[1]

فالنّظريّة الحديثة تَذْهبُ إلى أنّ دخول العناصر التّحويلية على الجُملة أعطاها شكلاً آخر, وغيّر حركة المفعول بِه, فهذا التحويل في البُنية العميقة أكسَبَ الجملة مَعْنى آخر. هذه الزيادة في التركيب قَدْ غيّبَتْ الفاعل عن سَطْحِ الجملة.[2]

لقد شَكّل سيبويه وعياً متكاملاً بِهذه النّظريّة وقَدّم مجموعةً من الإشارات التي تَنُمّ عن إدراكه بالمَفاهيم الأسَاسية التي بُنْيت عليها النّظريات الحديثة, فَقَدْ عَالَج أيْضاً موضوع التَقديم والتأخير والحَذْف الذّي يُمثّل أهم العوامل التي بُنِيَتْ عَليها النَّظريّة التّوليديّة التحويليّة, فالنظام النّحوي يَقْتَضي أنْ تَكون الجُملة وفق علاقة إسنادية ثابتَة من حيثُ الابتداء والخبر وما يَليهُما من فَضْلات أو فعلٍ أو فاعل ومفعول به, فجاءت النَظريّة الحَديثة تُعالج هذه الظاهرة من بابِ أنّ القُدرة اللّغويّة تُتيحُ لابن اللُّغة أن ينتج عدداً لامتناهياً من الجُمل غير المحكومة بالنّظام القاعديّ, إلى أنْ يَكْتَمل هذا النظام نُضوجاً ثُمّ يعُيد هذا النّظام تَرْتيب الجُمل قاعديّاً, وتَرْك كُلّ ما يُمكن أنْ يَخْرج عن القاعدة النّحويّة.[3]

لذلك نُلاحظ أنّ سيبويه قَدْ شَكّلَ وَعْياً بِهَذه القَضيّة ووَقَفَ عِنْدَها طويلاً مُحَاولة مِنْه بِعَدَمْ الوقوف على كلٍّ ما يُمكنه أن يَخْرج عن القاعدة النّحويّة, ولكنَّه فَكَّر مُطَوّلاً بَهذِه القَضيّة لأنّ النّحو اعْتَمدَ على الحُجّة والدّليل ومَنْطُوق العَرب والشّعر والحَديث والقرآن, فلا سَبيل إلاّ للتعامل مع هذه الأوجُه بِكلٍّ مَوْضُوعيّة وَعِلْميّة.[4]

فَيقَول في حذف الفعْل في غير الأمر والنهي:" هذا بابُ ما يُضمر فيه الفعْل المُسْتعمل إظهاره في غيرِ الأمرِ والنّهي, وذلك قولُكَ إذا رأيتَ رجلاً متوجِّهاً وجهة الحاجِّ قاصداً في هيئته الحاجِّ فقلت: مَكّةَ ورَبِّ الكَعْبةِ حيثُ زَكِنْتَ أنّه يريد: مكّةَ, كأنَّك قُلْتَ:يريدُ مكّةَ واللهِ" ويَجُوز أنْ تقول: مكّةَ واللهِ, وعلى قولِكَ: أراد مكّةَ واللهِ,

---

1 سيبويه, الكتاب, ج1, ص69.

2 موور تيرنيس وكرستين كارلنغ, فهم اللّغة, ص116.

3 انظر, زكريا ميشال, مباحث في النظريّة الألسنية, ص107/108.

4 خليل حلمي, العربية وعلم اللّغة البنيوي, ص179.

كأنَّك أخْبَرت بهذه الصّفة عنه أنّه كان فيها أمسِ فقلتَ: مكّةَ واللهِ. أي أراد مكّةَ إذ ذاك".[1]

هكذا نَجِدُ أنّ سيبويه قَدْ حَاول أن يُعالج ظاهرة الحذف ونَصْب الاسم في الابتداء لفعلٍ محذوفٍ بتقدير هذا الفعل من خلال الفَهْم العام لسياق الكلام بصُورةٍ قائمةٍ على التَقْدير العقلي والتَحْليل المنطقي للكلام, ومِنْ هذا المَنْظُور عَالَجَتْ النظريّة التّوليديّة هذا المفهوم من مُنْطَلَق الفَهْمِ العقلي الدَّقيق لتحليلِ البُنْية العَميقة والسّطحية والتّعامل مع الذّاكرة في تَطْبيق قوانين القاعدة النّحويّة.[2]

2.1 الإسناد الاسمي

يتحدث هذا الفصل عن قضايا الإسناد الاسمي في كتاب سيبويه. فقد درس سيبويه الإسناد الاسمي وأحواله وإجرائه على ما قبله في بناء الأوقات والأمّاكن على المبتدأ. وتطبيق هذه القضايا على النظريات الحديثة للغة وفق المقولات التي تشير إلى الوعي الذي شكّله سيبويه بقضية الذّاكرة اللّغويّة في دراسة النحو العربي بمستواه التقعيدي. وفيه حديثٌ عن:

1. المبتدأ والخبر.
2. كان وأخواتها.
3. إنّ وأخواتها.
4. ما الحجازيّة.

امتازَ الدّرسُ اللّغوي القديم باتّباع أسَاليب الدّقة والحَصْر في التّعامل مع الظوّاهر اللّغويّة, وهذه السّمة هي ما جعلت هذا الدّرس قادراً على التّعامل مع كلِّ القَضايا المُختصّة بعلاج القُدرات الكَلَاميّة من جهةٍ وعدم الالتفات إلى الجوانبِ التّطْبيقيّة من جهةٍ أخرى. قال ابن عصفور[3]" إنّ النّحو عِلمٌ مُسْتخرج بالمقاييس المُسْتنبطة من استقراءِ كلام العرب الموصلة إلى معرفة أجزائهِ التي ائتلف منها".

---

1 سيبويه, الكتاب,ج1,ص340.

2 خليل حلمي, العربية وعلم اللّغة البنيوي, ص213.

3 السيوطي, الاقتراح في علم أصول النحو, ص15.

هذا يَقودنا إلى القول: إنّ النّحو هو علمٌ قائمٌ على السَّماع والقياس, فهاتان السِّمتان هما العماد الرئيس في العمليّة النّحويّة.[1] ولكن الأكْثر أهميّة في هذا الدّرس هي المَقْدرة العامة على الرّبطِ بين المكونات الرئيسيّة التي تَنْدرج تَحْتها العناصر الأوليّة للجملة؛ لأنّ العامل الذي تُبْنى عليه الجُمْلة أقوى ما يكون مُرْتبطاً بعلاقة إسنادية قادرة على التمازج مع جميع المُكوّنات الأساسية للجملة, سَواء أكانت اسمية أم فِعْلية" فإنّها تُكْسبها صفات نَحْوية أخرى تعمل على زيادة الخط الأفقي للجملة برَوابط علمية تجعل القاعدة النّحويّة أكْثر مُرُونة في التّعامل مع المؤثرات الشكلية التي بطبيعتها تَسْعى إلى صبغ النحو العربي بصبغة التّوليد.

لابدّ لَنَا قبل الدخول في تحليل بُنْية النّحو العربيّ وتَطْبيقه على النّظريّة التّوليديّة من الإشارة إلى أنّ النّحو برمّته هو نَحوٌ تحويلي قائمٌ على إنتاج عدد من الجُمل القاعديّة التي تَفْترض وجود العنصر التّوليدي مُسْبقاً؛ لأنّ عملية اكتساب اللّغة هي عملية قَوَامها العقل.[2] وهي قائمة على مَبْدأ الفِطْرة اللّغويّة التي يستطيع من خلالها الطفل إنتاج أعداد من الجمل اللاقاعديّة مِنْ قدرات لغوية مُحَدّدة. وواضح من هذا أنّ تشومسكي نادى بِمَبْدأ الفطريّة فقال بِهَذا الخُصوص:" يُؤْمن المُدْخَل العقلي بأنّه توجد وراء آليات المُعَالجة السّطحيّة الخارجيّة أفكار فطريّة, ومبادئ من أنواع مختلفة, تُقرِّر شكل المَعْرفة بِطَريقة مُحَدَّدة"[3]

وعليه فإنّ المبدأ الأساسي الذي بُنِيَتْ عليه الفِطْرة اللّغويّة هو الإيمان بالجَانِب العقليّ الذي يَفْتَرض أنّ الذّاكرة اللّغويّة مَوْجُودة مُسْبقاً في العقل, تَحْمِل في حَوْزَتِها العديدَ من الأنْماط اللّغويّة المُستَمَدة من عملية الاكتساب والتعليم والتي بِدَوْرِها تقوم على السّليقة المَعْرفيّة الواعية.[4] لِذَلِكَ تَنْظر هذه النظريّة للغة على أساسِ أنّها خَصيصة تتبلور نتيجة انعكاس للعقل الإنساني وقُدْرته على التعامل مع الأنّماط

---

1 حسان تمام, اللّغة العربية بين المعياريّة والوصفية, ص36.

2 تشومسكي نعوم, البنى النّحويّة, ص19.

3 الشايب فوزي, محاضرات في اللسانيات, ص379.

4 لوسركل, عنف اللّغة ,ص 19.

اللّغويّة وتوظيفها توظيفاً سليماً, وليست عملية قائمة على اكْتِساب أنْمَاط اللّغة فحسب. ويقودنا هذا الأمر إلى التّفريق بين الذّاكرة اللّغويّة والنظام النّحوي.

فالذّاكرة اللّغويّة: هي استِخدم الأدوات اللّغويّة التي تَظْهر على السَّطح الاستعمالي للنص, ضِمْن سياقات مُحَددَة لا يُمْكن تجاوزها, فهي تَعْتَمد على اسْتقلاليّة الكلمة في المعنى دُونَ النظرِ إلى المُصَاحبات المُعْجَمية, أو بصرف النظر عن العلاقات الإعرابية المُتَرافقة مع الكلِمات الأخرى. فكل كَلِمة تُمثل البنية التَحْتيّة التي تقوم على اختزال جميع الأنماط اللّغويّة التي يُقَدِّمها العقل بِجَوانبها الحقيقية.[1]

وانطلاقاً من هذا الاتِّجاه فإنّ الذّاكرة اللّغويّة هي قُدْرة المرءِ على استدعاء الحدث الكلاميّ الذي يَسْتَند على النِّظام القاعديّ, ولا يُمْكن له أنّ يكون مُسْتقلاً عنه, فهي تَفْتَرض وجودَهُ مسبقاً.

إنّ أهمّ نُقْطَة في تَحْديد مدى صلاحية النِّظام اللّغوي هي قُدْرة النِّظام على تَحْديد الجُمل القاعديّة من الجمل غير القاعديّة, وهذه السِّمة الرّئيسيّة في التّفْسير القائم على قَبُول الجُملة ورَفْضِها استناداً للذاكرة اللّغويّة الفذّة التي اخْتَزلَت جَمِيع القواعد.[2]

القاعدة النّحويّة: إنَّ دِراسة المُسْتوى النّحوي للظاهرة اللّغويّة القائمة على الوَصْف تَعْتَمد على عنصر التحليل إلى المُكوِّنات الأساسيَّة القائمة على الحَركات الإعرابية؛ لأنّ نِظَام القواعد هو الذي يَسْتطيع أن يَصِف العامل النّحوي وصفاً وجودياً في المقولات القاعديّة.[3]

إنّ الاهتمام بالصِّفَات العامّة للغة يَقُودُنا إلى طُرق التّمييز بين الجُمل القاعديّة باسْتِخدام أنظِمة القواعد الخاصّة باللّغة نَفْسها, وهذا ما أشار له تشومسكي في حديثه عن الجُمْل القاعديّة:" إنَّ نظام قَواعد لغة ما يَعْكس الذخيرة المُحدّدة الاعتباطية

---

1 زكريا ميشال, مباحث في النظريّة الألسنية, ص111.

2 انظر, موور تيرنيس وكرستين كارلنغ, فهم اللّغة, ص 133.

3 انظر, خليل حلمي, العربية وعلم اللّغة البنيوي, ص204, 205.

للمقولات الملحوظَةِ إلى مجموعة يُفْتَرض فيها أنْ تكون غير مَحْدودة من المقولات القاعديّة". [1]

يقودنا هذا إلى أنَّ التَّنْظيم الشّكْلي لِمَسار الجملة التي تَتَكّون من وحدات لغوية تُنظِّمها علاقات قائمة على الدِّقة وعدم الاعتباطية, تَتَمثَّل هذه العلاقة في الرُتْبة التي بطبيعتها قادرة على الرَّبْط بين مُكونات الجملة بعلاقات إسنادية داخل الجملة.

إنّ الجُمْلة الاسمية في اللّغة وفقاً للتحديد الذي تَبنّاه العُلماء العَرب تتألف من مبتدأ وخبر, لا يمكن لعنصرٍ أنّ يَخْترق الآخر في رُتْبته وإلاّ لَتَغيّر شكل الجُمْلة وتغيرّت المسميّات التي تندرج تحتها؛ فالرُتبة الموجودة في البُنيّة السّطحيّة تَخْتلف عن الرّتبة المَوْجُودة في البُنيّة العميقة.[2] فالمبتدأ والخبر يجب أنّ يَنْتَظِما في مُركّبٍ واحدٍ هو المُركّب الاسمي, في حين إذا تقدم الخبر على المبتدأ ضمن المُسوّغات التي تَفْتَرض ذلك فإنّها تُعْطي بنية عميقة جديدة مُتحوّلة عن البُنْية العميقة الأولى, وهذا ما نَادَتْ به النّظريات الحديثة للغة.

فالجملة العربية هي التي تَفْتَرض التّلازم بين المبتدأ والخبر في الجملة التي يَتَصدّرها المبتدأ في أصل الرتبة, ولَكِنَّ هذه المُكوّنات غير كافية لأنَّ رتبةَ الجملة في اللّغة العربية تَحْتَكم إلى جميع المستويات:" التركيبية والصرفيّة والصوتيّة".[3] التي بدورها هي الضّابط الفعّال للرتبة.

يُمثِّل هذا الأسلوب تَحولاً في اهتمام القواعد بتَغْطية المُعْطيات المُتَاحة أمّام الجملة القاعديّة, والمعطيات الظاهرة بعُمق التفسير, وإفراز مفهوم قائم على أساس عقلي تَجْريدي يُمْكنه أن يتعاطى مع النحو بصورة محكمة.

يرى سيبويه أن المسند والمسند إليه ما لا يَسْتَغْني واحدٌ مِنْهُما عن الآخر, ولا يجد المتكلم منه بدّاً".[4]

---

1 تشومسكي نعوم, البنى النّحويّة, ص19.

2 انظر, موور تيرنيس وكرستين كارلنغ, فهم اللّغة, ص181.

3 حسن صالح, علاقة المنطق باللّغة, ص104.

4 سيبويه, الكتاب, ج1 ص 31.

وعبارة لا يَسْتَغْني تُمثِّل الجانب التّلازمي الّذي يَنْبَغي للقاعدة النّحويّة السّير باتجاهه, وتُمثّل كذلك مَحْدُودية نظام القواعد الّذي يَنْبَغي أنْ لا يكون مُتَشعِّباً, لأنّ هذا التّشعب يفضي إلى خرق القاعدة وإفسادها, وهذا ما دعا إليه تشومسكي:" إنّ أحد مُتَطلّبات نظام القواعد أنْ يَكون مَحْدوداً, إذن لا يمكن لنظام القواعد أنْ يكون مجرّداً قائماً لجميع المتواليات المورفيمية" متواليات الكلمات" طَالما أنّ عَدَد هذه المُتَواليات في اللّغة غير مَحْدود".[1]

أمّا عبارة:" لا يَجد المُتَكلِّم منه بدّاً" فهي تُعْطي للمتلقيّ مساحة لأنْ يُسْقط بعض الإجراءات التحويلية علَى الجَانِب العقلي, مُتَمثِّلاً ذلك في التّقديم والتّأخير في بنية العبارة دُونَ النّظر إلى مشروعية المَعْنى. في حين أنّ تشومسكي يرى أنّه يُمْكِن تَمثيل نظام القواعد هذا بجهاز له عدد مَحْدود من الحالات الدّاخلية بِمَا في ذلك حالة الابتداء والانتهاء".[2] وهذا ما يَقُودنا إلى أنّ نظام القواعد يَسْمح في الكثير من الأحيان بإنشاء اشْتِقاقات غير مُتكافئة تَسْتند عليها الجملة الواحدة. لذلك فإنّ نظريّة العامل التي جاء بِهَا النّحو العربيّ تلتقي مع نظريّة التحليل إلى العَناصر ضِمْن البُنيّة السّطحية والبنية العميقة التي نَادت بها النظريّة الألسنية الحديثة.[3]

بدأ سيبويه بِكَلامه عن الإسناد الاسمي وعِنْده أنّ كلّ اسم ابتدئ ليُبْنى عليه كلامٌ. والمبتدأ والمُبْني عليه رفعٌ, واعلم أنّ المُبْتدأ لا بدّ له من أنْ يكون المبني عليه شَيْئاً" هو هو ", أو يكُون في " زمان" أو" مكان" وهذه الثلاثة يذكر كلُّ واحدٍ منها بَعْد ما يُبْتَدأ".[4]

فهذا التّعريف الشُّمولي للإسناد الاسمي يَدلُّ على أنّ سيبويه قَدْ شكّل وَعْياً أنموذجاً بالقاعدة النّحويّة, فَقَدْ استطاع أنْ يُعْطيَ تَعْريفاً تَفْصيلياً للمبتدأ والخبر على أساس تَبادلي, فعبارة"هو هو" تَدلُّ على أنّ المبتدأ والخبر كلٌّ واحدٌ في هذا السِّياق,إذا قُدِّم أو أخر فهو ابتداءٌ, لأنّهُ يَتضمّن المعنيين في آن واحدٍ. أمّا قَولُهُ" في زَمَانه أو

1 تشومسكي نعوم, البنى النّحويّة, ص25.

2 المرجع السابق, ص 54.

3 انظر, زكريا ميشال, مباحث في النظريّة الألسنية, ص 128-129.

4 سيبويه, الكتاب, ج2 ص 234.

مكَانه" فالاسم المَبْنيّ على المبتدأ هو اسم يدلُّ على زمان أو مكان وموقعه الرَّفعُ لأنّ المُبْنيّ على المبتدأ بمنزلته.

وبهذا فإن المُنْحى الأفقي الذي تَتَّخذه القاعدة النّحويّة عند سيبويه بتَسلسل الكلمات داخل الجملة يكُون منوطاً بعلاقات شَكْليّة خَارجِيَّة تَضْمن ما جَاءَت به القاعدة النّحويّة.

وهي بالطّريقة نفسها التي يُسميّها تشومسكي[1]: "Finite state grammar" تقوم على أساس سِلْسلَة من الاختبارات تَتولّد بِهَا الجملة. فالعناصر داخل الجُمْلة الواحدة تتوالى بعلاقات إسنادية ثَابتة لا يُمْكن الذود عنها لأنّها تُكوِّن المنظومة القاعديّة الثابتة, فقدَّم تشومسكي المثالَ التالي:[2]

1-The man comes.
2- The men come.

إنَّ البِدء بكلمة" The " يُمْكن أن يفضي إلى اخْتِيار"man " أو" men" ولَكِنَ اختيار"man " لا بدّ أنْ يفضي إلى لختيار"comes " في حين أنّ اختيار"man " يفضي إلى اختيار"come ".

فَقَدْ عَمِد إلى تحليل الجملة إلى المُكونات الأساسية, فهذه المُكوِّنات هي التي تُعْطي الصورة القاعديّة الثّابتة.[3] وهي أشْبَة ما تكون قريبة للنحو العربي الذي يعْتمد على مَوْقع العنصر في الجملة, ومدى تأثيره على العنصر الذي يليه, فعملية الإسناد الاسمي أشبة ما تَكُون بهذا التّمثيل الذي قدمَّه تشومسكي, ولكنّ المَأْخَذ على هذه النّظريّة أنّها تُقدّم عدد محدود من الجمل فلذلك عَزَفَ تشومسكي عَنْها وقدَّم نظرية أُخْرى أقرب ما تكون نظرية نَحْوية عربية تَرْجع فِكْرتها إلى طريقة الإعراب في النّحو العربي. أمّا النّظريّة السّابقة فإنّها قريبة من النّحو العربيّ ولبيان ذلك نتناول هذا المثال:

الرّجلُ يَذْهَبُ.

الرّجال يَذْهُبونَ.

---

1 الراجحي عبده, النحو العربي والدرس الحديث, ص 128.

2 المرجع السابق, ص 129.

3 انظر, لوسركل, عنف اللّغة, ص 67.

إنّ البدْء بــ" بأل" التعريف يفضي إلى اختيار" الرجل, الرجال" ولكنّ اختيار الرّجل يفضي إلى اختيار الفعل" يذهب". أمّا اختيار" الرجال" فيفضي إلى اختيار الفعل" يذهبون" وهذا ما نادى به تشومسكي في نظريته.

1.2.1 المبتدأ والخبر:

هما الاسمان المُجرّدان للإسناد نحو قولك:" زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ" والمراد بالتجريد إخلاؤهما من العوامل التي هي كان وأخواتها وإن وحسبت وأخواتها , لأنّهما إذا لم يخلوا منها تَلْعَبت بهما وغصبتهما القرار على الرفع".[1]

ذَهَبَ سيبويه إلى أنّ المبتدأ مرفوع بالابتدأ, وأن الخبر مرفوع بالمبتدأ, فالعامل في المبتدأ معنويّ, وهو كَوْن الاسم مجرد من العوامل اللفظية والعامل في الخبر لفظي وهو المُبتدأ, وذهب قومٌ إلى أنَّ العامل في المبتدأ والخبر الابتداء".[2]

تتكون اللّغة في هذا المضمار من كلٍّ متناسق ومنظم من العوامل التي لا يُمْكن دراسة أيّ عنصر على حِدَه, بَلْ هي مجموعة تقوم على التّنظيم بين مجموعة من العناصر المكوِّنة للعلاقة داخل الجُمْلة, وإن دلالة العناصر تَكُون واعية عندما تَرْتبط ببعضها, في حين أنّ أهمية الدراسة اللّغويّة تَكْمُن في دراسة جميع عناصر التّكوين اللّغوي, ودراسة الرّوابط والعلاقات التي تجمع بينها.

فالمبتدأ والخبر يجب أنْ ينتظما في مركب اسمي يقوم على علاقة إسنادية متبادلة تربط جميع العلاقات التي يمكن لها أنْ تُقيم روابط نحويّة ثابتة مستندة على قواعد تحليليّة تَسْمح للمسند والمسند إليه بالحركة الدورانية المغلقة بحيث لا يتعدّى أحدٌ على الآخر.

ولكنّ الذّاكرة اللّغويّة تَسْمح للعلاقة الإسنادية بالحركة المفتوحة ضمن أداءات لغويّة يُمْكن لها أنْ تخرُج عن القاعدة النّحويّة؛ لأنّ الذّاكرة تَسْتند إلى الصّوْغ الذهنيّ الذي يُختزل في ذهن المتكلم[3], وإنّ اتخاذ القاعدة أساساً ثم فَرْضها على المفردات عمل يجافي الرّوح العلميّة الصّحيحة؛ لأنّه يقوم على أساس التّحكُم, والتحكم لا يَتّفق

---

1 ابن يعيش, شرح المفصل ، ج1, ص 83.

2 ابن عقيل, شرح ابن عقيل، ج1 ,ص 83.

3 انظر, موور تيرنيس وكرستين كارلنغ, فهم اللّغة، ص 58.

مع طبيعة الروح العلمية[1], فذهب سيبويه في باب الإخبار عن النّكرة بظرف أنّك تقول:" ما كانَ فِيْهم أَحَدٌ خَيْرٌ مِنْكَ" وما كان أَحَدٌ مِثْلك, ولَيْس أَحَدٌ فيها خَيْرٌ مِنْك, إذا جعلت فيها مُستقراً, ولم تَجْعله على قولك:" فيها زَيْدٌ قائِمٌ", أجريت الصّفة على الاسم. فإنْ جعلتهُ على قولكَ:" فيها زَيْدٌ قائمٌ نَصَبْتَ".[2]

إنّ النظام اللّغوي بهذا الخصوص واضحٌ وثابتٌ, فهو يَفْرض على القاعدة النّحويّة التعامل مع شبة الجملة بالتّقديم على المبتدأ إذا كان نَكِرة, ولكنّ الذّاكرة اللّغويّة التي تعبِّر عن مَقْدرة الإنسان على التكلُّم بوساطة اللّغة تُتيح لهذا النظام الانحراف عن المسار الذي تنتهجه بما يسمى بازدواجيّة التّنظيم اللّغوي في التعامل مع الأداءات, فيرى سيبويه أن جميع ما ذُكِرَ من التّقديم والتّأخير والإلغاء والاستقرار عربيٌ جيِّدٌ, من ذلك قوله عزّ وجلّ[3] :" ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْواً أَحَدٌ". وأهل الجفاء من العرب يقولون:" ولَمْ يَكُنْ كُفْواً لَهُ أَحَدٌ "[4] كأنَّهم أخَّروها حيث كانتْ غيرَ مُستقرّةٍ".[5]

إنّ البُنية العميقة للجملة تَقْتضي أنْ يكون الإسناد الاسمي قائماً على علاقة تُفهم من خلال تَحْليل الجُملة إلى العناصر, ولكنَّ القاعدة النّحويّة كما أشار إليها سيبويه تقوم على التّقديم والتأخير والحذف والإلغاء من باب المُفَاضلة والحُسْن, فإذا كانَتْ العرب تهتمُّ بشيءٍ تقدّمه في الكلام, وقد تنبّه سيبويه إلى أنّ النّظام النّحوي يقوم على علاقات إسنادية لا يُمْكن تجاوزها بهذا الخصوص, فيجوز تقديم الخبر على المبتدأ لقولك:" تَمِيميّ أَنَا". وقد التزم تقديمه فيما وقع فيه المبتدأ نكرة والخبر ظرفاً, وذلك كقولك: في الدّارِ رجلٌ".[6]

---

1 عيد محمد, أصول النحو العربي, ص 133.

2 سيبويه, الكتاب, ج1, ص 93.

3 سورة الإخلاص 4.

4 ابن يعيش, شرح المفصل, ج1,ص 91.

5 سيبويه, الكتاب, ج1,ص 94.

6 ابن يعيش, شرح المفصل, ج1, ص 92.

أمّا قراءة أهلُ الجفاء فإنَّها تَستَند على الصّورة اللّغويّة التي ترد في اللّغة ولا تتفق مع النّماذج العامة للقواعد, حيثُ يقف الاستقراءُ وقفة متواضعة. أمّا القياس فإنه يفرض عليها صرامته ويتناولها بالشُّذوذ.[1] وهذا الأمرُ يقودنا إلى أنّ النُّحاة العرب قد بَحثوا عن العمليات الذهنية التي تَسْبق اللفظ لذلك أَصدروا أحكأمّا على الكثير من الأداءات اللّغويّة واصفِيها بالشّذوذ وباحثين عن عنصر التأويل.

بناء الأماكن غير المختصّة على المبتدأ:

المكان قولُكَ: هو خلفُكَ, وهو قُدَّامُك, وأَمَامُكَ, وأشبه ذلك قولك هو ناحيةٌ من الدَّارِ, وهو نَاحيتُك, وهو نحوك. قال الشاعر وهو جرير[2]

هَبَّتْ جَنوباً فَذِكرى ما ذَكَرْتُكُمْ   عِنْدَ الصَّفاةِ التي شَرْقيَّ حَوْرانا

الشاهد في هذا البيت هو" قوله شَرْقيَّ" نصبة على أنّه ظرف مكان مبني على المبتدأ".[3]

تقول هو قصدك, كما قال الشاعر وسمعنا بعض العرب تنشده كذا:[4]

سَرَى بَعْدَما غارَ الثُّريّا وَبَعْدَما   كأَنَّ الثُّريّا حِلَّةَ الغُوْرِ ومُنْحلُ

أي قصده, يقال: حِلَّةَ الغورِ, أي" قَصْدُه" سَمِعْنا ذلك ممّن يوثَقُ من العرب".[5]

لقد بَنَتْ الذّاكرة اللّغويّة هذه الظّروف على النّصب على اعتبار أنّ القصد منها هو النّصب على الاختصاص بالظرفية, ولكن القاعدة النّحويّة تَعْتبر هذه الظّروف غير مُخْتَصّة, لذلك فإنّها يجب أن تستند على القاعدة النّحويّة الّتي تَقُوم على إسناد الخبر للمبتدأ, وأنّ العلاقة بين المبتدأ والخبر هي علاقة قائمة على حكم الرّفع بينهما[6]. لذلك أشار سيبويه إلى أنَّ هذا الخَرْق مَسْموع من العرب وأنّه لا يَسْتند على نظام قاعديّ, ولكنَّ اللّغة التي تستند على العقل هي التي بَنَتْ هذه

---

1 عيد محمد, أصول النحو العربي, ص 114.

2 جرير, ديوانه، ص25.

3 سيبويه, الكتاب ج2 ، ص.11.

4 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ، ص204.

5 سيبويه, الكتاب, ج2،ص12.

6 حسن عباس, النحو الوافي, ج1 ، ص442.

الظّروف على النّصب. ويرى سيبويه أنَّ بعض الظّروف قد تكون اسماً غير ظرف بمنزله" زيدٍ وعمروٍ" وسَمِعْنا من العرب من يقول:" دَارُكَ ذَاتُ اليمين" قال الشاعر[1]: وهو لبيد:

فَغَدَتْ كلا الفَرْجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ   مَوْلي المَخَافَةِ خَلْفُها وأَمَّامُها

ومن ذلك أيضاً: هذا سواءُك, وهذا رجلٌ سواءَك, فهذه بمنزله" مكانَكَ" إذ جعلتهُ في معنى" بَدَلَكَ" ولا يكون اسماً إلاّ في الشّعرِ".[2]

إن المكوّن الاسمي للجملة يستند على إقامة علاقة ترابُطيّة بين المبتدأ والخبر. كلٌ يعمل في الآخر من حَيثُ العلاقة الشكلية, فالجملة الاسمية تَفْرِضُ عدم استغناء كل ركن عن الآخر لا شكلاً ولا مضموناً لأنّ القاعدة النّحويّة هي التي تَفْرض العلاقة التلازمية بينهما من حيث الرفع, فكل يعمل بالآخر ضمن علاقة قادرة على وصف اللّغة وتفسير معطياتها وفقاً للمسائل التي نَادَتْ بها النّظريات الحديثة القائمة على التّوليد والتّحويل.

ولكنّ الذّاكرة اللّغويّة في التعامل مع المادة المنطوقة هي التي تَجْعل اللّغة أكثر إشراكاً واحتواءً[3]. وهذا ما نبّه له سيبويه في كتابه أثناء تعامله مع المادة اللّغويّة التي استَقَاها من أفواه العرب؛ لأنَّ الأنماط اللّغويّة المختزلة في الذّاكرة لا تستند إلى قواعد وأنظمة يُمكن لها أنْ تحكم أفكارها وتقيدها بقوانين؛ لذلك نرى أنَّ الجانب اللّغوي يقوم على العنصر الانفعالي في اللّغة, وهذا ما دعاهُم إلى اللجوء إلى قوانين التّقدير والتّقديم والحذف والتأخير....

يقودنا هذا الأمر إلى أنّ بعض العرب لمّا اضطُرّ في الشعر جعل الظّرف بمنزلة" غَيرَ"[4]. قال الشاعر, وهو رجل من الأنّصار[5]

---

1 لبيد, ديوانه ص 311,السيرافي, شرحكتاب سيبويه , ج3 ص216, الشنتمري,شرح النكـت , ج2,ص205.

2 سيبويه, الكتاب, ج2 ,ص 15.

3 خليل حلمي, العربية وعلم اللّغة البنيوي, ص 185.

4 سيبويه, الكتاب, ج2,ص 16.

5 البيت لـــ" مرّار بن سلامة العجلي انظر, الشنتمري, شرح النكت, ج1,ص49.

ولا يَنْطِقُ الفَحْشَاءَ مَنْ كانَ مِنْهُمُ إذا جَلَسُوا مِنَّا ولا مِنْ سَوائِنا

فقد جعل الشاعر" سَوَائِنا" اسماً بمنزلة" غيرَ" وأدْخَل عليها حرف الجرّ, وأخذت علامة الجرِّ, ولم ينصبها الشاعر على الظّرفية[1]. في حين أنّ القاعدة تَقْتَضي ذلك لكنَّ الذّاكرة التي تَحْتوي القاعدة هي التي دَفَعَتْ الشّاعر إلى الجرِّ.

لقد تنبّه علماء العربية إلى أنَّ القاعدة النّحويّة لا يُمْكن لها أنْ تَخْتزل جميع الأنّماط اللّغويّة, لذلك حاولوا أنفسُهم أنْ يجدوا ما يمكن أن يساعدهم في إحكام القاعدة النّحويّة فلجأوا إلى تعدد وجوه الإعراب الذي يعطي المساحة للقاعدة أن تسيطر قدر الإمكان على جميع الأنّماط اللّغويّة والأداءات الفكرية[2]. فيرى سيبويه" أنّ النَّصْبَ جَيّدٌ إذا جَعَلَهُ ظرفاً, وهو بِمَنْزِلة قَوْلِ العَرَبِ: هو قَريبٌ مِنْكَ". وهو قريباً مِنْكَ, أي مكاناً, قريباً مِنْكَ. ومِنَ العَربِ من تقول في كَلامِها:" هَلْ قَرِيباً مِنْكَ أَحَدٌ" كقولهم: هَلْ قُرْبَك أحدٌ"[3]. ولكن يجب التنبّه إلى أن النّص المنطوق المسموع من أفواه العرب يُفيد معنىً حقيقياً دون الحاجة إلى التّقدير والتّأويل, ولكنّ هذا الأمر لا يجرِّد اللّغة المنطوقة من العلاقات الداخلية التي تعمل على ضبط الذّاكرة اللّغويّة في التعامل مع الأداءات التي تقوم على السلوك اللّغوي والسياقات اللّغويّة. إنّ العلاقة بين الكلمات في العبارات والجمل تأخذ معناها من سياق الكلام. إذ تقوم على أساس ظواهر شكلية تحكم العلائق بين الكلمات بعضها والبعض الآخر".[4]

بناء الأماكن المختصة على المبتدأ:

هذا بابُ ما شُبِّه مِنَ الأمَاكِنِ المُخْتصّة بالمكان غير المختصِّ, شُبِّهت به إذا كانَتْ تَقَعُ على الأمَاكن, وذلك قولُ العَرَب سَمِعْناهُ منْهُم:" هو منِّي مَنْزِلَةَ الشَّغافِ" و " هو منِّي مَنْزِلَةَ الوَلَدِ" يدُلُّكَ على أنَّهُ ظَرْفٌ قولُكَ: هو منّي بمنزلةِ الولدِ, وهُوَ منِّي مَزْجَرَ الكَلْبِ, وأنْتَ منِّي مَقعَدَ القابلَةِ".[5]

---

1 سيبويه,الكتاب, ج1 ,ص 44.

2 خليل حلمي, العربية وعلم اللّغة البنيوي, ص 191.

3 سيبويه,الكتاب, ج 2,ص 18.

4 عيد محمد, أصول النحو العربي, ص 226.

5 سيبويه, الكتاب, ج2 ,ص 23.

ذهبَ سيبويه إلى أنَّ ظرف المكان المُخْتص مبنيٌّ على المبتدأ" خبر", ويُنْصب على الظرفية في اختصاصه تشبيهاً له بالمكان المُخْتصِّ.

ويرى ابن يعيش أنّ العامل يُحْذف للدلالة على الظّرفية, فيصير الظرف في موضعٍ مرفوعٍ لأنَّه خبر المبتدأ, فالظرف وحده, هو موضع نصبٍ يدل على ذلك أنه يظهر النصب فيما كان معرباً. نحو" نحو القِتَالُ اليَوْمَ".[1]

أمّا النظريّة الحديثة فتذهب إلى أنّ النِّظام القاعديّ الذي تُندرج تَحْته هذه الظاهرة قائمٌ على أولوية الكلمة داخل بنية العبارة, وفي الحقيقة أنَّ التعامل مع الذّاكرة اللّغويّة التي تُنَادي بمبدأ الفطريّة تُمثّل المرحلة الأولى لاكتساب اللّغة.[2] وهذا ما ينعكس على ما قدَّمه سيبويه في دراسة العلاقات الإسنادية للمبتدأ و ما يُبْنى عليه من الأمّاكن؛ لأنَّ القاعدة تَفْترض اخصاص الظرف وانْتِصابه على الظّرفية, في حين أنّ الخبر يُفترض أنْ يكون مرفوعاً بالعلاقة المتبادلة بين العامل والمعمول. ولكنَّ الأنّماط اللّغويّة التي تَنْدرج تحت الذّاكرة أقربُ ما تكون على تماس في بعض الأحيان مع القاعدة أو بعيدة عنها كلَّ البعد. ولكنَّ التقدير هو العنصر الرئيس الذي يحاول جذب الذّاكرة باتجاه النظام وفي ذلك قول الشاعر. وهو أبو ذُؤَيب:[3]

فَوردْنَ والعيُوقَ مَقْعَدَ رابيء ال   ضُرْباءِ خَلْفَ النَّجْمِ لا يَتَتَلَّعُ

فالشاهد في هذا البيت:" مَقْعَدَ رابيء الضُرْباءِ" نصبه على الظرفية من اختصاصه تشبيهاً له بالمكان غير المُختصّ" والتقدير" فَوردْنَ العيُوق من الثُريّا مكاناً قريباً مثل مكان قعود الرابيء من الضُرْباءِ".

فالقاعدة واضحة في هذا الاتجاه وإنْ لم تكن كذلك, فقد لجأ النحاة العرب إلى استقطاب جميع الأداءات اللّغويّة باتجاه القاعدة النّحويّة؛ لأنّهم وسموا هذه القاعدة بسمة الشُّمولية والإحكام فيما يبدو قبل التعامل مع كافة الأنّماط اللّغويّة. لذلك فإنّهم لن يسمحوا لأي أداء لغوي الخروج عن القاعدة.

---

1 ابن يعيش, شرح المفصل, ج 1 ,ص 96.

2 انظر, جان جاك لوسركل, عنف اللّغة, ص 115.

3 أبو ذوئيب الهذلي, ديوان الهذليين ج1 ,ص6, الشنتمري, شرح النكت, ج1 ,ص207.

أمّا النّظريات الحديثة فتذهب إلى أنّ الذّاكرة اللّغويّة هي التي يُمْكنها أنْ تتصف بالشمولية لأنّها على علم مُسْبق بالقاعدة التي تَشكّلت في الدماغ, وأنّ عملية إنتاج الجمل هي عملية ذهنية خالصة تخرج من الذّاكرة باتجاه القاعدة, وإنْ حاولت الخروج عن المسار فإن ثَمَّة عوامل يمكن لها أنْ تعيدها إلى نظامها القاعديّ.(1)

وفي ذلك يرى سيبويه أن العرب قالت:" أنت منّي مَرْأى ومَسْمَعٌ" فإنّما رفعُوهُ لأنّهم جَعَلُوه هو الأوّل حتى صارَ بِمَنْزِلةِ قَوْلِهم:" أَنْتَ منّي قريبٌ".(2)

وزعم يونس أن ناساً من العرب يقولون:(3)

أَنُصْبٌ للمَنيَّةِ تَعْتَريهِمْ رِجَالي أَمْ هُمُ دَرَجُ السُّيولِ

فَجَعَلَهُمْ هُم الدَّرَجَ".(4)

إنّ بعض الظروف أشدُّ تمكناً من أن تكون اسماً, وهي أقرب إلى الاسمية منها إلى الظّرفية. ولكنّ القاعدة النّحويّة هي التي تَفْرض أحياناً عليها أنْ تكون ظرفاً, فلا تُخْرجها عن هذا الإطار, فقد جعل الشاعر" دَرَجَ" اسماً مبنياً على المبتدأ, ولم يَجْعله ظرفاً, حتى أصْبَحَت واقعاً استعمالياً في اللّغة. ولكن النحاة العرب اعتَبَروا هذا البيت خرقاً للقاعدة. فيرى سيبويه أنَّ ناساً يقولون" هو منّي مَزْجَرُ الكَلْبِ"(5) يَجْعَلونَهُ مَرْأى ومَسْمَعٍ, فَيجْري كقول الشاعر:(6)

وأَنْتَ مَكانُكَ مِنْ وائلٍ مكانُ القُرادِ مِنْ استِ الجَمَلْ

إنَّما حَسُنَ الرّفْعُ" مكانُ القُرادِ" لأنَّهُ جعل الآخر هو الأوّل والتقدير" مَكانُكَ كَمَكَانِ القُرادِ".

---

1 انظر, لوسركل, عنف اللّغة, ص 196.

2 سيبويه, الكتاب, ج2 ,ص 26.

3 البيت لأميه بن هرمه ص 181, الشنتمري,شرح النكت , ج1 ,ص207/ السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج3 ص228.

4 سيبويه, الكتاب, ج2 ,ص 26.

5 المرجع السابق, ج 2 ص 26.

6 البيت ل" الأخطل" ، الاخطل, ديوانه، ص 335, السيرافي, شرحكتاب سيبويه , ج3 ص230, الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص208.

إن الذّاكرة اللّغويّة الّتي تَعامل معها أبناء اللّغة أنفسَهم هي ذاكرة قائمة على التعامل مع جميع الأنّماط اللّغويّة.[1] وهي قادرة على إنتاج أعداد لا متناهية من الجمل التي تُمثِّل واقعاً استعمالياً غير محكوم بعناصر قاعديّة.

أمّا النظام النّحوي فهو نظام يستند على قواعد لا يُمْكن أن تَرْفُض ما جاءت به الذّاكرة, ولكنّها توجهها باتجاهها. محاولةً أثبات أنّ القاعدة النّحويّة هي قاعدة قائمة على الدّقة في تناول جميع الأداءات القاعديّة فقط. والدليل على ذلك أنّ مِنْ العَرَبِ من يقولُ:" أنا اليومَ أَفْعَلُ ذاكَ" ولا يُريدُ يوماً بعينِهِ".[2]

فهذا التّمثيل باعتبار أنّ" اليومَ" هو ظرفٌ معرب, فلذلك يجب أن تكون حركة إعرابه الرفع في المواضع السابقة, ولكن الذّاكرة تَفْرض شيئاً من التحويلات على بنية العبارة لتعطي القاعدة أكثر مُرُونة في التعامل مع الأنّماط اللّغويّة. ولكنّ النحاة أصرّوا على إحكام القاعدة وعدم الالتفات إلى الذّاكرة اللّغويّة التي تَخْتَزِل القاعدة النّحويّة فقد مُني بالكثير من التعديلات التي تطرأ على بُنْية العبارة في حالات التحويل".[3]

2.2.1 كان وأخواتها:

تُسميّ الكلمات التي تدخُل على المبتدأ والخبر فَتُغيّر اسمهما, وعلامة إعرابهما, ومكان المُبتدأ: النواسخ, أو نواسخ الابتداء, لأنّها تُحدِث نسخاً.[4] وتُسمى بكان وأخواتها وكلّها أفعالُ اتفاقاً, إلا ليس, فذهب الجمهور إلى أنّها فعل, وذَهَبَ الفارسي وأبو بكر بن شقير, إلى أنّها حرف, وهي ترفع المبتدأ وتنصب خبره, ويسمى المرفوع بها اسماً لها والمنصوب بها خبراً لها.[5]

---

1 انظر, موور تيرنيس وكرستين كارلنغ, فهم اللّغة, ص 160.

2 سيبويه, الكتاب, ج2 ,ص 30.

3 انظر, خليل حلمي, العربية وعلم اللّغة البنيوي, ص169-170.

4 حسن عباس, النحو الوافي, ج1 ,ص 543.

5 ابن عقيل,شرح ابن عقيل , ج1 ,ص 150 انظر, ابن الأنباري,الأنّصاف في مسائل الخلاف , ج1 ,ص163.

وحال الاسم والخبر مثلهما في باب الابتداء, من كون المعرفة اسماً والنكرة خبراً. يقول ابن يعيش اعْلَم أنّه إذا اجتمع في هذا الباب معرفة ونكرة, فالذي يجعل اسم كان المعرفة لأنّ المعنى على ذلك لأنّه بمنزلة الابتداء.[1]

أمّا سيبويه فيرى أنه إذا وقع في هذا الباب نكرةٌ ومعرفةٌ فالذي تُشْغل به" كان" المعرفة لأنه حدُّ الكلام, لأنّهما شيءٌ واحدٌ وليس بمنزلة قولك: ضَرَبَ رَجُلٌ زيداً لأنَّهما شَيْئان مُخْتلفان وهما في كان بمنزلتها في الابتداء, إذا قُلتَ: عبدُ اللهِ مُنْطَلِقٌ تَبْتَدئ بالأعرف ثم تَذْكُر الخبر, وذلك قولُكَ كان زيدٌ حليماً.[2]

فالقاعدة النّحويّة بهذا الخصوص تذهب إلى أنّ اسم كان وأخواتها يكون معرفة, وإنّما حَملها على ذلك أن الاسم والخبر يرجعان إلى شيءٍ واحدٍ, فأيُّهما عرفت تعرفَ الآخر.

أمّا النظريّة لتوليدية فتذهب إلى أنّ الوصف اللّغوي على هذا المستوى يجري عادةً بموجب تحليل الجملة وفق العناصر الإعرابية التي تَتَألّف منها, فالنظام يفرض على كان وأخواتها أنْ ترفع الأول وتَنْصب الثاني وهذا العمل يُحْتكم إلى شرط أساسي وهو التعريف بالاسم الأوّل حتى تتحقق الفائدة, فالمعنى هو الذي يَفْرض ذلك, فإذا انحرفت الجملة عن النظام القاعديّ لها فإنّ هذا يخرق مفهوم تقبل الجملة.[3]

لقد عالجت النظريّة التّوليديّة هذه القاعدة اعتماداً على مفهوم أصوليّة الجملة, فالجملة أصولية إذا كانت مركّبة من نحوٍ جيّدٍ, وهي غير أصولية إذا انحرفت عن المبادئ التي تُحدّد الأصولية في اللّغة بصورة لا شعورية.[4] وبهذا فإنّ أصولية الجملة ترتبط بالذّاكرة اللّغويّة التي لا تفرض على الأداء اللّغوي الاحتكام للقاعدة. وإنّما يَرتْبط مفهوم الذّاكرة اللّغويّة بمدى قبول هذه الجملة ورفضها.

---

1 ابن يعيش, شرح المفصل, ج 7 ,ص 91.

2 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص 80.

3 انظرموور تيرنيس وكرستين كارلنغ , فهم اللّغة نحو علم لغة لما بعد مرحلة تشومسكي,ص108 .

4 زكريا ميشال, مباحث في النظريّة الألسنية وتعلم اللّغة, ص 110.

وقد تنبّه علماء النحو القدماء لهذه النظريّة محاولين الوقوف عليها ومعالجتها ضمن معطياتهم اللّغويّة التي لا تَخْرج عن مدى قبُول الأداء اللّغوي والتعامل معه ضمن دلالات لغوية كلاميّة تؤكد على أنّ لُغتهم كانت معيارية في التعامل مع الأنّماط اللّغويّة.[1] لذلك يرى سيبويه أنه قد يَجُوز في الشّعر وفي ضَعْفٍ من الكلام حَمْلهم على ذلك أنّ" كان" فعلٌ بمنزلة" ضَرَبَ" وأنّه قد يُعلمُ إذا ذكرتَ" زيداً" وجعلته خبراً أنَّه صاحبُ الصّفةِ على ضعفٍ من الكلامِ.[2]

إنّ عناصر الجُملة قابلة للتّغير بحسب الموقع الذي تَفْرضه الذّاكرة اللّغويّة عليها وبِحَسب مدى مُرونة القواعد في التعامل مع الأداءات؛ هذا التّغير يجب أنْ يرتبط بأنظمة ذات دلالات محددة تَرْتبط بعناصر تكوين الجملة, وهذا التغير يلتقي مع البنية السّطحية والبنية العميقة للجملة. فبذلك فإن قولك: كانَ زَيْدٌ مُنْطَلَقاً تُمثِّل بنية عميقة قائمة على عناصر قاعديّة ثابتة, أمّا جملة:" كان مُنْطَلَقاً زيدٌ" فهي جملة سَطْحيّة قائمة على عناصر تَحويليّة تحتكم لنظام الذّاكرة اللّغويّة التي تستند على التحليل العقلي. والحقُّ أنّ العلماء العرب قد اهتمُّوا بهذه الظّاهرة اهتماما بالغاً, محاولين الوقوف على الكثير من القضايا التي يُمْكن لها أنْ تَحْكم اللّغة, فقد وقفوا على قضية العمل والإلغاء والتّقدير والحذف والتّقديم والتّأخير. فهذه القضايا هي التي حاولت النظريات الحديثة معالجتها من خلال البنية السطحية والبنية العميقة.

ومن ذلك قول حسان بن ثابت:[3]

كأنّ سبِيئةً من بيتِ رَأْسٍ يكونُ مزاجَها عَسَلٌ وماءُ

الشاهد في هذا البيت هو:" تَصرّف" كان" تصرف الفعل, وقد ترفع النكرة وتَنْصب المعرفة.[4] وقد أجاز ذلك ابن يعيش من حيث كان عَسَلٌ ومَاءٌ جنسين,

1 حسان تمام, اللّغة بين المعيارية والوصفية, ص 37 .

2 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص 81.

3 حسان بن ثابت, ديوانه ص 3.

4 سيبويه, الكتاب, ج 1 ,ص 82.

فكأنه قال: يكون مزجَها العسلُ والماءُ, فبهذا تسهل هذه القراءة, و لا تكون من القبح واللحن.[1]

لقد جعل الشاعر اسم كان نَكِرة والخبر معرفة على اعتبار أنّها فعلٌ مشّبهٌ بالفعل الحقيقي. فالذّاكرة اللّغويّة التي تُتيح للمتكلِّم إنتاج أعداد لا متناهية من الجمل التي تُعْطي اللّغة قدرة على التعامل مع الأداءات اللّغويّة ببنيتها السطحية وبنيتها العميقة. فالسلوك الاعتباطي للغة هو الذي يظهر النظام بشكل بسيط وغير معقد.

ويظهر ذلك في قول خداش بن زهير:[2]

فإنَّكَ لا تُبالِيَ بَعْدَ حَوْلٍ أَظَبيٌ كانَ أُمَّكَ أم حِمارُ

إنّ تعدّد وجوه الإعراب في هذا الشاهد على اعتبار أنّ اسم كان ضمير يعود على" ظَبْيٌ" وهو نكرة و" أُمَّكَ" بالنصب خبرها وهو معرفة, ظبيٌ اسم بكان مضمرة تدل عليها المذكورة, وهو نكرة أيضاً وخبر كان المضمرة محذوف يدل على خبر المذكورة, وقل ظبيٌ مبتدأ وجملة كان واسمها وخبرها خبره.[3] يقودنا هذا إلى أنَّ لجوء النحاة العرب لتعدد وجوه الإعراب والتقدير والإضمار والحذف أعطى مساحة للذاكرة اللّغويّة للتعامل مع كافة الوسائل النّحويّة المتوفرة في اللّغة. لذلك يرى تشومسكي أنَّ بُنية العبارة والبنية التحويلية تقدمان الوسائل النّحويّة المتوفرة في اللّغة لتنظيم المُحْتوى والتعبير عنه." فنظام قواعد اللّغة يَنْبغي أنْ يبيِّن كيف تتحقق هذه الأبنية, في حين يَنْبغي على النّظريّة اللّغويّة أنْ تَعمل على توضيح هذه الأسس لنظام القواعد وأساليب تقييم أنظمة القواعد.[4]

الإضمار في ليس وكان:

ذهب سيبويه إلى أنّ الإضمار في" ليس وكان" كالإضمار في" إنّ" إذا قلت: إنَّه من يأتِنا نأته, وإنَّهُ أمةُ اللهِ ذاهبةٌ فَمِنْ ذلك قول بَعْض العَرَب: لَيْس خَلَقَ اللهُ مثلَهُ,

---

1 ابن يعيش, شرح المفصل, ج 7 ,ص 94.

2 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ,ص64, ابن هشام, مغني اللبيب, ج2 ,ص768.

3 ابن يعيش, شرح المفصل, ج 7 ,ص 95.

4 تشومسكي نعوم, البنى النّحويّة, ص 132.

فلولا أنْ منه إضماراً لم يَجُز أنْ تذكر الفعل, ولم تُعملهُ في اسمٍ, ولكنَّ فيه من الإضمار مثل ما في إنَّهُ.[1]

أمّا ابن يعيش فيرى أن تكون بمعنى الشأن والحديث وذلك قولك كان زيدٌ قائمٌ ترفع الاسمين معاً.[2] ومنه قول الشاعر[3]:

إذا متُّ كانَ النّاسُ صِنفانِ شامتٌ   وآخَرُ مُثنٍ بالذي كُنْتُ أصنَعُ

ويرى سيبويه أنّ مثل ذلك" كَادَ تزيْغُ قُلوبُ فَرِيقٍ منْهُم"[4] وجاز هذا التفسير لأنّ معناه:" كَادَتْ قُلوبُ فريقٍ منْهُم تَزِيغُ".[5]

يقول دي سوسير: إنّا إذا أردنا أنْ نكشف الطبيعة الحقيقية فيجب أنْ نَدْرسها أولاً من حيث ذلك الذي تشترك فيه مع سائر الأنْظمة المنتمية إلى نفس النوع.[6]

يقودنا هذا الأمر إلى أنّ اللّغة عبارة عن سلسلة من الكلمات تَتّحد فيما بينها بطرائق متنوّعة تتفق مع الذّاكرة اللّغويّة, وأنّ القوانين التي يَتمّ بها توليد الجمل هي قوانين نحوية شكلية لأنّها تعتمد على عناصر قادرة على تغيير بُنية الجملة حسب الموقع الإعرابي الذي تحتله, لذلك بدأ تشومسكي بابتكار قواعده النّحويّة من أجل إيجاد تعليل للمفهوم المقيّد"Grammatical in Language " مقبول نحوياً.[7]

أمّا سيبويه فقد عالج الإضمار في كان على اعتبار أنّ الاسم بَعْد كان محذوف والتقدير هو" الحَالُ والأَمْرُ النّاسُ صِنْفَان". فالنظام النّحوي هو الذي يفرض هذا التقدير, فإذا جاءت أقوالُ العَرَبِ تخرج عن القاعدة فإنّ النحاة هم الّذين يُوجّهون هذه الأقوال باتجاه القاعدة بالرغم من أنّ الذّاكرة اللّغويّة هي التي تَستطيع أنْ تتعامل مع

---

1 سيبويه, الكتاب, ج 1 ,ص 113.

2 ابن يعيش, شرح المفصل, ج 7 ,ص 100.

3 نسبلبن يعيش للعُجير السلولي انظر السيرافي , شرحكتاب سيبويه , ج2 ص417, الشنتمري, شرح النكت, ج1 ,ص80.

4 سورة التوبة 117.

5 سيبويه, الكتاب, ج 1 ,ص 114.

6 محمود السعران, علم اللّغة, ص 60.

7 موور تيرنيس وكرستين كارلنغ, فهم اللّغة, ص 138.

كافة الأنّماط اللّغويّة وتَجْعلها واقعاً استعمالياً مفروضاً على اللّغة. يقول حسان تمام :" لا يعقل أنّ صاحب السليقة اللّغويّة يخطئ, إلا إذا نَطَق بلغة خاصة يَتمسّك فيها بقواعد وأصول لا تُرى في الحياة العاديّة حين ينطق على سَجيّته".[1]

الأفعال التي تعمل عمل" كان":

يرى ابن يعيش أنّ للعَرَبِ ثلاثة مذاهب" أحدُها أنْ يقولوا: عَسَيْتَ أنْ تَفْعَلَ, وعَسَيْتُما, وعَسَى زيدٌ أنْ يَفْعَلَ, والثاني ألاّ يَتَجاوزُوا عَسَى أنْ يَفْعَلَ, وعَسَى أنْ يَفْعَلوا. والثالث: أنْ يَقُولوا عَسَاك أنْ تَفْعَلَ.[2]

أمّا سيبويه فيرى أنّ عسى بمنزلة كَانَ في قَولِهم:" عَسَى الغُوَيْرُ أبؤساً" ولا تقول عَسَيْتَ أخَانا, وفي كلامهم أنْ يَجْعَلوا الشيء في موضع على غير حاله في سائِرِ الكَلاَم".[3]

أشار سيبويه إلى أنّ العرب تَسْتعمل الشيء في موضع على غير حاله. هذه الإشارة تدل على أن الذّاكرة اللّغويّة هي التي تَسْتَطيع أنْ تتعامل مع الأنّماط اللّغويّة وتجعلها واقعاً استعمالياً؛ لأنّ اللّغة هي نتاج عقلي ترتبط بنظام خاص يستقر في عقل المتكلم. يقول إبراهيم مصطفى:" وتأليف الكلمات في كلّ لغة يَجْري على نظام خاص بها, و لا تكون العبارة مُفهمة و لا مُصوّرة, لما يُراد حتى تجري عليه و لا تزيغ عنه, والقوانين التي تُمثّل هذا النظام وتحدده تستقر في نفوس المُتكلّمين, وملَكَاتِهِم".[4]

جاء بمنزلة كان:

يرى سيبويه أنّ جاء بمنزلة كان في مثل قولهم: مَنْ كَان أخَاكَ؟ وقول العَرَبِ:" ما جَاءَتْ حَاجَتَكَ" كأنّه قال: ما صارتَ حَاجَتَك, لَكنّه أدْخَل التأنيث على"ما" حَيْثُ كانَتْ الحَاجة".[5] وقد ورد هذا الأسلوب في الأساليب الصحيحة المأثورة

1 حسان تمام, اللّغة بين المعيارية والوصفية ص 76.

2 ابن يعيش, شرح المفصل, ج 7 ص 123.

3 سيبويه, الكتاب, ج 1 ,ص 85.

4 حسان تمام, اللّغة بين المعيارية والوصفية, ص 76.

5 سيبويه, الكتاب ج 1 ص 84.

بنصب كلمة" حاجته" ومعناه: ما صَارَتْ حَاجَتَكَ؟ والمراد أيُّ حاجة صَارَتْ حَاجَتَكَ, وإنّما نصبت كلمة حاجة لأنّه خبر" جَاء" والتي بمعنى" صَار" واسمها ضمير يعود على ما".[1]

إن السِّياق من شأْنِه أَنْ يُحدّد المعنى ويُخصّصه, فإذا دخلت الكلمة في السيّاق فقد حُلَّ إشكال صفَة العموم, واشْتَمَل اللّفظ على معناه.[2]

وهذا ما نَادت به النّظرية التّوليديّة التّحويلية من خلال تعاملها مع البنية السّطحية والبنية العميقة, لأنّ الاستعمال اللّغوي وِفْق العناصر الإسنادية هو الذي يَفْرض على اللّغة التعامل مع القاعدة النّحويّة بمفهوم السّطح الاستعمالي, فالقواعد المُتحوّلة هي قواعد تَتَّجه نحو العمق, ولكنّ الذّاكرة اللّغويّة تَقِفُ عند هذا المفهوم, لأنّ الأداء اللّغوي الذي لا ينتمي للقاعدة يصبح واقعاً استعمالياً في اللّغة وتُسيطر عليه عناصر قائمة في ذِهْن المتكلّم. وهذا ما دعا تشومسكي إلى أنْ يَصف الإبداع اللّغوي بشكل يَتّصف بالعمومية, فالجانب الإبداعي هو قُدرة المتكلّم على إنتاج جمل جديدة, وتَفْسيرها بشكل مستقلٍّ عن سيطرة القواعد.[3] لذلك يقول سيبويه:" إنّما صُيِّر" جَاءَ" بمنزلة" كَانَ" في هذا الحَرْف لأنّه بمنزلة المَثَل.[4] تَقُودُنا هذه الإشارة إلى أن النمط الاستعمالي في الذّاكرة اللّغويّة هو واقع استعمالي في اللّغة, وإن كان خارج نِظام القاعِدة النّحويّة.

كان التامة:

يرى ابن عقيل[5]:" أنّ الأفعْال النّاقصة انقسمت إلى قسمين أحدهما ما يكون تاماً وناقصاً. والثاني ما لا يكون إلا ناقصاً... وكُلُّ الأفعال يَجُوز أَنْ تُسْتعمل تامةً إلا" فتىء" و"زال", ومثال التامة قوله تعالى: " وإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ, فَنَظَرَةٌ إلى

---

1 حسن عباس, النحو الوافي, ج 1 ,ص 557.

2 حسان تمام, اللّغة بين المعيارية والوصفية, ص 123.

3 موور تيرنيس وكرستين كارلنغ, فهم اللّغة ص 141.

4 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص84.

5 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ,ص156.

مَيْسَرَةٍ"[1] إنْ وُجد ذوعُسرة, وقوله تعالى:" خَالِدِينَ فِيهَا ما دَامَتِ السَّمَوات وَالأَرْضُ".[2]

أمّا سيبويه[3] فيرى أنّ جَاء تَقَعُ على الفِعل" وَقَع" ومِنْه قولُ الشّاعر عمرو بن شأس:[4]

بَني أَسَدٍ هَلْ تَعْلَمُونَ بلاءَنا   إذا كانَ يوماً ذا كواكبَ أَشْنَعا

فيقول سيبويه:" أضمَرَ لعلم المخاطب بما يعني وهو" اليومُ" وسمعتُ بعضَ العَرَبِ يقولُ: أشنعا, ويرفَعُ ما قبلهُ, كأنّه قال: إذا وَقَعَ يومٌ ذو كواكبَ أشنعا.[5]

إنّ الوعي بالذّاكرة اللّغويّة يَقُود إلى التّعامل مع كافة الأنّظمة القاعديّة بشكلٍ كاملٍ, فلو كانت اللّغة مُصممّة لتكون أداة قاعديّة مثالية للتواصل لكان لزاماً على كل لغة أنْ تحتوي على مجموعة من القواعد الثابتة التي لا يُمْكن لها أنْ تُؤوّل.[6] وتكون الأنّماط اللّغويّة مَحْكُومة بأصولية لا يمكن الذَّود عنها؛ ولكنّ اللّغة موسومة بطابع المُرونَة في التعامل مع الأنّماط اللّغويّة. لذلك نرى أنّ الفعل النّاقص يرتبط بعلاقة اسمية تارةً وفعلية تارةً أخرى يَتَحكّم بها السيّاق الوظيفي للغة. وهذا يقودنا إلى أنّ اللّغة لا يُمْكن لها أنْ تكون آلية مقتصرة على إنتاج الجمل على حدّ تعبير فوستر" النحو هو مُجرّد رابطة, وبدون روابطه لن يبقى لدينا ما نعبرّ عنه, منه نستطيع الكلام عن شيء دون أنْ نُعيرّ الوسائل التي نَبْني بها جملنا أيّ اهتمام".[7]

---

1 سورة البقرة 280.

2 سورة هود 107.

3 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص79.

4 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ,ص 64.

5 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص79.

6 انظر, محمود فهمي زيدان, في فلسفة اللّغة, ص 143.

7 ديريك بيكرتون, اللّغة وسلوك الإنسان, ص38.

3.2.1 إن وأخواتها:

يرى سيبويه أَنّ الحُروف الخَمْسَة هي التي تَعْمل فيما بَعْدَها كعمل الفعل فيما بعده. وهذه الحروف هي: إنّ ولكنّ وليْتَ ولعلَّ وكأنّ".[1]

أَمَّا ابن يعيش فذهب إلى أَنّ هذه الحُروف تَنْصب الاسم وتَرْفع الخبر لِشِبْهها بالفعل, وذاك من وجهين: احَدهما من جِهَة اللّفظ والآخر من جِهَة المعنى.[2]

فالجملة الاسمية في مثل:" الرّياحينُ مُتْعةٌ" مُركّبة من اسمين مرفوعين يُسمّى أوّلُهما المبتدأ وله صَدَارة الجملة, ويُسمّى الثّاني" خبراً" ولكنْ قد يدخل عليهما ألفاظ معيّنة تغيِّر اسمها وعلامة إعرابهما, ومكان المبتدأ من الصّدَارة في الجملة. فَيَصيرُ المبتدأ اسم" إنَّ" منصوباً ويسمى اسمها وتزول عنه الصدارة, ويصير خبره خبر"إنّ" مرفوعاً ويُسمّى خبرها".[3]

إنّ المعرفة الضمنية لِمُتكلِّم اللّغة بقواعد لغته تتيحُ له إنتاج عدد لا متناه من الجمل. فالعلاقة الإسنادية التي يَفْرضُها النِّظام على المبتدأ والخبر هي التي تَقُود عملية التّكلّم إلى تَفهُّم جميع الأداءات اللّغويّة التي تُبنى على القاعدة النّحويّة, فَمَهْما دخل على الجملة من عناصر تحويليّة فإنَّها تحافظ على شكلها القاعديّ بصورة واعية. فدخول" إنّ" وأخواتها على الجملة الاسمية يَعْمَل على تغير العناصر الشكلية. أمّا الجانب المضموني للأداء فإنّه يَبْقى مُسْتقراً؛ لأنّه ينطلق من الذّاكرة اللّغويّة, لذلك يرى لوسركل:" إنّ نظام اللّغة ليس هو اللّغة ككل بل إنّ الكثير من الأنّشطة الإبداعية في اللّغة تقع خارج هذا النظام".[4]

أمّا تشومسكي فيرى أنّ كلَّ بنية لغوية متولِّدة من الذّاكرة ما هي إلا عملية ميكانيكية"mechanical process" تدريجية تتسم بدرجة مُطْلَقة من الوضوح فيما يتعلق بالطريقة التي يَتِمُّ بها توليد هذه البنية".[5]

---

1 سيبويه, الكتاب ج3 ص8.

2 ابن يعيش, شرح المفصل, ج8 ,ص54.

3 حسن عباس, النحو الوافي, ج1 ,ص543.

4 لوسركل, عنف اللّغة, ص11.

5 موور تيرنيس وكرستين كارلنغ, فهم اللّغة, ص87.

إنّ درجة الحكم على مقبوليّة الجملة هي التي تقودنا إلى الرّبط بين الكلمات المناسبة بالعوامل النّحويّة, لأنّ الجمل التي تحتوي على معنى معقول هي التي توفّر لنا الأسس العلمية لتقرير فيما إذا كانَتْ الفصائل النّحويّة سليمة من النّاحية اللّغويّة أمْ لا.[1]

فالاسم الذي يقع مرفوعاً لا يتحول عن هذا إلا في حالات خاصة لأنّ القاعدة النّحويّة هي التي تُتيح لهذا الاسم أنْ يكون منصوباً؛ لأنّها لا تحتكم للقوانين المعيارية, وبالتالي فإن القاعدة النّحويّة بهذا الاتجاه تكون منهجية.

عمل الحروف الخمسة:

يرى سيبويه إنّك تقول: إنّ بِكَ زيداً مأخوذٌ, وإنّ لَكَ زيداً واقفٌ من قبل أنّكَ أردْتَ الوقوف والأخذ لم يكن" بِكَ" و لا" لَكَ" مستقرَّين ل" عَبْدِ الله" ولا موضِعَيْن؛ ألا ترى أنّ السُّكوت لا يستغني على" عبد الله" إذا قُلتَ: لك زيدٌ وأنت تريد الوقوف. مثل ذلك قولك: إنّ فيكَ زيداً لراغِبُ".[2] ولا يجوز تقديم معمول الخبر على الاسم إذا كان غير ظرفٍ ولا جار ومجرور. فلا يجوز في" إن زيداً آكلٌ طعامَكَ".[3]

ذهب سيبويه إلى إلغاء الجار والمجرور لأنّهما من أصل الخبر ولكنْ إذا أخذنا بالقاعدة النّحويّة فإن تقدير الجار والمجرور بالعمل أمرٌ ثابتٌ وتعليقهما في هذا الباب يقدر بالإلغاء.

ولعلّ القارئ يُدْرِك تماما أنّ القاعدة النّحويّة تتعامل مع سطح اللّغة وليس في عمقها, وقد رفض تشومسكي هذا وسعى لإقامة نظريتّه على أساس أن اللّغة عمل عقلي... ومن ثم فإن الهدف الأساسي للنظرية اللّغويّة هو دراسة الجانب العقلي من الإنسان والكشف عن قدراته اللّغويّة.[4]

ومن هنا اكتسبت الدراسة النّحويّة أهمية خاصة, لأنّ النحو يَرْبط بين البنية العميقة والبنية السّطحية للجملة, ودراسة هذه البنية تحتاج إلى فهم العلاقات داخلها

---

1 moور تيرنيس وكرستين كارلنغ, فهم اللّغة, ص116.

2 سيبويه, الكتاب, ج3 ,ص 10.

3 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ,ص 182.

4 خليل حلمي, العربية وعلم اللّغة البنيوي, ص179.

من حيث الوظيفة والشكل على المستوى التّركيبي لذلك يرى تشومسكي أنّ التركيب العميق للجملة هو الكشف عن تَنْسيق القواعد اللّغويّة النابعة من ذات المتكلّم, أو من المقدرة اللّغويّة الفطريّة".[1]

تنبه سيبويه لهذه القضية في كتابه أثناء تناوله لقول الشاعر:[2]

فلا تلحني[3] فيها فإنَّ بحُبِّها   أخاكَ مصابُ القلبِ جمٌّ بَلابِلُهْ

فالشاهد فيه قوله" مُصَاب" رَفَعه على الخبر وإلغاء الجارّ والمجرور لأنّه من صله الخبر.[4] كأنّك أردت: إنّ زيداً راغبٌ, وإن زيداً مأخوذٌ, ولم تذكر" فيكَ" و" بك" فأُلغيتا كما أُلغيتا في الابتداء".[5]

ومن هنا يتضح لنا قَدم هذه النظريّة في معالجة الذّاكرة اللّغويّة عند النحاة العرب, يقول عبد القادر الجرجاني:" عرفت أنَّ ليس الغرض بنظم الكلم أنْ توالت ألفاظها في النطق, بَلْ أنّ تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي ارتضاه العقل.[6]

إن الذّاكرة اللّغويّة تحتوي على أنماط نحوية نادرة, ولكنّها قد تمتلك واقعاً استعمالياً كبيراً. يقول لوسركل: إن الخطأ اللّغوي ليس انحرافاً عن قواعد اللّغة بشكل عام بقدر ما هو توقع بالمسار التطوري لقواعد اللّغة وتراكيبها.[7] وهذا ما يقودنا إلى التمييز بين التركيب السطحي والتركيب العميق؛ لأنّ العلاقة الإسنادية في الجملة قادرة على الخروج عن القاعدة النّحويّة إذا ما استَنَدت على الذّاكرة اللّغويّة.

---

1 محمود فهمي زيدان, في فلسفة اللّغة, ص143.

2 القائل مجهول وهو من شواهد سيبويه التي لم تنسب إلى احد / انظر, ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ,ص182, السيرافي, شرحكتاب سيبويه , ج3ص488, الشنتمري,شرح النكت , ج1,ص258.

3 انظر, , شرح ابن عقيل, ج1 ,ص182 ,تلمني.

4 المرجع السابق, ج1 ص182

5 سيبويه, الكتاب, ج3,ص11.

6الجرجاني, دلائل الإعجاز, ص41.

7 لوسركل, عنف اللّغة, ص50.

وهذا ما يؤكده سيبويه إذ يقول[1]:" وروي عن الخليل أن ناساً يقولون: إن بك زيدٌ مأخوذٌ. فقال هذا على قوله إنه بِكَ زيدٌ مأخوذٌ, وشبهه بما يجوز في الشعر نحو قولِه, وهو ابن صريم اليشكري:[2]

ويوماً تُوافِينا بَوجْهٍ مُقَسَّمٍ كأنْ ظَبْيَةٌ تَعْطو إلى وراقِ السَّلَم

إنّ هذه الجملة تنتمي إلى نمط نَحْوي نادر؛ ومع أنّها تمثّل خرقاً لقواعد اللّغة العربية, ولكنّها إذا ما خَضَعت للذاكرة اللّغويّة فإنها تمثّل واقعاً استعمالياً مقبولاً؛ لذلك لجأ النحاة العرب للخروج من هذه الورطة بسبل تقليدية قائمة على التقدير والتأويل, وهذا ما لجأت له النظريّة التّوليديّة التحويلية من خلال التمييز بين البنية السطحية والبنية العميقة.[3]

لقد أبرزت النظريات الحديثة الصفة الاجتماعية للغة دُوَن التقليل من أهمية العامل الفردي, ويرى سوسير أنّ النظم اللّغويّة يُمكن النظر إليها من ناحيتين: من حيث درجة تركيب الكلمات أو درجة استكمالها لهيئتها, وثانياً: من حيث الارتباط الآلي الذي تتّحد فيه عناصر الكلمات.[4] لهذا يقول سيبويه:" حَدّثَنا من نَثِقُ به منْ العَرَبِ أنّه سَمِعَ مَنْ يقول: إنْ عمراً لمنطلق, وأهلُ المدينة يقرأون" وإنْ كُلاً لَمَا ليُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أعْمَالَهُمْ"[5] ويُخَفِّفُون ويَنْصبُونَ؛ وذلك لأنّ الحرف بمنزلة الفعْلِ, فلَمَّا حُذِفَ من نفسه شيءٌ, لم يُغَيَّرْ عَمَلَهُ.[6]

وذهب ابن يعيش إلى أنّ "أنَّ " و"إنّ " تُخففّان فيبطل عَمَلُهما. ومن العَربِ من يعملهما.[7]

---

1 سيبويه, الكتاب, ج3 ص13.

2 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص258 ,السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج1 ,ص525..

3 انظر, لوسركل, عنف اللّغة, ص 51.

4 سوسير, علم اللّغة العام, ص 280.

5 سورة هود 111.

6 سيبويه, الكتاب, ج3 ص18.

7 ابن يعيش, شرح المفصل, ج8 ,ص 71.

إنَّ عملية تعلُّم اللّغة هي وسيلة تواصل لمرحلة اكتساب اللّغة. يرى لوسركل: أن اللّغة هي وسيلة تواصل, المتكلِّم الفرد يَخْتَار بِحُرِيّة أداته المجرّدة المناسبة لأغراضه التّواصلية والتّعبيرية.[1] لذلك يمكن افتراض أنّ الأنّسان يمتلك بفطرته عدّة قواعد أوّلية يثيرها عند اكتسابه لقواعد النحو. وهذا ما يجعل الذّاكرة اللّغويّة أكثر مقدرة في التعامل مع الأداءات اللّغويّة التي يَخْتَزِلها النظام النّحوي؛ لأنّ هذا النظام يكون محصوراً بقواعد لا يُمْكن الخروج عنها إلا بعوامل حَدّدَها النُّحاة بجعل هذا النظام قادراً على استيعاب جميع الأنّماط. ويمكننا القول أنّ النّحو المزدوج موجودَ في صُلب التراكيب اللّغويّة.

حذف خبر الحروف الخمسة:

خبر إنّ لا بد له من وضعٍ في الكَلام, ولكنْ يجوز حذفه نادراً.[2] وقد اختلف النّحويون في ذلك, فأجاز البصريون الحَذْف مع المعرفة, ولم يُجِزْ الكوفيون الحذف إلا مع النكرة.[3] ومن ذلك قولِهم: إنَّ مالاً, وإنَّ وَلَداً, وإنَّ عدداً, أي: إنَّ لَهُم مالاً, فالذي أضْمَرْتَ"لَهُمْ".(4)

وقالوا: إنّ غَيْرها إبلاً وشاءً" فقولهم غيرها اسم إنّ والخبر مُضْمر, تقديره إنّ لَنَا غيرَها وانتصب إبلاً وشاءً على التمييز, ويجوز أنْ يكون إبلاً وشاءً اسم إنّ وغيرَها حالاً.(5)

ويرى سيبويه أنّ العَرَبَ تقولُ(6): إنَّ بَدلَكَ زيداً, أي إنّ مَكَانَكَ زيداً.والدليلُ على هذا قولُ العَرَبِ: هذا لَكَ بَدَلَ هذا, أي هذا لك مكانَ هذا, وإنْ جَعَلْتَ البَدَلَ بمنزِلة البديلِ, قُلْتَ: إنّ بدلَكَ زيدٌ, أي: إنّ بديلَكَ زيدٌ.

---

1 لوسركل, عنف اللّغة, ص211.

2 نهر هادي, التراكيب اللغوية في العربية, ص161.

3 ابن يعيش, شرح المفصل, ج1 ,ص104.

4 سيبويه, الكتاب, ج3,ص20.

5ابن يعيش, شرح المفصل, ج1 ,ص104.

6 سيبويه, الكتاب, ج3 ,ص 23.

إنّ اللّغة شيءٌ متجانس, وإنّ موضوع دراسة الألسنية هو اللّهجة السائدة, أو اللّغة الفصحى فتركّزان على وجود العوامل الدّاخلية والخارجية ضمن اللّغة الواحدة" الذّاكرة والقواعد النّحويّة". وينفي هذا وجود قواعد كلية ثابتة ومُسْتقرة, وبعبارة أخرى يؤكد لوسركل على أوّلية الكلام الإفرادي الفعلي على اللّغة كنظام فيقول: إن مستعمل اللّغة يتكلّم لغة واحدة فقط بَلْ على العكس فهو يُغيِّر لغته عندما يتغيرّ الخطاب.(1) وبهذا فإنّ النّحو العربيّ صادر عن تصورات عقلية ومنطقية, وإنّ عمل النّحو ينبغي أنّ يَنْصبَّ على الواقع اللّغوي, لذلك لجأ سيبويه إلى التّقدير وحذف" إنّ" خوفاً منه على خرق القاعدة النّحويّة, فعلماءُ العربية القدماء لم يكُنْ همُّهمُ دراسة اللّغة في ذاتها ومن اجل ذاتها, وإنما كان همُّهم دراسة اللّغة العربية وحدها بما لها من صلة بالقران الكريم فهماً وأداءً. ومن هنا برز الجانب التعليمي أو المعياري.(2)

أمّا علماء اللّغة التحويليون فقد حاولوا تطبيق التمييز بين الذّاكرة اللّغويّة والقاعدة النّحويّة من خلال بناء الجمل وتركيبها, فَليْسَت كلُّ التراكيب اللّغويّة مُكْتسبه وإنّما يعود بعضها إلى تصورات أوّلية في طبيعة العقل الإنساني, وهذا ما حاول النّحاة العرب تعليله وتفسيره من خلال الواقع الاستعمالي لبعض الأنّماط اللّغويّة, من خلال اللجوء إلى التّقدير والحذف والإلغاء. فيرى سيبويه أنّ قَوْلُكَ:" إنّ زيداً منطلقٌ العاقلُ اللّبيبُ". فالعاقلُ اللّبيبُ يرتفع على وجهين, الاسم المُضْمَر في منطلقٌ, كأنّه بدلٌ منه, وإن شاءَ رَفَعهُ على: مَرَرْتُ به زيدٌ, وإذا كان جواب, مَنْ هو؟ فتقول: زيدٌ, كأنَّهُ قيل له من هو؟ فقال: العاقِلُ اللّبيبُ".(3)

تعالج النظريات الحديثة تعدّد وجوه الإعراب من خلال التعامل مع القدرة اللّغويّة والتحليل إلى المُكونات المباشرة, فيقول تشومسكي:" ومِنْ هُنا أصبح علم النّحو" syntax" ليس دراسة نماذج من الجمل في لغة من اللغات, بَلْ هو نظام قائم

---

1 لوسركل, عنف اللّغة, ص114.

2 خليل حلمي, العربية وعلم اللّغة البنيوي, ص197.

3 سيبويه, الكتاب, ج3 ص 30.

في عقل ابن اللّغة يَكْتَسبه من الطفولة, ومَهمّة النظريّة اللّغويّة هي الكشف عن هذا النظام". [1]

يقول سيبويه[2]: وقد قَرَأَ النَّاسُ هذهِ الآيةَ على وجهين" قُلْ إنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بالحقِّ علاَّمُ الغُيُوبِ"[3], وعَلاَّمَ الغيُوبِ". فالرّفع على تقدير مُبْتَدأ محذوف, والنَّصب على البدل من الاسم الأول, ولأجل التوصل إلى هذا الحكم يَجِبْ ربط الكلمات الاستعمالية بالعوامل النّحويّة المؤثرة على بُنْية الجملة؛ لأنّ بُنْية الجملة يمكن التعرف عليها دون الاعتماد على معاني الكلمات المستعملة ضمن القاعدة النّحويّة.

ويعتقد تشومسكي بأنّنا إذا أرَدْنا أنْ نناقش الجمل, فإنّنا بالضرورة نتعامل مع بُنْية تخسر كثيراً من قدراتها على الإقناع, بوصفها مصطلحاً علاقياً... فإنّ بُنْية الجملة لا تعدو أنْ تكون أكثر من شكل نحوي مجرد.[4] لذلك نرى النحاة العرب يقدِّمون شرحاً تفصيلياً لتعدّد وجوه الإعراب انطلاقاً من المحافظة على استقرار النظام النّحوي.

4.2.1 ما الحجازية:

من الحروف نوعٌ يُشبه الفعل" ليس" في معناه, وهو النفي, وفي عَمَلِه وهو النسخ, فيرفع الاسم ويَنْصب الخبر, فبعض العرب كالحجازيّين يُعْمله وبعض آخر" كبني تميم" يُهْمِله.[5]

ويرى سيبويه أنّ بني تميم يُجْرُونَها مجرى" أمّا" و" هل" أي لا يُعْملونَها في شيء. وهو القياس, لأنّها ليست بفعلٍ و لا يكون فيها إضمار. أمّا أهل الحجاز

---

1 خليل حلمي, العربية وعلم اللّغة البنيوي, ص 178.

2 سيبويه, الكتاب, ج3 ص30.

3 سورة سبأ 48.

وقراءة الرفع هي قراءة الجمهور , وقراءة النصب لعيسى وابن أبي إسحاق وزيد بن علي وأبي حيوه– تفسير أبي حيان: 292/7.

4 موور تيرنيس وكرستين كارلنغ, فهم اللّغة, ص 115.

5 حسن عباس, النحو الوافي, ص593.

فيشبّهونَها بـــ"ليس" ومثل ذلك قوله عزّ وجلّ: مَا هَذَا بَشَراً".[1] وبنو تَميم يَرْفَعُونَها إلا مَنْ درى كيف هي في المصحف.[2]

لقد شكل سيبويه وَعْياً تاماً بقضية الذّاكرة والنظام, فيرى أنَّك إذا قلت ما مُنْطَلِقٌ عبدُ الله. أو ما مُسِيءٌ مَنْ أعْتَب. و لا يجوز أن يكون مُقدّماً مِثلَهُ مؤخّراً, كما أنّهُ لا يجوز أَنْ تقولَ: إنّ أُخُوكَ عبد الله على حدٍّ قولِكَ: إنّ عبدَ اللهِ أَخُوكَ, لأنّها لَيْست بِفِعل وإنّما جُعلت بمنزلته فكما لم تَتَصرّفْ" إنّ" كالفعل كذلك لم يجز فيها كلُّ ما يجوز فيه ولم تقو قوّته وكذلك ما.[3]

يَرَى الكوفيون أنّ القياس يَقْتَضي أنْ لا تعمل, إلا أنَّه وُجد بينها وبين" ليس" مشابهة اقتضت أنْ تَعْمَل عمَلَها.[4]

وقد أعْملها الحجازيون بشروط فجعلوا لها اسماً مرفوعاً, وخبراً منصوباً تاما لكون" ما" للحال ولدخُولها على الأسماء والأفعال.[5]

يَتّضح من خلال ذلك أنّ النّحو العربيّ اكتفى بوصف الظواهر اللّغويّة من حيثُ هي وسيلة اتّصال ونقل للمعنى, ويرى الدكتور حلمي خليل أنّ تشومسكي رفضَ كلَّ هذا وعدّه لوناً من التعامل مع سطح اللّغة دوَن عمقها, ومن ثُمَّ فإنَّ الهدف الأساسي للنظرية اللّغويّة هو دراسة الجانب العقلي من الإنسان والكشف عن قدراته اللّغويّة.[6] أمّا لوسركل فيقول: إن كلَّ جملة تُنطق هي فعل كلامي يُفسَّر لا بمعناه بل بتأثيره.[7] لذلك فإن التداولية"pragmatics " هي التي تُشكِّل الحدَّ الفاصل بين النظام والذّاكرة اللّغويّة.

---

1 سورة يوسف 31.

2 سيبويه, الكتاب, ج1 ص98.

3 المرجع السابق, ج1 ص99.

4 ابن الأنباري,الأنّصاف في مسائل الخلاف , ج1 ,ص166, انظر ابن يعيش,شرح المفــصل , ج1 ,ص108.

5 نهر هادي, التراكيب اللّغويّة في العربية, ص 324.

6 خليل حلمي, العربية وعلم اللّغة البنيوي, ص 179.

7 لوسركل, عنف اللّغة ص 392.

ويرى سيبويه[1]: إنَّكَ إذا جَعَلْتَ" ما" بمنزلة ليس في لغة أهل الحجاز لم يكن إلا رفعاً؛ لأنّك تجيء بالفعل بعد أن يعمل فيه ما هو بمنزلة فعل يرفع وقد أنشد بعضهم هذا البيت رفعاً, قولُ مزاحمٍ العُقَيليّ:[2]

وقالوا تعرّفْها المنازلَ مِنْ منىً وما كلُّ مَنْ وافى مِنىً أنا عارفُ

الشاهد فيه رفع" كلُّ" بـــ "ما" على اعتبار أنّهُ لا يجُوز الإضمار في ما الحجازية وقد تدخل على معمول الخبر.[3]

ويرى سيبويه أنّ بَعْضَهم قد زَعِم أنّ ليس تُجعل كـــ "ما" وذلك قليل لا يُذْكر على نحو" ليس الطيبُ إلاّ المِسْكُ" وما كان الطِّيبُ إلاّ المِسْكُ".[4]

إنّ شُموليّة المقولات لأجزاء الكلام تَأتي من خلال حملها الاسم والكلمة والأداة, التي بها اكتسبت الصّفة اللّغويّة عناصر الذّاكرة؛ لأنّ التعامل مع الجملة من منظار الذّاكرة يُعْطيها واقعاً استعمالياً تداوليّاً مفروضاً وهي ترتبط بالاكتساب السابق للغة عند الإنسان. وغنيٌّ عن الذِّكر أنَّ التواصل اللّغوي لا يقوم على البنى والمفردات الضّمنية لدى متكلِّم اللّغة, ليس فقط بالقواعد التي تربط بين الدلالات والأصول اللّغويّة فحسب والتي هي ضمن كنايته اللّغويّة, بل يَقْتَضي التواصل اللّغوي الإلمام بقواعد التواصل التي يُمْكننا القول بأنَّها قائمة بصورة ضمنية عبر ما نسميِّه بالكفاية اللّغويّة التواصلية.[5]

ومعنى هذا كما يرى الدكتور حلمي خليل: أنَّ علم النّحو لا يتعامل مع جملة واقعية, وإنَّما يتعامل مع نماذج مُجرَّدة للجمل وهذه التفرقة قد تبدو لأوّل وَهْلة أثراً من آثار المدرسة الشكليّة, أو أثراً من آثار التفكير اللّغوي الحديث. ولكنْ بقليل من التأمل نجد أنّ علماء العربية القدماء, لم يفرّقوا حقاً هذه التفرقة النظريّة بين نماذج

---

1 سيبويه, الكتاب, ج1 ص209.

2 السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج2,ص 214,الشنتمري, شرح النكت, ج1 ,ص80.

3 نهر هادي, التراكيب اللّغويّة في العربية, ص326.

4 سيبويه, الكتاب, ج1 ص210.

5 زكريا ميشال, مباحث في النظريات الألسنية, ص91.

الجُمَل والجمل الواقعية, وإنّما كانوا يتعاملُون مع الأولى من خلال الثّانية و لا سبيل غير ذلك.[1]

---

1 خليل حلمي, العربية وعلم اللّغة البنيوي, ص175.

الفصل الثاني

الإسناد الفعلي

1.2 المفاعيل

1.1.2 المفعول به

2.1.2 المفعول فيه

3.1.2 المفعول المطلق

4.1.2 المفعول معه

1.1.2 المفعول به

تَقُوم الجملة الفعلية على علاقة إسنادية بين الفعل والفاعل وما يزيدُ على ذلكَ فضله. كقولك:" ضَرَبَ عَبْدُ الله زيداً". فــ" عَبْدُ الله" مرفوعٌ لأَنَّك شَغَلْت به الفعل, وانتصبَ" زيدٌ"؛ لأنّه مفعول تعدى إليه فعلُ الفاعل.[1] ومن هنا يَتَّضِح لنا أنّ الفعل يقسم إلى ثلاثة أنواع: الفعل المُتعدّي[2] وهو الذي يَنْصِب بنفسه مفعولاً به أو اثنين أو ثلاثة. الفعل اللازم وهو الذي لا يَنْصب بنفسه مفعولاً به- ونوعٌ مسموعٌ, يستعمل متعدياً ولازماً"" شكر, ونصح".[3]

عالج النّحاة العرب العلاقة الإسنادية بين الفعل والفاعل من خلال حَديثهم عن العِلل, يقول السيوطي[4]:" ألا ترى إلى اطّراد رَفْع الفاعل ونصب المفعول به, ويطرح سؤالاً: لِما صَار الفاعلُ مرفوعاً والمفعول به منصوباً؟ قال ابن جني[5]:" إنَّما ارتفع الفاعل لإسناد الفعل إليه, فكان مُغنياً عن قوله إنّما ارتفع لأنّه فاعل حتى يَسْأل فيما بعد عن العّلة التي لها رُفِعَ الفاعِلُ. فكلُّ فاعل مرفوع, وكلُّ مفعول به

---

1 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص54.

2 ويسميه بعض النحاة" المجاوزة"حسن عباس, النحو الوافي, ج2 ,ص150.

3 حسن عباس, النحو الوافي, ج2 ,ص150, انظر, ابن يعيش, شرح المفصل, ج7 ,ص65.

4 السيوطي, الأقتراح,ص70.

5 ابن جني, الخصائص, ج1 ,ص173.

منصوب؛ لأنّه ما وقع عليه فعل الفاعل إيجاباً أو سلباً.[1] إنّ الفرق بين الفاعل والمفعول به مَعْروف, فالفاعل مرفوعٌ والمفعولُ به مَنْصوب,[2] فإنْ قدَّمت المفعول به وأخَّرتَ الفاعل جرى اللّفظ كما جرى في الأول. وذلك قولُك:" ضَرَبَ زَيْداً عَبْدُ الله" لأنّكَ إنّما أردت به مؤخراً, ما أَرَدْت به مقدماً, ولم تُرِد أنْ تُشْغل الفعل بأوّل منه وإنْ كان مؤخراً, في اللفظ.[3] كأنّهم يقدمون الذي بيانه أهمّ لهم, وهم بشأنه أعنى.[4]

أمّا الأفعال فهي على ضربين, مِنْها ما هو لازمٌ للفاعل غيرَ متجاوزٍ له إلى مفعول ويقال له غير متعدٍ, ومِنْها ما يتجاوز الفاعل إلى المفعول به ويقال له المتعدي.[5] فالفعل اللازم هو الذي لا يَنْصب بنفسه مفعولاً به وإنّما ينصبه بمعونة حرف الجّر أو غيره مما يفضي إلى التّعدية فيكون في الظّاهر مجروراً وفي المعنى مفعولاً به لذلك الفعل.[6] أمّا سيبويه[7] فيرى أنّ الفعل يّتعدّى بحروف الإضافة, ومن ذلك قولُك:" اختَرْتُ الرِّجالَ عَبْدَ الله". ومثل ذلك قوله تعالى:" واختارَ موسى قَوْمَهُ سَبْعينَ رجلاً",[8] ومنه قول الشاعر:[9]

أسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبَاً لسْتُ مُحْصِيهُ   رَبَّ العبَادِ إليه الوجهُ والعَمَلُ

الشاهد فيه" ذَنْباً" منصوب لأنّه مفعول به والتقدير" من ذنبٍ" على المعنى.[10]

---

1 حسن عباس, النحو الوافي, ج2 ,ص150

2 المرجع السابق, ج2 ,ص 64.

3 سيبويه, الكتاب, ج1 ص54.

4 الجرجاني, دلائل الإعجاز, ص84.

5 ابن يعيش, شرح المفصل, ج7 ,ص64.

6 حسن عباس, النحو الوافي, ج2 ,ص151.

7 سيبويه, الكتاب, ج1 ص 61.

8 سورة الأعراف 155.

9 ابن يعيش , شرح المفصل, ج7 ,ص63يقول ابن يعيش : وهو من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يعف قائلها ويستشهد به على الأصل استغفر الله من ذنبٍ " محذوف" من" لأنّ استغفر يتعدى إلى المفعول الثاني بمن.

10 حسن عباس, النحو الوافي, ج2 ص162.

أشار النُّحاة العرب إلى هذا من خلال حَديثهم عن أقسام العِلل: علّة تُطّرد على كلام العرب وتنساق إلى لغتهم، وعلّة تُظهرُ حكمتَهُم وتكشف عن صحةِ أغراضهم ومقاصدِهم في مَوْضُوعاتِهم.[1]

وهذا ما نَادَت به النّظريات الحديثة من خلال تعاملها مع المادة اللّغويّة، فقد سعى النحاة العرب إلى إحكام لُغَتْهم بقوانين قائمة على التعامل مع الأنْماط اللّغويّة التي تُمثّل واقعاً استعمالياً. فإذا عَجِز النّحوي في التعامل مع النمط الاستعمالي قال:" هذا مسموعٌ عن العَرَب"، لأنّ اللغة قائمة على روابط عقلية في كافة قضايا المعرفة الإنسانية، ويشير تشومسكي بوضوح إلى هذه الناحية بقوله:" في مجال الإدراك كما في مجال التعلّم، يقوم العقل بدور فاعل في تحديد ميزة المعرفة المُكْتَسبة".[2]

إنّ البُنى النّحويّة التي تشكّل الأسس العميقة للجمل في اللغة العربية هي التي تدعو إلى الاعتماد على المعنى في التّحليل اللغوي، لذلك لجأ النُّحاة العَرَب إلى القياس وعدم الإفراط في مواضع الخلاف. فجاء المفعول به منصوباً في الشّاهد السّابق على اللفظ في حين أنّ تحليل المعنى يقود إلى التّقدير في النّصب؛ لأنّ المعنى يفرض شَيْئاً من التّقدير، كقولك:" دَخَلْتُ في الدَّارِ" فالجارّ والمجرور في موضع نَصْبِ مفعول به، لأنّ القاعدة النّحويّة تَقْتضي ذلك.[3] إذا نظرنا إلى هذا من ناحية الذّاكرة اللّغويّة فإنّنا نستطيع أن نتعامل مع الأنّماط اللّغويّة كافّة بوصفها واقعاً استعمالياً، لأنّ الفصائل النّحويّة الفرعية قادرة على إنتاج أداءات لغوية جديدة يمكنها أنْ تُغْني القاعدة النّحويّة.

أمّا إذا تَعَاملت اللغة مع المستوى التقعيدي فإنّها تستخدم رموزاً لغوية ثابتة لا يُمْكن لها أنْ تولّد أبنية لغوية صحيحة. يقول تشومسكي:" إنّنا إذا أردنا أنْ ننتج جملة باستخدام نظام القواعد قُمْنا ببناء اشتقاق موسّع نبدأ فيه بالجملة، ثم ننتقل إلى القواعد

---

1 السيوطي، الاقتراح، ص71.

2 زكريا ميشال، مباحث في النظريّة الألسنية، ص158.

3 حسن عباس، النحو الوافي، ج2 ،ص162.

فَنَحْصل على خيط الانتهاء الذي هو متوالية من المورفيمات و لا يُشْترط فيها أنْ تكون مرتّبة ترتيباً صحيحاً, ثم ننتقل إلى متوالية من التحويلات.[1]

إنّ دراسة المستوى النّحوي للظاهرة اللّغويّة القائمة على الوصف تعتمد على عنصر التحليل إلى المكونات الأساسية القائمة على الحركات الإعرابية, وهذا ما جعل الذّاكرة اللّغويّة أقدر في التعامل مع الأنّماط اللّغويّة لأنّها تعُدُّ اللغة أكبر مساحة للتعبير, يقول لوسركل[2]: " إنّ الهَمَّ الأساسي في مفهومي للمتبقي[3] يكْمُنْ في أنّه يؤكد الحقيقة القائلة بأنّ خرق القاعدة النّحويّة لا يَجْعل الجملة غير مترابطة لغوياً. بل تَبْقى مفهومة, بالتالي تكون الجملة مَجَالاً مشروعاً لممارسة حريّة التّعبير".

وهذا ما حاول سيبويه معالجَته في حَديثه عن عمل الفعل في اللفظ فيما يَكُون مصدراً نائباً عن الفعل, إذ يقول:" مِنَ المَصادرِ ما يكونُ مَفْعُولاً فيرتَفِعُ كما يَنْتصِبُ إذا شَغَلْتَ الفعلَ به, وينتصَبُ إذا شَغَلْت الفعلَ بغيره, ومن ذلك قولُ العربِ:" بُسِطَ عليهِ مرّتان" وإنّما يريدُ:" بُسِطَ عليه العذاب مرّتين".[4]

فالشاهد فيه:" رفع مرّتَيَن" حيث عَمِل الفعل في اللّفظ على اعتبارها نائب فاعل وإنّما التقديرُ" مرّتين" مفعول به منصوب".[5]

يؤكد هذا الشاهد ما قاله لوسركل بأنّ خَرْق قاعدة نحويّة يُبْقي الجملة مفهومة وبهذا تكون الجملة واقعاً استعمالياً يُعطي التعبير حريّة عالية.

إنَّ أهم دراسة يمكن اعتبارها في النظريّة الحديثة للغة هي دراسة بنية العبارة التي تَعْتَمد على ترتيب القواعد ترتيباً موضوعياً قائماً على العمليّة الاشتقاقية لبنية العبارة؛ فهذه العملية هي توليديّة لأداءات جديدة مُسْتندة على الجانب القاعديّ على أساس أنّ الجمل تتميّز بكونها متساوية في عدم ورودها في اللغة, وهذا التميّز يقوم

1 تشومسكي نعوم, البنى النّحويّة, ص64.

2 لوسركل, عنف اللغة, ص84.

3 ويقصد بالمتبقي" الذّاكرة اللغوية" لوسركل, عنف اللغة, ص42/43.

4 سيبويه, الكتاب, ج1 ص306.

5 المرجع السابق, ج1 ص307.

على أساس درجة المقبولية النّحويّة[1]. قال ابن الأنبا ري[2]:" اختُلِفَ في القيّاس على الأصل المختلف في حكمه, فأجازهُ قومٌ لأنّ المختلف فيه إذا قامَ الدليلُ عليه صار بمنزلة المتفقُ عليه" وهذا ما قامت عليه الذّاكرة اللّغويّة؛ لأنّ الأداء اللغوي حتى لو خرج عن القاعدة النّحويّة فهو يمثّل واقعاً استعمالياً جديداً, لا شكّ أنّ هذه الظواهر جزءٌ من النظام النّحوي للغة فيرى الدكتور حملي خليل:" أنّ النظام تجريدٌ للكلام في حين أنّ الكَلام تطبيقٌ للنظام".[3]

فالذّاكرة اللّغويّة كَمَا قُلْنَا تحتوي على فصائل نحويّة تدخل على بنية العبارة وتعطيها واقعاً استعمالياً جديداً, وهذا ما سَمّته النظريّة التّوليديّة التّحويلية:" بالعناصر التّحويلية" التي تدخل على الجملة القاعديّة العميقة فتحدث تغيراً على البُنْية لتكسبها شكلاً قاعديّاً جديداً.[4] ولكنَّ النّحو العربيّ لم يلتفت إلى هذه العناصر, لأنّ القاعدة النّحويّة بنظر النحاة هي التي تَخْتَزل جميع الأنّماط اللّغويّة, ولا يُمكن لهذه الأنّماط أنْ تَخْرج عن القاعدة النّحويّة, فإذا خرجت عن القاعدة فإنّ عناصر القياس والتقدير والتّعليل تعمل على إحكام القاعدة النّحويّة, لأنّ العرب نَطَقَت على سجيّتها وطِبَاعها وعَرَفَتْ مواقعَ كلامِها, وقامت في عقولها عِلَلُهُ, وإن لم يُنْقَلُ ذلكَ عنها"[5] لذلك يرى سيبويه أنّ بعض العَرَب يقولُ:" لَقَدْ عَلِمْتُ أيَّ حينٍ عُقْبَتي" وبعضهم يقول:" لقد عَلِمْتُ أيُّ حينٍ عُقْبَتي".[6] عالج سيبويه هذا الشاهد وفق ما نَادت به النظريّة الحديثة بشأن العناصر التحويلية التي تَدْخل على بنية الجملة فيقول:"[7] هذا بابُ ما لا يعملُ فيه ما قَبْلَهُ من الفعلِ الذي يَتعدّى إلى المفعول ولا غيره, لأنّه كلامٌ قد عَمِلَ بَعْضُهُ

---

1 موور تيرنيس وكرستين كارلنغ, فهم اللغة, ص170.

2 السيوطي, الاقتراح, ص69.

3 خليل حلمي, العربية وعلم اللغة البنيوي, ص238.

4 انظرموور تيرنيس وكرستين كارلنغ فهم اللغة نحو علم لغلها بعد مرحلة تشومسكي , ص163/166.

5 السيوطي, الاقتراح, ص81.

6 المرجع السابق, ج1 ص317.

7 سيبويه, الكتاب, ج1 ص312.

في بعضٍ فلا يكون إلا مبتدأ لا يعمل فيه ما قبله؛ لأنّ ألف الاستفهام تمنعُهُ من ذلك, وهو قولك:" قَدْ عَلِمْتُ أ عبدُ اللهِ أم زيدٌ". وقوله تعالى:" لنَعْلَمَ أيُّ الحِزْبَين أحْصَى لِمَا لَبِثُوا أمداً".[1]

إنّ دخول همزة الاستفهام على المَفْعول به" أيُّ" غيرّ هذا الاسم عن حالة النّصب وقطع به الكلام عن الفعل الذي قبلّه وأصْبَح الاسم الذي بعد همزة الاستفهام مُبْتدأ يعمل فيما بعده, ولا يعمل فيه الفعل. وهذا ما نادت به النظريّة الحديثة؛ لأنّ دخول العنصر التحويلي" همزة الاستفهام" على بنية الجملة حوّل المفعول به إلى مبتدأ, فيمكن اعتبارهما" الهمزة والاسم" عضوين من فصيلةٍ لغويةٍ واحدةٍ تشكلُ نظأمّا لغوياً جديداً يخضع للذاكرةِ اللّغويّة.[2]

حذف الفعل بعد الحروف

يرى سيبويه أنّ الفعل المُستَعمل إظهاره يُضمر بعدَ حرفٍ وذلك قولُكَ:" الناسُ مجزيّونَ بأعمالِهم إنْ خيراً فخيرٌ, وإنْ شرّاً فشرٌّ, والمرءُ مقتولٌ بما قَتَلَ به, إنْ خِنجراً فَخِنْجَرٌ, وإنْ سَيْفاً فسيفٌ, وإنْ شئتَ أظهرتَ الفعلَ فقلت: إنْ" كان" خنجراً فخنجرٌ, وإنْ كان شرّاً فشرٌّ".[3]

فالقاعدة النّحويّة تذهبُ إلى أنّ الرّفعَ أحسنُ, لأنّكَ إذا أدْخَلت الفاء في جوابِ الجزاءِ استأنفتَ ما بعدها, وحُسنَ أن تقع بعدها الأسماء.[4]

ويقول سيبويه:" إنّ من العرب من يقول: إن خنجراً فخِنجراً, وإنْ شرّاً فشراً,كأنّه قال: إنْ كان الذي عَمِلَ خيراً جُزِيَ خيراً, وإن شرّاً جُزِيَ شرًّراً, وإنْ كان الذي قَتَلَ به خِنجراً كان الذي يُقْتَلُ به خِنجراً".[5]

---

1 سورة الكهف 12.

2 انظر,موور تيرنيس وكرستيِ ن كارلنغفهم اللغة نحو علم لغةلما بعد تشومسكي , ص81/80.

3 سيبويه, الكتاب, ج1 ص342.

4 انظر, ابن يعيش, شرح المفصل, ج2 ,ص31.

5 سيبويه, الكتاب, ج1 ص 323.

لقد جاء قياس القاعدة على قوله تعالى:" وإنْ كانَ ذو عُسْرةٍ فَنَظْرةٌ إلى مَيْسَرةٍ"[1] لأنَّ القاعدة تَذْهب إلى رفع الاسم على الابتداء بعد الفاء الواقعة للجزاء, فإذا جاء الاسم منصوباً يكون على حذف الفعل تقديراً.[2] لذلك لجأ النحاة إلى إحكام القاعدةِ النّحويّة وتقديمِ القياسِ كدليلٍ على أنّ هذه القاعدة محكومة ولا يمكن الخروجُ عنها." فإنّ الحكم الثابت للمقيسِ عليه إنّما هو الاستنباط والقياس.[3]

ويرى سيبويه أنّ من العربِ من يقولُ[4]:" إن لا صالحٍ فطالحٍ" على: إن لا أكن مررتُ بصالحٍ فبطالحٍ, وهذا قبيحٌ ضعيفٌ؛ لأنّك تُضْمِرُ بعدَ" إنْ لا" فعلاً آخر فيه حذف غيرَ الذي تُضمِرُ الجارُ بعد "إن لا" في قولك : إن لا يكن صالحاً فطالحٌ ولا يجوز أن يضمر الجارّ ولكنّهم لما ذكروه في أول الكلام شبّهوه بغيره من الفعل.

يُمثِّل هذا خرقاً للقاعدة النّحويّة وقد أشار سيبويه إلى ذلك بقوله:" وهذا قبيحٌ ضعيفٌ" ولكنَّهم لجأوا إلى عنصر التأويل لإحكام القاعدة النّحويّة. فقد قبّح النّحاة هذا القول من جهتين: إحداهما أنّك تَحْتاج إلى إضمار أشياء وحكم الإضمار أن يكون شيئاً واحداً. والجهة الأخرى: أنّ حرف الجرّ يَقْبح إضماره إلاّ في مواضع قد جُعِل منها عوضاً.[5]

فقد عالجَ النَّحاة مثل هذه الظواهر بعلّة النقض؛ لأنّ الاسم ليس لَهُ مسوّغٌ أن ينصب ولكن الرّفع بمعنى في اللفظ.[6]

يمكن معالجة مثل هذه الظواهر بشكلٍ منتظمٍ وفقاً لمفهوم الذّاكرة اللّغويّة بين المعنى والدّلالة, من حيث أنْ يكون هناك شيءً ما يَرْبُط بين الكلمة والعبارة, وبين امتدادها الدلالي دون النظر إلى النظام النّحوي. لأنّ هذا النظام يَعْمل على تحديد

---

1 سورة البقرة 280.

2 ابن يعيش, شرح المفصل, ج2 ,ص38.

3 السيوطي, الأقتراح, ص69.

4 سيبويه, الكتاب, ج1 ص347.

5 المرجع السابق, ج1 ص347.

6 السيوطي, الأقتراح, ص 89.

قُدْرة هذه الجملة على الامتداد من الناحية الدلالية.[1] لذلك أَخَذَتْ هذه الأنّماط واقعاً استعمالياً في اللغة. ولكن إشارة النحاة العرب إلى أن هذا قبيحٌ ضعيفٌ هي دعوة إلى تجاوز عمل الذّاكرة اللّغويّة التي تقوم على التداولية"pragmatics" والرجوع إلى القاعدة النّحويّة ما دعا له النحاة العرب.

حذف الفعل لكثرته في الكلام:

ذهب سيبويه إلى جواز حذف الفعل لِكثْرته في الكلام حتى صار بمنزلة المثلِ, وذلك قولُك:" هذا و لا زَعَمَاتِكَ" أي" ولا أتوهمُ زعَمَاتِكَ". ومن العرب من يقول:" كلاهما وتمراً". كأنه قال:" كلاهما لي ثابتان وزدني تمراً".[2]

إن قرائن الأحوال قد تُغْني عن اللّفظ, وذلك أَنّ المراد من اللفظ الدلالة على المعنى, فإذا ظهر المعنى بقرينة حاليّة أو غيرها لم يحتج إلى اللفظ المطابق.[3] وهذا ما نَادت به النظريات الحديثة لأنّ الجَانب التّحويلي يعتمد على المعنى في تحديد مدى صلاحية النظام اللغوي.[4] ويرى تشومسكي أنّ أهم نقطة في تحديد مدى صلاحية النِّظام اللغوي, هي قدرة النظام على تحديد الجمل القاعديّة, وهذه السّمة الرئيسة في التفسير القائم على قبول الجملة ورفضها استناداً إلى الذّاكرة اللّغويّة الفذّة التي اختزلت جميع القواعد.[5]

قدم النحاة العرب تفسيراً للظّواهر اللّغويّة التي تَخْرج عن القاعدة النّحويّة, وكان تفسيرهم يستند إلى التعليل والقياس لأنّ هذه الظواهر أصبحت واقعاً استعمالياً مفروضاً على اللغة. لذلك اعتقد النّحويون أنّ ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم.[6] بمعنى أنّهُ أصبح واقعاً استعمالياً يُقاس عليه, ودخل ضِمْن إطار النظام النّحوي, لأنّ النّحو عندهم صادر عن تصورات عقلية منطقية, وأنّ عمل النّحو

---

1 انظر, محمود السعران, علم اللغة, ص172/ 174.

2 سيبويه, الكتاب, ج1 ص369/370.

3 ابن يعيش, شرح المفصل, ج1 ,ص125.

4 موور تيرنيس وكرستين كارلنغ, فهم اللغة, ص126.

5 انظر, تشومسكي نعوم, البنى النّحويّة, ص14.

6 السيوطي, الأقتراح,ص68.

يَنْبَغي أنْ ينصبَّ على الواقع اللغوي نفسه, ولكنَّ تشومسكي رفض كلَّ هذا وعده لوناً من التعامل مع سطح اللغة دون عمقها.[1] فجملة" كِلاهُما وتَمْراً" متحوِّلة عن بنية عميقة قائمة على عناصر إسنادية تَتَمثّل في الجملة الفعلية وفقاً لقواعد النحو. أمّا الذّاكرة اللّغويّة فتعتبر هذه الأنْماطُ بنية عميقة دون النظر إلى البنية العميقة المتحولة عنها, لأنّ كل جملة تُمثِّل واقعاً استعمالياً مستقلاً عن الآخر تخرج من الذّاكرة اللّغويّة التي تفترض وجود النظام النّحوي مسبقاً.[2]

يرى تشومسكي:" أنّ نظام قواعد ما يعكس الذخيرة المحددة الاعتباطية للقولات الملحوظة إلى مجموعة يُفْتَرض فيها أنْ تكون غير محدودة من القولات القاعديّة.[3] هذا ما حاول النّحاة العرب تفسيره وتعليله أثناء دراستهم للأداءات اللّغويّة التي تخرج عن القاعدة. يقول سيبويه[4] في قولهم:" مالَكَ وزيداً, وما شَأْنُكَ وعمراً" فإنْ حَمَلْتَ الكلام على الكاف المضمرة فهو قبيحٌ, وإنْ حملتَه على الشأن لم يجز, فلما كان ذلك قبيحاً حملوه على الفعل, فقالوا: ما شأنُكَ وزيداً, أي: ما شأنُك وتناولُكَ زيداً".

يقوم التفسير الذي قدمه سيبويه على أساس تحليل الجملة إلى مكوناتها الأساسية وفق العلاقة الإسنادية التي تقوم على تقدير العامل في نصب" زيداً" فلا بُدَّ من مسوغٍ للنصب. فلذلك لجأ سيبويه إلى حمل الاسم المنصوب على فعل محذوف لقُبح حمله على الضّمير المتّصل أو على الشأن؛ لأنّ الموقع الإعرابي يقتضي النّصب.[5] وهذا ما دَعَتْ له النظريّة التّوليديّة التحويليّة في تقديرها للعامل الذي يعمل في بُنْيَة العبارة اعتماداً على قدرة النظام على الرّبط بين المتواليات التي

---

1 خليل حلمي, العربية وعلم اللغة البنيوي, ص179.

2 انظر, زكريا ميشال, مباحث في النظريّة الألسنية, ص110/100.

3 تشومسكي نعوم, البنى النّحويّة, ص19.

4 سيبويه, الكتاب, ج1 ص400.

5 ابن يعيش, شرح المفصل, ج2 ,ص27.

يولّدها نظام القواعد ومدى قبول هذه المتواليات من ابن اللغة وهو تفسير يتبع تفسير سيبويه لهذا التركيب.[1]

الفعل المحذوف وجوباً

يكون الفعل محذوفاً وجوباً إذا فُسِّر بفعل ذُكِرَ بعد الفاعل ويكون مسنداً إلى ضمير الفاعل, وذلك إذا وَقَع بعد أداة خاصة بالأفعال, كأدوات الشرط.[2] نحو قوله تعالى:" وإنْ أحَدٌ مِن المُشْرِكيْنَ اسْتَجَارَكَ فأجرهُ"[3] ويرى سيبويه" أنّ مِنَ المصادر ما يُنصب على إضمار الفعل غير المُسْتَعْمل إظهارهُ, وذلك قولُك:" سَقْيَاً ورعياً وخَيْبَةً ودَفْرَاً".[4]

فالقاعدة النّحويّة تَنْصبُ المصدر لفعل غير مستعمل إظهاره لكنّ الشّعراء, رفعوا بعض هذا فجعلوه مبتدأ وجعلوا ما بعده مبنياً عليه[5], قال أبو زُبَيْد:[6]

أقامَ وأقوى ذاتَ يومٍ وخَيْبَةٌ لأوّلِ من يَلْقَى, وَشَرٌّ مُيَسَّرُ

فالشاهد في هذا البيت قوله:" خيبةٌ" رفعهُ بالابتداء. يقول سيبويه: إنّ هذا شبيهٌ ببيتٍ سمعناهُ مِمّن يوثقُ بعربيتهِ يرويه لقومهِ قال:[7]

عَذيرُكَ مِنْ مَوْلىً إذا نِمْتَ لم يَنَمْ يقولُ الخَنا أو تَعْتَرِيكَ زَنابرُه

فلم يحمل الكلام على اعذريني, ولكنهُ قال: إنما عذرُك إيّاي مِنْ مَوْلى أمرُهُ, فالشاهد فيه قولُكَ" عَذِيرُكَ" رفعه بالابتداء.[8] ذهب النحاة إلى وجوب حذف الفعل في هذا الباب ونصب الاسم لفعلٍ غير مُستعمل يقدره المعنى, ولكنّ الشّعراء خرقوا هذه القاعدة برفع الاسم على الابتداء. وبناء ما بعدها عليه.

---

1 انظر تشومسكي نعوم, البنى النّحويّة, ص18/14.

2 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ,ص252.

3 سورة التوبة 6.

4 سيبويه, الكتاب, ج1 ص404.

5 المرجع السابق, ج1 ص406.

6 ديوان أبو زبيد الطائي ص 61/ ابن يعيش, شرح المفصل, ج1 ,ص114.

7 السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج3 ,ص82, الشنتمري, شرح النكت, ج1 ,ص172.

8 سيبويه, الكتاب, ج1 ص406.

فقد أعطت الذّاكرة اللّغويّة هذه الأنّماط واقعاً استعمالياً مَقْبولاً, لأنّ الذّاكرة تستطيع أن تَخْتزل جميع الأنّماط اللّغويّة بصرف النظر عن العلاقات الإعرابية المترافقة مع الكلمات الأخرى فكلُّ كلمة تمثِّل وحدة مستقّلة عن الأخرى و لا تحتكم معها بنظام معين.[1] أمّا القاعدة النّحويّة فتفرض علاقة وثيقة بين كلمةٍ ما وبقية كلمات الجملة, فكلما كان ارتباطها بالسياق النّحوي والعلاقة الإعرابية قوياًّ كان تأثير المعنى ضعيفاً في حين أنّ الذّاكرة اللّغويّة تُعْطي الكلمة قدرة عالية على التعامل مع المعنى دون النظر إلى العلامة الشكلية, يقول لوسركل:" إنّ اللغة تَبْقي نشاطاً محكوماً بقواعد وخَرْقاً للقواعد. وهذا الخرق نوع من النشاط الإبداعي الذي يتمتع بأهمية مساوية للإبداع الملتزم بالقواعد, فهذا دليلٌ على أنّ الذّاكرة اللغوية أقدر على التعامل مع جميع الأنماط اللغوية لأنّها تعطيها واقعاً استعمالياً في اللغة, وتكسب اللغة قدرة إبداعيّة لإنتاج أنماطٍ لغوية جديدة.[2]

إضمار الفعل المتروك إظهاره

يرى سيبويه أنّ المصدر ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره لأنّ يصيرُ في الأخبار والاستفهام بدلاً من اللّفظ بالفعل كما كان" الحَذَرُ" بدلاً من احذر في الأمر.[3] كقولك:" أقيَاماً يا فلأنّ والناسُ قعودٌ" و" أجلوساً والناسُ يفِرون" لا يُريد أن يُخبر, و لا أنّه قد جلس وانْقَضى جلوسه, ولكنّه يخبر أنّهُ في تلك الحال في جلوسٍ وفي قيام".[4] ومن ذلك قول بعض العرب:" أغُدَّةً كغُدَّةِ البَعيرِ ومَوْتاً في بيتِ سَلُولِيَّةٍ".[5] كأنهُ إنما أراد:" أأُغدُّ غُدَّةً كَغُدَّةِ البعيرِ وأموتُ موتاً في بيتِ

---

1 انظر, تشومسكي نعوم, البنى النّحويّة, ص30/23.

2 لوسركل,عنف اللغة, ص76.

3 سيبويه, الكتاب, ج1 ص436.

4 المرجع السابق, ج1 ص420.

5 الميداني, مجمع الأمثال, ج2 ,ص57.

سلُوليّة".[1]يقول ابن يعيش:" ومن المنصوب باللازم إظهارُه ما أُضمِرَ عاملُه على شريطة التفسير.[2]

إنّ واقع اللّغة معقّد وقد يُثير كثيراً من اللّبس في التمييز بين الجمل القاعديّة والجمل غير القاعديّة, وهذا يفضي باللغوي إلى الاحتكام إلى نظام القواعد الذي بدوره هو القادر على التمييز بينهما تمييزاً قائماً على التحليل إلى مكونات النظام الأساسية. ورفض كل ما هو قائم على الاحتمال.[3] وهذا ما دعا النّحاة العرَب للتقدير؛ لأنّ الأداء الكلامي يمثّل استعمالاً آنياً للّغة ضمن سياقات محدّدة يُمكن لها أنْ تكون واقعاً استعمالياً مفْروضاً على القاعدة النّحويّة, لذلك أصْبَحت هذه الاستعمالات تداولية وإنْ كانت خارجة عن القاعدة إلا بعنصر التقدير, فمجيء الاسم منصوباً في ابتداء الكلام يفرض على القاعدة أنْ تقدّر فعلاً محذوفاً لتسوغ النصب ولكنّ الذّاكرة اللّغويّة باستطاعتها أنْ توجّه الاستعمال اللغوي نحو القاعدة لأنّ الذّاكرة اللّغويّة تستند على العقل.[4] ويرى سيبويه أنّكَ تقول[5]:" مررتُ به فإذا له صوتٌ صوْتَ حمارٍ, ومررتُ به فإذا لَهُ صُراخَ الثّكلى". وإن شئْتَ قُلْتَ: لَهُ صوتٌ صَوْتُ حمارٍ. وذلك إذا جعلته صفةً للصوت ولم تُردْ فعلاً وإضمارَهُ".[6] أمّا النّصب" صوت" فهو على التشبيه بإضمارِ فعلٍ وذلك قولك" له صَوْتٌ يُشبه صَوْتَ الحمارِ".

اعترف النّحاة العرب بعروبة هذه الجمل عِنْد سَماعها لذلك لجأوا إلى تعدُّد وجوه الإعراب فيها لإحكامها وضَبْطها وفق أنظمة القاعدة النّحويّة, وتقديم الشروح الكافية لتأويل عمل العُنْصر الشكلي وأثره في البنية النّحويّة. وما يطرأ على شكل هذه البنية من تغيرات على المستوى الفنولوجي للجملة. وقد تنبهوا أيضاً إلى السّليقة

---

1 سيبويه, الكتاب, ج1 ص441.

2 ابن يعيش, شرح المفصل, ج2 ص30.

3 انظر, تشومسكي نعوم, البنى النّحويّة, ص22/21.

4 انظر, زكريا ميشال, مباحث في النظريّة الألسنية, ص154.

5 سيبويه, الكتاب, ج1 ص464.

6 المرجع السابق, ج1 ,ص471.

اللّغويّة التي تَعْمل على إنتاج أعداد من الجمل الخارجة عن القاعدة النّحويّة, وقدرة النظام على استِقْطاب ما يمكن أنْ يخرج عن قوانينه, والفرد بمقتضى القول مسيّر في اللجوء إلى الصواب دون الخطأ, وليس مُخيّراً في أنْ يعتمد الخطأ في اللغة؛ لأنّ لسانَهُ سيرتدُّ إلى الصواب.[1]

التنازع

وهو ما يَشْتَمل على فعلين- غالباً- مُتَصرّفين مذكورين, أو على اسمين يشبهانهما في العمل, أو على فعل واسم يشبههُ في العمل, وبعد الفعلين وما يشبههما معمولٌ مطلوب لكلٍّ من الاثنين السابقين.[2] نحو:" ضَرَبْتُ وأكْرَمْتُ زيداً". فذهب البصريون إلى أنَّ الثاني أولى لقُرْبِهِ منه, وذهب الكوفيون إلى أنَّ الأوّل أولى به لتَقَدُّمه.[3] أمّا سيبويه[4] فيقول:" هذا بابُ الفاعلين والمفعولَيْن اللّذيْنِ كلٌّ واحدٍ منهما يَفْعَلُ بفاعلِهِ مِثْلَ الذي يَفْعَلُ به, وما كان نحو ذلك, وهو قولُك: ضَرَبْتُ وضربني زيدٌ, وضربني وضَرَبْتُ زيداً, تحمل الاسم على الفعل الذي يليه". والخلاف بين البصريين والكوفيين, أنَّه يجوز إعمال كلٍّ واحد من العاملين في ذلك الاسم الظاهر, ولكن اختلفوا في الأولى منهما به.[5]

إعمال الأول: قال سيبويه[6]:" فإنْ قُلْتَ: ضربتُ وضربوني قَوْمَك, نصبت إلاّ في قول من قال:" أكلوني البراغيثُ" أو تحمله على البدل, فتجعله بدلاً من المُضْمَر, كأنَّهُ قال:" ضَرَبْتُ وضَرَبَني ناسٌ بنو فلانٍ, وعلى هذا الحدِّ تقول: ضربتُ وضربني عبدَ الله تضمر في" ضرَبَني" كما أضمرتَ في ضربوني".

إعمال الثاني: يرى سيبويه أنّ ذلك يُشبه قولهُم:" ضَرَبْتُ وضَرَبَني قومُكَ" وإذا قلتَ: ضَرَبَني, لم يكن سبيلٌ إلى الأول, لأنَّك لا تقول:" ضَرَبَني" وأنت

---

1 حسان تمام, اللغة بين المعيارية والوصفية, ص84.

2 حسن عباس, النحو الوافي, ج2 ,ص187.

3 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ,ص262.

4 سيبويه, الكتاب, ج1 ص119.

5 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ص262.

6 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص123.

تجعل المضمر جميعاً, ولو أعملت الأول لقُلْتَ: مررتُ ومرّ بي بزيدٍ, وإنما قبح هذا أنهم جعلوا الأقرب أولى إذا لم ينقض معنى.[1] قال الفرزدق:[2]

ولكنَّ نِصفاً لو سَبَبْتُ وسبّني　　　　بَنُو عبدِ شمسٍ مَنْ مَنافٍ وهاشِمِ

فالفعل الأول مُعْمَلٌ في المعنى وغيرُ مُعْمَلٍ في اللفظ, والآخر مُعْمَلٌ في اللفظِ والمعنى.[3]

يجري التمييز في إعمال الاسم الأول أو الاسم الثاني في التّنازع على أساس عقلي وفلسفي قائم على تحليل الأداء الكلامي إلى معناهُ البلاغي, لذلك فإنّ القاعدة النّحويّة تقوم على نوعٍ من الاضطراب والتعقيد, يرى عبّاس حسن, أنّ الاضطراب يبدو في كثرة الآراء والمذاهب المتعارضة التي لا سبيل للتوفيق بينها, ويَتجلّى ذلك في أنَّ بعضها يُجيز حذف المرفوع؛ كالفاعل, وبعضها لا يُجيزُ, وفريقٌ يُجيز أن يشترك فعلان أو أكثر في فاعلٍ واحدٍ, وفريقٌ يمنع.[4] لا بدّ من الاحتكام إلى الذّاكرة اللّغويّة التي تُجيز للأنماط اللّغويّة أنّ تتصارع فيما بينها لتُعطي الأنماط الأكثر تداولية واقعاً استعمالياً في اللغة,[5] وهذا ما نادت به النظريات الحديثة, لأنّ التداولية هي التي تُكْسب الأداء اللغوي نِظاماً قاعديّاً مفروضاً على اللغة. يقول تشومسكي:"[6] إنّ واقع اللغة معقّد وقد يُثير كثيراً من اللبْسِ في التمييز بين الجمل القاعديّة والجمل غير القاعديّة وهذا يفضي باللّغوي إلى الاحتكام لذاكرته اللّغويّة التي بدورها هي القادرة على التمييز بينهما, تمييزاً قائماً على التحليل إلى مكونات النظام الأساسي ورفض كل ما هو قائم على الاحتمال. لذلك يكون التنازع وفق تحليل بنية الجملة وتفسير معناها تفسيراً بلاغياً.

---

1 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص122.

2 الفرزدق, ديوانه ص 844/ السيرافي, شرحكتاب سيبويه , ج2 ,ص452, الشنتمري, شرح النكت, ج1 ,ص83.

3 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص123.

4 حسن عباس, النحو الوافي, ج2 ,ص201.

5 انظر, موور تيرنيس وكرستين كارلنغ, فهم اللغة, ص106.

6 انظر, تشومسكي نعوم, البنى النّحويّة, ص22/19.

2.1.2 المفعول فيه" الظرف"

وهو ظرف الزمان والمكان, وكلاهما منقسمٌ إلى مبْهَم ومُؤقّت ومُسْتعمل اسماً وظرفاً. ومُستَعملُ ظرفاً لا غير.[1] فالظرفُ اسمٌ منصوبٌ يدلُّ على زمان أو مكان يتضمن معنى " في" باطراد.[2] يقول ابن مالك:[3]

الظرفُ وقتٌ أو مكانٌ ضُمِّنا "في" باطرادٍ كَهُنَا أمْكُثُ أزْمُنا

يتعدّى الفعلُ إلى الزمان نحو قولِك:" ذَهَبَ" لأنّه يُبْنى لِمَا مضى منه وما لم يمض, فإذا قلت:" ذهبَ" فهو دليلٌ على أنَّ الحدث فيما مضى من الزمان, وإذا قلتَ, سَيَذْهبُ, فإنّه دليلٌ على أنّه فيما يستقبل من الزمان.[4] وتقول:" ذَهَبْتُ أمسِ" وسأذهبُ غداً فإنْ شئت لم تجعلهما ظرفاً, فهو يجوز في كلِّ شيءٍ من أسماء الزمانِ. كما جاز في كلِّ شيءٍ من أسماء الحدث".[5]

ويرى سيبويه[6] أنّ الفعل يتعدّى إلى ما اشتقّ من لفظه" اسماً للمكان" لأنّه إذا قال: ذَهَبَ أو قَعَدَ" عُلِمَ أنَّ للحدث مكان وإنْ لم تذكره, وذلك قولك:" جَلَسْتُ مَجْلِساً" وقَعَدْتُ المكانَ الذي رأيتُ"... وقال بَعْضُهم:" ذَهَبْتُ الشامَ" يشبه بالمُبْهَمْ إذا كان مكاناً أو كان يقع عليه المذهبُ, وهذا شاذٌّ لأنّه ليس في" ذهب" دليلٌ على الشام, وفيه دليلٌ على المذهب والمكان, ومثل" ذهبتُ الشامَ" " دخلتُ البيتَ". اعتبر النحاة" الشامَ" ظرفاً مختصاً وعامله هو الفعل" ذَهَبَ" وتعرب هنا ظرفاً منصوباً".[7]

---

1 ابن يعيش, شرح المفصل, ج2 ,ص40.

2 حسن عباس, النحو الوافي, ج2 ,ص244.

3 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج2 ,ص271.

4 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص55.

5 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص56 –انظر ابن يعيش, شرح المفصل ,ج2 ,ص 41.

6 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص56.

7 حسن عباس, النحو الوافي, ج2 ,ص253.

ويرى سيبويه أنَّ الأسماء تقع ظرفاً وتصحيح اللّفظ على المعنى فمن ذلك قولُهُ:" متى يُسار عليه؟" وهو يجعله ظرفاً, فيقول: اليومَ أو غداً أو بعدَ غدٍ, والرَّفع في هذا عربيٌّ كثيرٌ في جميع لغات العرب.[1]

لقد أجرى سيبويه هذه القاعدة على المعنى, إنْ شئت نَصَبْت الاسم على الظرفية, وإنْ شئت جعلتهُ مبتدأ, فالمعنى أعطى مساحة للقاعدة النّحويّة في التعامل مع الأنماط اللّغويّة التي استندت إلى الذّاكرة, لأنّ علم اللغة قائم على دراسة اللغة نفسِها دراسة تحليلية بطريقة موضوعية, وهذا ما دعا له دي سوسير إذ قال:" إنّ علم اللغة" في ذاتها" فهو يدرسُها من حيثُ هي لغة, يدرسُها كما هي, يدرسُها كما تظهر, فليس للباحث فيها أنْ يغيّر من طبيعتها.[2]

وهذا ما تنبه له سيبويه أثناء حديثه عن" كَمْ" التي لا يكون العمل فيه من الظرف إلا متصلاً في الظرف كله كقولك:" كَمْ سيرَ عليه الليلَ والنهارَ والدهرَ والأبدَ, وهذا جواب لقوله: كم سيرَ عليه إذا جعلته ظرفاً لأنّه يُريد: في كَمْ سيرَ عليه؟ فتقول مُجيْباً له: الليلَ والنهارَ والدهرَ والأبدَ. وإنْ لم تجعله ظرفاً فهو عربيٌّ كثيرٌ في كَلامِهِم.[3] إنَّ ما صلح جواباً لأداة الاستفهام:" كَمْ" أو" متى" يكون الحدث" المعنى" في جميعِهِ تعميماً أو تقسيماً, فإذا قلت سِرْتُ يومين, فالسير واقعٌ في كل منها من أوله إلى آخره.[4] ويرى سيبويه[5]:" أنك تقول: ذهبتُ الشتاءَ" و" يَضْرِبُ الشتاءَ" وسَمِعْنا بعض العرب يقولون: انطلقتُ الصيفَ, أجْرُوه على جواب متى لأنّه أرادَ أن يقول في ذلك الوقت, قال جرير[6]

هَبَتْ جنوباً فذكرى ما ذكرتُكُمُ عِنْدَ الصّفاةِ التي شرقيّ حَوْرَانا

---

1 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص288.

2 محمود السعران, علم اللغة ,ص48.

3 سيبويه, الكتاب, ج1, ص289.

4 حسن عباس, النحو الوافي, ج2, ص 270.

5 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص292.

6 جرير, ديوانه, ص 596.

الشاهد في هذا البيت قوله:" شرقيَّ" نصبه على الظرف[1]. وقال بعضهم: دارُهُ شرقيُّ المسجد[2].

إن القاعدة النّحويّة تَذْهَب إلى أنّ الظرف يكون مَنْصوباً والنّاصب له أمّا مذكور أو محذوف جوازاً, نحو أنْ يقال:" مَتَى جِئْتَ"؟ فتقول " يَوْمَ الجُمْعَةَ". أو وجوباً كما إذا وقع الظرف صفةً نحو:" مررتَ بِرَجُلٍ عِنْدَكَ" أو صلة" جَاءَ الذّي عِنْدَكَ" أو حالاً نحو" مَرَرْتُ بِزَيْدٍ عِنْدَكَ" أو خبراً في الحال أو في الأصل نحو" زيدٌ عِنْدَكَ"؛ فالفاعلُ في هذه الظروف محذوفٌ وجوباً وتقديره" استَقَرَّ."[3]

تنبه سيبويه إلى أنّ هذه الظروف قد تَخْرج عن النّصب وتكون مرفوعة على الابتداء, ولكن هذا الخروج يكون وفقاً للمعنى, فالمعنى هو الذي يفرض على القاعدة أنْ تكون أكثر مُرونة في التعامل مع الأداءات لأنّ اللّغة أوسع من أن تكون محصورة بالقاعدة النّحويّة. ولكنّ الذّاكرة اللّغويّة هي التي تستطيع أنْ تَتَعامل مع جميع الأنّماط اللّغويّة. يقول سيبويه:" والرَّفعُ في هذا عربيٌّ كثيرٌ في لغات العَرَب".[4] فَهَذا يقودنا إلى أنَّ الذّاكرة اللّغويّة كَانَتْ حاضرة في عقول النُّحاة العرب أثناء تناولهم المادة اللّغويّة, وتَكْمُنْ أهمية ذلك في أنّ دراسة اللغة تحدّدها بنية العقل الإنساني الذي يستطيع أنْ ينتج جملاً لم يسمعها من قبل وقد تخرج عن القاعدة النّحويّة.[5] قام علماءُ اللّغة بالتعامل مع جميع الأنّماط اللّغويّة ضِمْن الواقع الاستعمالي, مقدّمين الكثير من التعليلات لهذه الأنّماط التي تخرج عن القاعدة النّحويّة, ومُنبّهين إلى أنّ الذّاكرة اللّغويّة هي التي أوجدت هذه الأنّماط وأعطتها واقعاً استعمالياً مفروضاً على القاعدة, كقولهم:" هو منِّي مَقْعَدَ القَابِلَةِ ومَزْجَرَ الكَلْبِ" والقياسُ" هو منِّي في مَقْعَدِ القَابِلَةِ وفي مَزْجَرِ الكلبِ" ولكنْ نُصبَ شُذوذاً لا يقاس

---

1 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ,ص147.

2 سيبويه, الكتاب, ج1, ص296.

3 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1, ص280.

4 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص288.

5 انظر, زكريا ميشال, مباحث في النظريّة الألسنية, ص101.

عليه,[1] فهذا اعتراف بأنّ الذّاكرة اللّغويّة هي التي تُعْطي الأنّماط اللّغويّة واقعاً استعمالياً مفروضاً.

3.1.2 المفعول المطلق:

هو المَصْدَر, سُمي بذلك لأنّ الفعل يَصْدُر عنه, ويُسميه سيبويه" الحَدَثُ والحدثان" وربَّما سمّاه الفعل.[2] فالمطلق الذي ليس مقيّداً تقييد باقي المفاعيل بذكر شيء بعده كحرف الجرِّ ومجرورة أو غيره من القيود.[3] أمّا سيبويه[4] فيقول:" هذا بابُ ما يكونُ المصدّرُ فيه توكيداً لنفسِه, نَصْباً, وذلك على قولِكَ:" لَهُ عليّ ألفُ دِرْهمٍ عُرْفاً, ومثل ذلك قول الاحوص:[5]

إنيّ لأمْنَحُكَ الصُّدُودَ وإننّي قَسَمَا إلَيْكَ مع الصُّدود لأميلُ

وإنّما صار توكيداً لنفسه لأنّه حين قال:" لَهُ عليَّ" فقد أقَرَّ واعترفَ حين قال لأميلُ عُلِمَ أنّهُ بَعْدَ حلفٍ ولكنّهُ قال:" عُرفاً وقسماً توكيداً.[6]

يقول ابن يعيش[7] " المَصادرُ المنصوبة بأفعال مُضْمَرة على ثلاثة أنواع: ما يُسْتعملُ إظهارُ فعلِه, وإظهاره وما لا يُستعمل إظهار فعله وما لا فِعْل لَهُ أصلاً. وثلاثتها تكون دعاء وغير دعاء" يقول سيبويه[8]:" هذا بابُ ما يَنْتَصب على إضْمَار الفعل المَتْروك إظهاره مِنَ المَصَادر في غير الدعاء, ومن ذلك قولك:" حَمْداً وشُكْراً لا كُفْراً وعَجَباً". وأفعلُ ذلك كرامَةً ومَسرّةً ونِعْمَةَ عين... فإنما يَنْتَصب هذا على

1 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ,ص281.

2 ابن يعيش, شرح المفصل, ج1 ,ص110.

3 حسن عباس, النحو الوافي, ج2, ص 204- ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ,ص267.

4 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص501.

5 الاحوص, ديوانه ص153, ابن يعيش, شرح المفصل, ج1 ,ص116.

6 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص501.

7 ابن يعيش, شرح المفصل, ج1 ,ص113.

8 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص413.

إضمار الفعل, كأنك قلت:" أَحْمَدُ اللهَ حمداً, وأَشْكُرُ اللهَ شكراً" وبهذا فقد استخدم النّحويون عدة مصطلحات للتعبير عن هذا النوع من المفاعيل.[1]

وقد جاء بعض المصادر رَفْعاً يُبْتدأ ثمّ يُبْنى عليه, يقول سيبويه.[2] وسمعنا بعضَ العربِ الموثوقُ به يُقالُ له: كَيْف أصْبَحْتَ؟ فيقولُ: حَمْدُ اللهِ, وثَنَاءٌ عليه, كأنّه يحمله على مُضْمَر في نيتهِ هو المظهر, كأنّه يقول: أمْرِي وشَأْنِي حمدُ اللهِ, وثناءٌ عليه, ولو نَصَبْتَ لكان الذي في نفسهِ الفعلُ, وهذا مثل بيتٍ سمعناه من بعض العرب الموثوق به يرويه.[3]

فقالتْ: حنانٌ, وما أتى بِكَ ههنا   أذُو نَسَبٍ أمْ أنْتَ بالحيّ عَارِفٌ

وهناك مصادر وضعت موضعاً واحداً لا تَتَصرّف في الكلام, وتسمى المصدر الجامد, وذلك نحو: سُبْحَانَ اللهِ ومَعَاذَ اللهِ.[4] قال سيبويه[5]:" هذا بابٌ من المصادر يَنْتَصِبُ بإضْمَار الفعل المتروك إظهاره ولَكِنّها مَصادرٌ وضِعَتْ مَوْضِعاً واحداً لا تَتَصرّف في الكلام". ويرى سيبويه أنّ من العربِ من يَرْفعُ" سَلامٌ" إذا أراد معنى المبارأة, كما رفعوا" حنان", سَمِعْنا بعض العرب يقول" لرجلٍ" " لا تكونَنّ في شيءٍ إلا سَلَامٌ بسَلامٍ" أي أمري وأمرُك المُبَارأة والمُتَارِكة, وتركوا لفظ ما يُرْفع, كما تركوا فيه ما يُنْصب؛ لأنّه في ذلك المعنى, ولأنّه بمنزلة لفظك بالفعل".[6]

ومن العرب من يرفع, فيقول:" سبّوحٌ وقُدّوسٌ ربّ الملائكةِ والروحِ" كما قال: أهلُ ذَاكَ, وصَادِقٌ واللهِ. قال سيبويه[7]:" كلُّ هذا على ما سَمِعْنا العربَ تتكلّمُ به رَفْعاً ونَصْباً, ومثل ذلك:" خيرٌ ما ردّ في أهلٍ ومالٍ, أُجري مُجرى خيرُ مقْدَمٍ, و"خيرَ

---

1 انظر, عبابنة يحيى, تطور المصطلح النّحوي, ص 98-107.

2 سيبويه, الكتاب, ج1 ص414.

3 انظر الشنتمري, شرح النكت ج1 ,ص175/ السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج3 ,ص94.

4 عبابنة يحيى, تطور المصطلح النّحوي, ص101.

5 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص417.

6 المرجع السابق, ج1 ص422.

7 المرجع السابق, ج1 ,ص423/424.

مَقْدم" وسَمِعْتُ أعرابياً وهو أبو مُرْهِبٍ يقولُ:" كَرَماً وطولَ أنفٍ! أي أكرِمْ بِكَ وأَطْوِلْ بأَنْفِكَ!"وهذا المصدر يكُون فيه معنى التعجب".[1]

ويرى ابن يعيش أنّ هذه المصادر إذا أُضِيفَتْ لم تتصرف ولم تَكُنْ إلا مَنْصوبة لأنّكَ لو رفعتها بالابتداء لم يكُنْ لها خبرٌ فإنْ أفردتها وجئت باللّام جاز الرّفع. نحو" ويلٌ لَكَ, وويحٌ لَكَ".[2]

تَنبّه العلماءُ إلى أنّ المفعول المطلق هو المصدر المُنْتَصب توكيداً لعامل أو لبيان نوعه أو عَدَده نحو" ضَرَبْتُ ضَرْباً, وسِرْتُ سَيْرَ زيدٍ, وَضَرَبتُ ضَرْبَتَيْن"[3] فالقاعدة النّحويّة ثابتة بهذا الخصوص لأنّ المفعول المُطْلق مصدر منصوب مؤكد لعامله, ولكن هذا المَصْدر قد يخرج عن النّصب للابتداء قال سيبويه[4]:" وكلُّ هذا سَمِعْنا العرب تَتَكلّم به رَفْعاً ونَصْباً".

أعطت الذّاكرة اللّغويّة المفعول المطلق واقعاً استعمالياً بالرّفع. ولكنّ القاعدة النّحويّة التي تحكم المفعول المطلق هي التي تَستطيع أنْ تتعامل مع جميع التراكيب اللّغويّة وإعادتها باتجاه القاعدة. لقد تنبّه سيبويه للذّاكرة اللّغويّة التي تَخْتَزل جميع الأنّماط اللّغويّة إذا قال:" وسَمِعْنا بعض العرب الموثوق به يقال له: كَيْفَ أصْبَحْتَ؟ فيقول: حَمْدُ اللهِ وثَنَاءٌ عليه".[5] فهذه الإشارة هي اعترافٌ من سيبويه أنّ العرب قد خرقت القاعدة النّحويّة لأنّ المصدر" حَمْدَ" يجب أن يكون منصوباً وليس هناك ما يسوّغُ الرّفع, لذلك لجأ سيبويه إلى تسويغ هذا الخرق وتفسيره" كأنّه يحملُهُ على مضمر في نيته هو المُظْهر, كأنه يقول: أمْري وشَأْني حَمْدُ الله وثَناءٌ عليه"[6] فهذا التفسير يَقُودنا إلى أنّ النحاة العرب عملوا على إحكام القاعدة النّحويّة ولم يعترفوا بالذّاكرة اللّغويّة واقع استعمالي يَجِبُ أنْ تدركه اللغة وأن الرواة واللغويين أنفسهم لم

---

1 عبابنة يحيى, تطور المصطلح النّحوي, ص100.

2 ابن يعيش, شرح المفصل, ج1 ,ص121.

3 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1, ص267.

4 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص423.

5 المرجع السابق, ج1 ,ص414.

6 المرجع السابق, ج1 ,ص414.

يكونوا في بعض الأحيان فوق مستوى الشبهات, فقد كان الرواة يأخذون من كلام العرب ما وافق هدفهم, ويتركون منه ما لا يُعْجِب الناس في الحاضرة أولا يحفل به اللغويون لبعده عمّ قعّدوه من قواعد.[1]

4.1.2 المفعول معه:

يرى ابن يعيش[2] أنّ المفعول معه هو المَنْصوب بعد الواو الكائنة بمعنى" مع" وإنّما يَنْتَصب إذا تَضمّن فعلاً نحو قولك: ما صَنَعْتَ وأَبَاكَ, وما زِلْتُ أسيرُ والنيل". فالمفعول معه اسم مفرد فَضْلة قبله واو بمعنى" مع" مسبوقة بجملة فيها فعلٌ أو ما يشبه في العمل, وتلك الواو تدلُّ نصاً على اقتران الاسم الذي بعدها باسم آخر قبلها في زمن حصول الحدث مع مشاركة الثاني مع الأوّل في الحدث.[3]

وقد اسُتْخُدْم هذا المصطلح قديماً جداً, وربّما رافق مصطلح الفاعل والمفعول به لأنّ سيبويه استخدمه سوّياً".[4] قال سيبويه[5]:" هذا بابُ ما يظهَرُ فيه الفعل ويَنْتَصب فيه الاسم؛ لأنّه مفعول معه, ومفعول به, ومفعول به كما انتصب" نَفْسَهُ" في قولِك: امرأً ونَفْسَهُ" وذلك قولك:" ما صنعتَ وأباكَ" ولو تركْتَ الناقةَ مع فصيلها, فالفصيل مفعولٌ معه و" الأبُ" كذلك. والواو لم تغيّر المعنى, ولكنّها تُعْمِلُ في الاسمِ ما قبلها".

وزعم قومٌ أنّ النّاصب للمفعول معه" الواو" وهو غيرُ صحيح لأنّ كلَّ حرفٍ اختصّ بالاسم ولم يكن كالجزء منه لم يعمل إلا الجرّ كحروف الجرِّ.[6]

وذَهَبَ الكوفيّون[7] إلى أنّ المفعول معه منصوب على الخلاف وذلك قولُكَ:" استَوى الماءُ والخَشَبَةَ" " وجاءَ البَرْدُ والطَّيالِسَةَ". وذهب البصريون إلى أنّه منصوبٌ

---

1 حسان تمام, اللغة بين المعيارية والوصفية, ص83.

2 ابن يعيش, شرح المفصل, ج2 ,ص48.

3 حسن عباس, النحو الوافي, ج2 ,ص305, انظر ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ,ص284.

4 عبابنة يحيى, تطور المصطلح النّحوي, ص111.

5 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص389.

6 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ,ص284.

7 ابن الأنباري, الأنّصاف في مسائل الخلاف ج1 ,ص248. المسألة 30.

بالفعل الذي قبله بتوسط" الواو". وإنْ أمكن عطف هذا الاسم الواقع بعد الواو على قبله بلا ضعف, فالعطف أحقٌ من نصبه على المعيّة, أمّا إذا أدىّ العطف إلى ضعفِ سياقِ الجملةِ لفظاً أو معنى فيختار حينئذ النّصبُ.[1]

ويرى ابن عقيل[2] أنّ حقّ المفعول معه أنْ يسبقه فعل أو شبهه, وسَمِعْنا من كلام العرب نصبه بعد" ما" و" كيف" الاستفهاميتين مِنْ غير أنْ يُلْفَظ بفعل, نحو" ما أنْتَ وزَيْدَاً" فخرَّجَهُ النّحويّون على أنّه منصوبٌ بفعل مُضْمَر مشتقٌ من" الكَوْن" والتقديرُ: ما تكون وزيداً أمّا سيبويه[3] فقد قال:" هذا بابُ معنى الواو فيه كَمَعْنَاها في الباب الأوّل إلا أنّها تَعْطفُ الاسم هنا على ما لا يكون ما بَعْدَهُ إلا رفعاً على كلِّ حالٍ, وذلك قولُكَ:" أنْتَ وشَأْنُك" " وكلُّ رجلٍ وضيعَتُهُ وما أَنْتَ وعبدُ اللهِ" و" كيف أنْت وقَصْعَةٌ من ثُريد, وما شأْنُ وشأْنُ عبدُ الله".

وذَكَرَ سيبويه[4] أنَّ نَاساً يقولون: كيف أَنْتَ وزيداً, وما أنت وزيداً, وهو قليلٌ في كلام العرب, ولم يَحْمِلوا الكلام على" ما" و لا" كيف", ولكنّهم حملوه على الفعل... كأنّه قال:كيف تكون أنت وقَصْعَةً من ثُريدٍ" و" كُنْتُ وزيداً " لأنّ" كنت وتكون تقعان ههنا كثيراً.

تذهب القاعدة النّحويّة إلى نَصْبِ الاسم بعد واو المعية لأنّه يقع مفعولاً معه بعد الواو ولا يكون إلاّ بعد فعلٍ لازم أو منتهٍ في التعدي نحو قولُك:" ما صَنَعْتَ وأبَاكَ"[5] وقد جاء الاسم منصوباً بعد الواو من غيرِ أنْ يُلْفظ بفعل نحو" ما أنْتَ وزيداً" وقد خرّجه النّحاة على أنّه منصوب بفعل مضمر مشتقٌ من الكون,[6] لأنّ القاعدة النّحويّة تفرض على الأداءات اللّغويّة أنْ لا تخرج عن أنظمتها, فقد تنبّه

1 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ,ص285.

2المرجع السابق, ج1 ,ص285.

3 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص391.

4 المرجع السابق, ج1 ,ص395.

5 ابن يعيش, شرح المفصل, ج2 ,ص48.

6 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ,ص285.

النّحاة لذلك, فلجأوا إلى تخريج ما يمكن أنْ يَخْرُج عن القاعدة النّحويّة, ومن ذلك قول الشاعر:[1]

يا زِبْرقانُ أخا بَني خَلَفٍ ما أنْتَ ويْبَ أبيكَ والفَخْرُ[2]

الشّاهد في هذا البيت رفع" الفَخْرُ" بالعطف على" أَنْتَ" مع ما في الواو من معنى" مع" وامتناع النّصب منه إذ ليس قبله فعل يتعدى إليه فينصبه.[3] يقول سيبويه[4] في ذلك:" وزعم أبو الخطّاب أنّه سَمِعَ بعض العرب المَوْثُوق بهم يُنشدون هذا البيت نصباً.[5]

أتوعِدُني بقومِكَ يا ابن حجلٍ أُشاباتٍ يُخالـــــونَ العبادا
بِمَا جَمّعَتَ من حَضَنٍ وعَمْروٍ وما حَضَنٌ وعمروٌ والجيادا

الشاهد في هذا البيت قولُهُ" والجيادا" نصبه تقدير" ما كان حضنٌ وعمروٌ والجيادا".[6]

إنّ الذّاكرة اللّغويّة هي التي تستطيع أنْ تتعامل مع الأنماط اللّغويّة كافّة, وتُعْطيها واقعاً استعمالياً, لذلك لجأ النحاة إلى التقدير؛ لإحكام القاعدة النّحويّة, فلا يُمْكن لأي أداء لغوي أنْ يخرج عن القاعدة النّحويّة. يقول لوسركل[7]:" إنّ الجملة التي تستند إلى الذّاكرة اللّغويّة يمكن لها أنْ تخلق معنىً جديداً" وإن الحالة التداولية في جملة" مَا أنْتَ وزَيْدَاً" وجملة" ما أنْتَ ويبَ أبيكَ والفخرُ" تُشكل نمطاً جديداً من القواعد الموجودة في الذّاكرة اللّغويّة, وتُمثّل خرقاً للنّحو الأساسي, ولكنّ هذا الخرق يمثل إبداعاً على بُنْية العبارة, فهذه الجمل تبدو من النّاحية القاعديّة

---

1 البيت للمُخبَّل بن ربيع انظر ابن يعيش, شرح المفصل, ج2 ,ص51, السيرافي, شرح كتـــاب سيبويه, ج3 ص66, الشنتمري, شرح النكت, ج1,ص169.

2 ابن يعيش, شرح المفصل, ج2 ,ص51.

3 المرجع السابق, ج1 ,ص51.

4 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص396.

5 السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج3 ,ص72, الشنتمري, شرح النكت, ج1, ص171.

6 سيبويه, الكتاب, ج1 ,ص396.

7 لوسركل, عنف اللغة, ص52.

متنافرة, لذلك لجأ النحاة العرب إلى التأويل لأنّ القاعدة تَفْرض وجود فعل حتى يتحقق النصب على المعية", أمّا الذّاكرة فلا تفرض وجود الفعل لأن اللغة الأولى قائمة على العقل, فبما أنّ النمط المُسْتعمل هو نمطٌ تداولي وتعبيري, فإنّ الذّاكرة اللّغويّة تكسبه واقعاً استعمالياً لأنّ هذه الذّاكرة تستطيع أنْ تُنْتج جملاً مقبولة التركيب ترضى عنها قواعد اللغة, فلو لم ترضَ عنها قواعد اللغة لما لجأ العلماء إلى استقطاب هذه الظواهر نحو القاعدة النّحويّة.[1]

2.2 المحمول على المفعول به

1.2.2 الاختصاص

2.2.2 المدح والتعظيم

3.2.2 الشتم

4.2.2 التحذير والإغراء

5.2.2 الاشتغال

1.2.2الاختصاص

وقَدْ حمله سيبويه على النِّداء[2] إذ قال[3]:" هذا بابٌ من الاختصاص يَجْري على ما جرى عليه النِّداء, فيجيءُ لفظه على موضعِ النِّداء نصباً, ولا يَجْري الأسماءُ فيها مجراها في النِّداء؛ لأنّهم لم يُجرْوها على ما حُمِلَ عليه النِّداء, وذلك قولُكَ: إنّا– مَعْشَرَ العَرَبِ – نفعل كذا وكذا, كأنه قال:" أعْنِي" ولكنّه فعلٌ لا يظهر ولا يُسْتَعْمل كما لم يكُنْ ذلك في النِّداء؛ لأنهم اكتفوا بعلم المخاطب".

والفرق بين الاختصاص و النِّداء, أنّك في النِّداء تختصُّ واحداً من جماعةٍ ليعطف عليك عند تَوهّم غفلةٍ عنك, وفي هذا الباب تختصُّ بفعلٍ يعمل فيه النصب, تقصد به الاختصاص على سبيل الافتخار والتفضيل له, والاسم المنصوب في هذا

---

1 انظر, لوسركل, عنف اللغة, ص54– 58.

2 عبابنة يحيى, تطور المصطلح النّحوي, ص124.

3 سيبويه, الكتاب, ج3,ص153.

الباب لا بدّ أنْ يتقدّم ذكرُهُ.[1] ومن ذلك قولُكَ:" نحنُ العُرْبَ أسْخَى النَّاسِ", وقولُهُ– صلى الله عليه وسلم–[2]:" نحن مَعْشَرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ, ما تركنَاهُ صَدَقَةٌ", وهو منصوب بفعلٍ مضمر, والتقدير:" أخصُّ العربَ, وأخصُّ معاشِرَ الأنبياء[3]", وأمّا قول لبيد:[4]

نَحْنُ بنو أُمِّ البنينَ الأرْبَعةْ ونحنُ خيرُ عامرِ بن صَعْصَعَهْ

فيرى سيبويه أنّهم يُنْشِدونه رَفعاً؛ لأنّه لم يُرد أنْ يَجْعَلَهُم إذا افتخروا أنْ يُعرفوا بأنّ عِدَّتَهم أربعةٌ, ولكنه جَعَلَ الأربعةَ وصفاً".[5]

الحقُّ أن القاعدة النّحويّة في هذا النوع من المنصوبات تقوم على الحذف والتقدير, قال الجرجاني[6]:" اعْلَمْ أنّ هاهنا باباً من الإضمار والحذف يسمى الإضمار على شريطة التفسير". فالتفسير عامل من عوامل إحكام القاعدة النّحويّة, لذلك لجأ النحاة إلى هذا العامل من خلال التعامل مع الأنماط اللّغويّة التي تُمثّل خرقاً للقاعدة النّحويّة, ويَظْهر ذلك جلياً من خلال التعامل مع قول الشاعر[7]" نَحْنُ بَنو أُمِّ البَنِين الأرْبَعةْ" لأن ًالقاعدة النّحويّة تَفْرض على الاسم أنْ يكون منصوباً لفعلٍ محذوف تقديرهُ" أخُصُّ" كما في قراءة من قرأ:" وامْرَأتهُ حَمّالَةَ الحطبِ"[8] بالنصب على الذّم والشّتم[9], ولكنّ النحاة خرجوا رَفْع" بنو", لأنّ" الأرْبَعَة" ليس فيها معنى فخر ولا تعظيم, فيكون ما قبلها مَنْصوباً على الاختصاص والفَخْر[10], وإذا ما نظرنا

---

1 ابن يعيش, شرح المفصل, ج2 ,ص19.

2 لم يرد الحديث في الكتب الستة وقد ورد برواية " إنا مَعْشَرَ الأنبياءِ" انظر, العسقلاني, فتح الباري, ج12, ص8.

3 ابن عقيل, شرح ابن عقيل ج1 ص462.

4 لبيد, ديوانه ص340, الشنتمري, شرح النكت ج1 ص292.

5 سيبويه, الكتاب, ج3 ص155.

6 الجرجاني, دلائل الإعجاز ص225.

7 لبيد, ديوانه ص340.

8 سورة المسد 4.

9 ابن يعيش, شرح المفصل, ج5 ص19.

10 سيبويه, الكتاب, ج2 ص155.

إلى هذا المثال من خلال الذّاكرة اللّغويّة فعلينا أنْ نُقرَّ بأنّ متكلّم اللغة قد اكتسب تنظيم قواعد يُتيح له أنْ يُنْتج جمل لغته قبل أنْ يَتشكّل النظام القاعديّ عنده, يقول تشومسكي[1]:" إنّ الطفل في الواقع يقوم بعمل ذهني بالغ الأهمية والتعقيد حين يكتشف بقدرته الخاصة تنظيم القواعد الضّمني الكامن في كفايته اللّغويّة والذي يُتيح له تكلّم اللغة". وهذا دليلٌ على أنّ الأنماط اللّغويّة التي تَنْبع من الذّاكرة اللّغويّة تشكّل واقعاً استعمالياً تتعامل معه القواعد بكلِّ موضوعيةٍ إنّ تغيير لغة الخطاب وأسلوب الكلام هو الذي يفرض على القاعدة النحويّة أنْ تتعامل مع الأنماط اللغويّة كافة, لذلكَ نَجد هذا الأسلوب واضحاً في الكثير من الأنماط اللغويّة التي تخرج عن القاعدة. فقد عدَّ النّحاة هذا الأسلوب مخالفة إعرابية, فرواية" نَحْنُ بَني أُمِّ البنين", هي نصبٌ على الاختصاص وفي نفس الوقت هي تغيير اسلوبي يَقْصدهُ الشّاعر, من أسلوب الخبر إلى أسلوب الفخر ومدح الذّات[2]. أمّا رواية" نَحْنُ بَنُو" فلم يُرِد أنْ يَجْعَلَهُمْ إذا افْتَخَروا أنْ يُعْرفوا بأنَّ عِدَّتَهُمْ أربعةٌ[3]. ومنه قول الشاعر, المهلهل[4]:"

ولَقَدْ خَبَطْنَ بُيُوتَ يَشْكُرَ خَبْطَةً   أخوالُنا وهُمُ بنو الأعمامِ

فقد نَصَبَ" أخوالَنا" على المُخالفة الأسلُوبية, لأنّه لم يَقْصُد أن تُخبِر, فكأنّهُ حين قال:" خَبَطْنَ بُيُوتَ يَشكُرَ خَبْطَةً" فقيل له مَنْ هُمْ؟ فقالَ: أخوالَنا وهُمْ بَنُوُ الأعمام[5], أيّ: أمْدَح, وأمّا روايةُ الرّفع على الأسلوب الخبري, وهو الأصل[6].

لقد عدّ النّحاة هذا الأسلوب من الأساليب اللغوية التي تعمل على ضبط القاعدة النحوية لذلك عملوا على تحليل هذه الأنماط وفقَ أنظمة القاعدة النّحويّة التي يمكن خرقها, فهذه الأنماط اللغويّة مستدعاة من الذاكرة اللغويّة لأنّها تُمثّل واقعاً استعمالياً

1 زكريا ميشال, مباحث في النظريّة الألسنية وتعلم اللغة, ص157.

2 انظر, عباينة يحيى, أبحاث اليرموك" بحث بعنوان" أثر التحويلات الأسلوبية", ص26.

3 سيبويه, الكتاب, ج3 ص155.

4 السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج3 ص294,الشنتمري, شرح النكت ج1 ص219.

5 سيبويه, الكتاب, ج3 ص82.

6 انظر, عباينة يحيى," أثر التحويلات الأسلوبية" , ص27.

في اللغة لا يمكن تجاوزه وإنّما تطوّع القاعدة النحوية لاستيعابه. فالذّاكرة اللغويّة أقدر على اختزال جميع الأنماط اللّغويّة.

2.2.2 المدح و التعظيم :

يكون الاسم منصوباً إذا كان المعنى في التركيب مَدْحاً أو تَعْظيماً، فالفعل الذي وقع على المنصوب على الاختصاص يقدّر بـــ(أعَظِّمُ) أو (أمْدَحُ)[1] و في ذلك قول سيبويه [2]، هذا بابُ ما يَنْتصب على المدح و التّعظيم. وإنْ شئت جعلتَه صفة، فجرى على الأوّل و إنْ شئتَ قطعْتَهُ فا بتدأتَهُ، وذلك قَوْلُكَ :" الحَمْدُ لله الحَميد هُو" و " الحَمْد للّه أهلَ الحَمْد" و لو ابْتَدأْتَهُ كان حسناً ،... و أمّا الصّفة فإنّ كثيراً من العَرَب يَجعلونَهُ صفةً فيتْبَعونَهُ الأول فيقولون:" أهلُ الحمدِ و الحَمَيد هُوَ". ومن ذلك قوله عزّ وجل " وَلَكِنَّ البرَّ مَنْ آمَنَ باللهِ و اليَوْمِ الآخرِ و الملائكَةِ و الكِتابِ و النَّبِّيينَ و آتى المالَ على حُبِّه ذَوي القُرْبى و اليَتامى و المَسَاكِينَ، وابنَ السَّبيلِ و السّائلينَ، وفي الرِّقابِ و أقَامَ الصَّلاةَ وآتى الزّكاة، و المُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إذا عاهَدُوا ، والصَّابِرِينَ في البأْساءِ و الضَرّاءِ وَ حين البَأسِ "[3]. فلو رفع " الصّابِرينَ " على أوّلِ الكلامِ كان جَيِّداً(4).

ومما ينتصب على المدح والتعظيم قول الفرزّدق(5):

ولكنّني اسْتَبْقَتُ أغرارَ مـــــــازنٍ وأيَّامَها مِنْ مُسْـــــتَنيرٍ و مُظْلِمِ
أُنـــاساً بِثَــغْرٍ لا تــزالُ رِمَاحــُهــم شَوارِعَ من غيرِ العشيرةِ في الدمِ

لقد أجاز سيبويه النصب على المدح و التعظيم و الرفع على الابتداء و جعله

---

1 عبابنة يحيى, تطور المصطلح النّحوي ، ص125.

2 سيبويه, الكتاب, ، ج2 ص145.

3 سورة البقرة .177.

4 سيبويه, الكتاب, ج2 ، ص147.

5 الفرزدق, ديوانه ص821/ السيرافي, شرحكتاب سيبويه , ج3 ص511, الــشنتمري, شــرح النكت ص263.

صفة فيتبعونه الأول (1) إنّ تعدّد وجوه الأعراب هو الذي يُعْطي القاعدة النّحويّة قدراً كبيراً في التعامل مع الأنماط اللّغويّة لأنّ هذا التعدد يحكم القاعدة النّحويّة ، ويُعْطي الأنماط اللّغويّة التي تَسْتند على الذّاكرة قدرة على إنتاج عدد كبير في الجمل لأنّ الذّاكرة اللّغويّة تستند على القوانين يُمْكن لها أنْ تختزل جميع الأنماط اللّغويّة أمّا النّحو فإنّه يستند على قواعد، فالقواعد يُمْكن أنْ تتغير و تُلغى وفقاً لقوانين الذّاكرة اللّغويّة(2)، و هذا ما دفع سيبويه لنصب الاسم على المدح و التعظيم و الرّفع على الابتداء و الإتباع على الصفة.

3.2.2 الشّتم :

يَسْتَعمل بعض النّحويين هذا المصطلح إذا كان المعنى من التركيب شتماً، فالفعل في هذه الحالة يقدّر "أشتم"(3)، قال سيبويه(4) :(هذا بابُ ما يجري من الشّتم مجرى التعظيم و ما اشبهَهُ، وذلك قولك " أتاني زيدٌ الفاسِقَ الخَبيثَ " لَمْ يُرد أنْ يكرِّرهُ، ولا يعرّفك شيئاً تُنْكِرُهُ، ولكنّه شتمَهُ بذلك "، ومن ذلك " مَرَرْتُ به البائسَ المسْكين " فيجوز خفض البائس والمِسْكين على البدل و لا يجوز أنْ يكون نعتاً لأنّ المُضْمَرات لا تُنْعَتْ"(5). و يرى سيبويه(6) أنّ بعضهم قرأ هذا الحرف نصباً :" و امرأتُهُ حمَّالةَ الحَطَبِ"(7) لم يجعل "الحمّالة " خبراً للمرأة ، ولكنّه كأنّه قال :" أذكرُ حَمّالة الحَطَبِ" شَتْماً لها، و إنْ كان فعلاً لا يستعمل إظهارهُ.

وزعم يونس(8) أنّه سَمِع الفرزدق يُنْشِدُ(9):

---

1 انظر, سيبويه, الكتاب, ج2 ص145.

2 انظر, لوسركل, عنف اللغة, ص 235/230.

3 عبابنة يحيى, تطوير المصطلح النّحوي ص126.

4 المرجع السابق, ص126.

5 ابن يعيش, شرح المفصل ج2 ص19.

6 سيبويه, الكتاب, ج2 ص 155

7 سورة المسد 4 .

8 سيبويه, الكتاب, ج2 ص157.

9 الفرزدق, ديوانه ص821.

كَمْ عَمَّةٍ لك يا جريرُ و خالةٍ فَدْعَاءَ قد حَلَبَتْ عليَّ عِشاري
شغَّارةً تقِذُ الفصِلَ برِجْلِـــها فطـــارةً لـــقوادمِ الأبـــكـــارِ

جعله شتماً، وكأنه حين ذكَرَ" الحلبِ" صار مَنْ يُخَاطَبُ عِنْدَهُ عالماً بذلك، ولو ابتدأه وأجْراهُ على الأوّل كان ذلك جائزاً عربياً، فالقول " شَغَّارةً " و فطَارةً " نصبه على الشتم، ولو رفع على الابتداء لجاز[1]، ودرس سيبويه هذه الظاهرة بطريقة الوصف معتمداً على عنصر التأويل والتقدير.

وإنّ الوصف الذي اتّبعه سيبويه في تحليل هذه الظاهرة هو ما أعطى النظام النّحويّ القدرة على التعامل مع جميع الأنماط اللّغويّة فَقَدْ سمح النظام القاعديّ بإنشاء مجموعة من المقولات بصورة متعددة للجملة الواحدة، لذلك يظهر أحياناً أكثر من معنى للجملة القائمة على نظام قاعديّ محدود[2]، لذلك لجأ سيبويه إلى عنصر التأويل و التقدير في التعامل مع هذه المقولات إذ يقول في "شغّارة" لو أجراه على الأوّل كان ذلك جائزاً ، ولكنّ هذا القول أعطي القاعدة النّحويّة مساحة في التعامل مع الأنماط اللّغويّة ، دون أنْ يلتفت إلى الذّاكرة اللّغويّة التي أوجدت هذا النمط و أعطته واقعاً استعمالياً في اللغة .

4.2.2 التحذير و الإغراء

التحذير: هو تنبيه المخاطب على أمرٍ يجبْ الاحتراز منهُ [3]ومن المنصوب باللازم إضماره قولك في التحذير:" إيَّاك و الأسدَ" أي اتقِ نَفسَكَ أنْ تَتَعرّض للأسد أنْ يُهلكك و نحوه " رَأْسَكَ و الحائطِ".

أمّا الأغراء[4]: فهو أمر المخاطب بلزوم ما يُحمَدُ [5]" كقولك ": أَخَاكَ و الإحسان إليه " أي " ألزَمْ أخَاكَ ". وقال سيبويه [6]:" هذا ما جَرَى من الأمرِ و النهي

---

1 سيبويه, الكتاب, ج2 ص157.

2 انظر, تشومسكي نعوم, البنى النّحويّة, ص25-30.

3 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1ص462.

4 ابن يعيش, شرح المفصل, ج2 ص25 .

5 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ص 463.

6 سيبويه, الكتاب, ج1 ص335.

على إضمار الفعل المُستَعمل إظهاره، إذا عَلمْتَ أنّ الرّجل مستغنٍ عن لفظك بالفعل، وذلك قولك " زَيْداً و عمراً، ورأسَهُ" وذلك أنَّكَ رأيت رجلاً يَضْرب أو يَشْتِمُ أو يَقْتُلُ، فاكتفيْتَ بما هو منْ عَمَلِه" ويرى ابن يعيش[1] أنّ هذا الضرب مما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره.

و يُجيز النّحاة حذف الفعل إذا كان معلوماً بقَرينة تدلّ عليه[2] أمّا القاعدة النّحويّة التي تجيز حذف الفعل، فقد مرّت قبل أنْ تُصبح واقعاً استعمالياً بعدد من القوانين التي تعمل على تشكيل بُنيتها، لأنّ اللغة قادرة على أنْ تبتدع أنماطاً استعمالية جديد. يَنْطلق تشومسكي من البنية السّطحية باعتبارها القاعدة الظاهرة التي تُتيح للباحث أن يتوصّل إلى البنية الكامنة و تحويلاتها [3]. ونحن بهذا لا يمكن أنْ نقوم بفصل الكلمات عن المعنى، وأنْ نتعامل معها بصورة حيادية في الناحية الدلالية "[4]، ولكنّ المعنى هو الذي يَفْرِض علينا أنْ نقدِّر الفعل المحذوف لتسويغ عملية النصب التي وقعت على الاسم ، وبذلك فإنّ القاعدة النّحويّة تلتقي مع ما نادت به النظريات الحديثة، لأن أسلوب التحذير و الإغراء يُمثّل بنية عميقة متحولة من بنية عميقة أخرى معتمدة على عناصر تحويلية في بنية العبارة .

تستدعي الذّاكرة اللّغويّة أنماطاً استعمالية جديدة تمثل ظواهر لغوية لا تحتكم للنظام النّحوي ، وقد تنبّه سيبويه لذلك فيقول [5]:" وهذه حُجَجٌ سُمِعتْ من العَرَب، و مِمَنْ يوثق به أنّه سَمِعها، و من ذلك قولُكَ في مثل من أمثالهم :"اللّهم ضَبْعاً وذِئْباً" إذا كان يدعو بذلك على غَنَم رجلٍ، و إذا سألتهم ما يعنون؟ قالوا اللهُمَّ اجعل فيها ضَبْعاً وذِئْباً. يُمثلُ هذا خرقاً للقاعدة النّحويّة لأنّ الفعل المضمر قد استعمل في موضع الإظهار، وليس هُنَالك ما يستدعي حذف الفعل، ومن ذلك قَوْلُ العرب: " الظّباءَ على البَقَرِ" و "أمرَ مُبْكياتِك لا أمْرَ مُضْحِكاتِك " ويقول: خلِّ الظباءَ على

1 ابن يعيش, شرح المفصل ج2ص29.

2 حسن عباس, النحو الوافي, ج2 ص 181.

3 بركة فاطمة, النظريّة الألسنية عند جاكبسون, ص121.

4 انظر, محمود السعران, علم اللغة , ص177.

5 سيبويه, الكتاب, ج1ص337.

البقرِ، وعليك أمرَ مُبْكياتِك"[1]، فقد أضمر الفعل المستعمل إظهاره في هذه الأمثلة دون مسوّغ، ولكنّ الذّاكرة اللّغويّة هي التي تَجْعلُ هذه الأنماط واقعاً استعمالياً، لأنّ الأداء الكلامي هو استعمال آني للغة ضمن سياق معيّن، و لا بدّ لمتكلّم اللغة من أنْ يَلْجأ في أدائه الكلامي بصورة ضمنية إلى قواعد الكفاية اللّغويّة [2] "لذلك يرى لوسركل:" أنّ السُّبل التي يَفتَحها أمّامنا المتبقي[3] للوصول إلى معاني مفتوحة أمام الجميع، فأمام لغتنا نَحْن كُلنّا رعايا يُفترض بنا أنْ نعرف، فنحن جميعا نمارس التداعيات ذاتها ... فمع المتبقي نعود إلى حضن اللّغة و لكنْ ليس إلى نظام اللغة[4]، إن ذاكرة اللّغويّة هي الوعاء الذي يحتوي جميع الأنماط اللّغويّة و يجعلها واقعاً استعمالياً لا يُمْكن له أنْ يقيد بنظام القواعد، لأنّ الذّاكرة هي التي تفترض وجود القواعد مسبقاً في ذهن المتلقي.

5.2.2 الاشتغال:

هو أنْ يتقدّم اسمٌ و يتأخر اسم عنه عاملٌ مشتغلٌ عن اسم المتقدّم بعملهِ في ضميره. أو في سبب ضميره بواسطةٍ أو بغيرها بِحيثُ لو سُلّط على الاسم المتقدم لنصه لفظاً أو محلاً[5] ، ومثال المشتغل بضميره:" زَيداً ضربتَهُ, وزيداً مَرَرْتُ به " ومثال المُشْتَغل بالسببيّ:"زَيْداً ضَرَبْتُ علامةُ"[6]، ويقول سيبويه:" فإذا بَنَيْتَ الفعل على اسم قلت:" زيدٌ ضربتهُ"، فلزمته الهاء وإنّما تريد بقولك مبني على الاسم، انّه في موضع منطلقٌ، إذا قُلتَ :" عبدُ اللهِ ،منطلقٌ" ....وإن شِئْت قُلتَ:" زيداً ضربتُهُ" وإنّما نصبته على إضمار فعلٍ هذا تفسيره. كأنّك قلت:" ضَرَبْتُ زَيْداً ضَرَبْتُهُ" إلا أنّهم لا يظهرون هذا الفعل هنا[7]:" وقد قرأ بعضهم :" وأمّا ثَمُودَ فَهَدَيْنَاهُم"[1].

---

1 سيبويه, الكتاب, ج1 ، ص339.

2 زكريا ميشال, مباحث في النظريّة الألسنية, ص154.

3 هو المصطلح الذي أطلقة لوسركل على الذّاكرة – انظر, لوسركل, عنف اللغة،ص45.

4 لوسركل, عنف اللغة ، ص263.

5 عبابنة يحيى, تطوير المصطلح النّحوي ص135

6 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1،ص247، حسن عباس, النحو الوافي,ج2 ص 24.

7 سيبويه, الكتاب, ج1 ص 129.

فنُصِبَ "ثَمود" لأنّه مفعول به منصوب لفعل محذوف لا يظهرونَهُ للاستغناء، ولا يمكن أنْ يكون الفعل الذي بعدهُ عاملاً به لأنّه واقع على ضمير عامل به،... فلابدّ إذَنْ أنْ نُقدِّر عاملاً و المعنى يقتضي أنْ يكون الفعل المقدَّر من جنس الظاهر أو في معناهُ.[2]

وتذهب القاعدة النّحويّة إلى وجوب نَصْب الاسم إذا وَقَع بَعْد أداة لا يَلِيها إلاّ الفعل، كأداة الشّرط و التحضيض و العرض و الاستفهام إلا الهمزة [3].وذهب سيبويه[4] إلى أنَّ حروف الاستفهام كلّها يصح أنْ يصير بعدها الاسم إذا كان الفعل بعد الاسم:" لو قلت:" هَلْ زَيْدٌ قام " و أين زيدٌ ضَرَبْتَهُ" و لَمْ يَجُزْ إلاّ في الشّعر، فإذا جاء في الشّعر نَصَبْتَهُ إلا الألف فإنّه يجوز فيها الرّفع و النّصب و من ذلك قول جرير [5]:

أثعلَبَةَ الفوارِسَ أَمْ رياحاً عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّة و الخِشاباَ

نصب الشاعر " ثَعْلَبَةَ" بإضمار فعل دلَّ عليه ما بَعْدَهُ. ويجوز الأمران "الرّفع و النّصب" إذا كان الفعل الذي بَعْدَه دالاً على الطلب، كالأمر و النهي و الدعاء[6]. ويرى سيبويه [7] أنّه قد يُبنى الفعل على الاسم و من ذلك قول الشاعر[8]:

وقائلةٍ:خولانُ فانكحْ فتاتَهُم وأُكرومةُ الحيَّين خِلْوٌ كمَا هِيَا

فقد رفع الشاعر "خَوْلانَ" و التقدير "هؤلاء خولانُ" لأنّ الفعل بعدها دلّ على الأمر، وإن شئت نصبت، ومن ذلك قوله تعالى :" الّذينَ يُنْفِقُونَ أموالهُمْ باللّيلِ و النّهارِ سِرّاً و عَلانيةً فَلَهُمْ أجرُهُمْ عند ربِّهِم و لا خَوْفٌ عَلَيْهم و لا هُمْ يَحْزَنُون"[1].

---

1 سورة فصلت 117, انظر, ابن هشام, معنى اللبيب ص63.

2 عبابنة يحيى, تطور المصطلح النّحوي ص137.

3 حسن عباس, النحو الوافي,ج2، ص131.

4 سيبويه, الكتاب, ج1، ص159.

5 جرير, ديوانه ص66, السيرافي, شرحكتاب سيبويه , ج2 ص539,الشنتمري, شرح النكت ج1 ص94.

6 حسن عباس, النحو الوافي,ج2ص134.

7 سيبويه, الكتاب, ج1ص201.

8 السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج2 ص407, الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص115.

الشّاهد هو نصب " الذّين " على فعل مُضْمَر يقدر على جنس الظاهر أو معناه، كذلك أجرى سيبويه الدعاء بمنزلة الأمر ، وإنّما قيل" دعاً" لأنّه استعظم أنْ يُقال أمرٌ أو نهيٌ (2)، ومن ذلك قوله تعالى " الزّانية و الزّاني فاجْلِدُوا كُلَّ واحدٍ منْهما مَائةَ جَلْدَة "(3) وقوله تعالى:" و السَّارِقُ و السَّارِقَةُ فاقْطَعوا أيْدِيَهُما"[4]. فقد رفع " الزّانيةُ والسّارقُ" على الابتداء.

ذكر النحاة أنّ حكم الاسم السابق في الاشتغال على خمسة أقسام: أحدها: ما يجب فيه النّصبُ، والثاني، ما يَجبُ فيه الرّفعُ، والثالث: ما يجوزُ فيه الأمْران و النّصبُ أرجَحُ ، والرّابع ما يجوز فيه الأمران و المُخْتارُ الرفعُ، و الخامس ما يجوز فيه الأمران على السواء"[5].

تكون القاعدة النّحويّة بهذه الأوجه الأعرابية أكثر مقدرةً في التعامل مع جميع الأدوات اللّغويّة في هذا الباب، لأنّها قاعدة تقديرية تتفاعل مع السّطح الاستعمالي لبُنْية العبارات التي تَتَشكّل منها اللغة[6]. والنّتيجة التي يُمكن أنْ نَخْرُج بها" أنّ هنالك روابط ثابتة بين أشكال الفعل و معانيه، وهذه الرّوابط لا يمكن استنباطها بمعزل عن الذّاكرة اللّغويّة، بَلْ يجب أنْ تكون متجاوبة مع طبيعة التعبير اللغوي الذي يستند إلى الذّاكرة "[7]. وهذا ما دفع النحاة إلى تعدد وجوه الأعراب، لأنّ العلامة التشكيلية هي التي تَفْرض على القاعدة النّحويّة أنماطاً استعمالية جديدة لا يُمكن رفضها

---

1 سورة البقرة 274.

2 سيبويه, الكتاب, ج1،ص204.

3 سورة النور 2.

4 سورة المائدة 38.

5 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ص248.

6 انظر, لوسركل, عنف اللغة, ص 110/104.

7 انظر, لوسركل, عنف اللغة, ص 295/290.

3.2 المشبه بالمفعول به

1.3.2 الحال

2.3.2 التمييز

1.3.2 الحال

هو اسمٌ نكرة فضلة، منتصب، يُبيِّن هيئة الفاعل أو المفعول به في وقت حُدوث الفعل لفظاً نحو:" ضَرَبْتُ زَيْداً قائماً " أو معنى " زيداً في الدَّار قائماً"[1] و الغالبُ في الحال أن يكون منتقلاً غير ثابت، ومُشْتقاً ولكنْ ليس ذلك مُستحقّاً له[2].
قسم سيبويه الحال إلى عِدَّة أبواب:

المصادر: ويقول سيبويه " هذا بابُ ما يَنْتَصب من المصادر لأنّه حالٌ وقع فيه الأمر فانتصبَ لأنه مَوْقوعٌ فيه الأمر، وذلك قولك "قَتَلْتَهُ صَبْراً" و " لقيتُهُ فَجْأة و مفاجأةً, و كفاحاً ومكافحةً "[3].

فذهب سيبويه في ذلك أنّ المصدر في مَوْضع الحال ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة[4]:

فأرسَلَها العِراكَ وَلَم يَذُدها ولَمْ يُشفِقْ على نَغَصِ الدِّخال

" أرسلها العِراك" نصبه في موضوع الحال كأنّه قال " أرْسَلَها اعْتِرَاكاً"

الاسم المعرّف بالألف و اللام :

يرى سيبويه "أنّ هذا باب ما يجعل من الأسماء مصدراً كالمصدر الذي فيه الألف و اللام نحو " العِرَاك" وذلك قولك: مَرَرَتُ بِهِمْ الجَمّاءَ الغفيرَ، والنّاسُ فيها الجَمّاءَ الغَفَيَر، فهذا يَنْتَصَب كانتصاب العراك [5]، لقد تنبه سيبويه إلى الذّاكرة اللّغويّة إذ

---

1 عبابنة يحيى, تطور المصطلح ص139, انظر, حسن عباس, النحو الوافي, ج2 ص363.

2 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1،ص301

3 سيبويه, الكتاب, ج1 ص487.

4 لبيد, ديوانه ص86, انظر, ابن يعيش, شرح المفصل, ج 2ص 620.

5 سيبويه, الكتاب, ج1 ص493.

يقول[1] :"و زعم الخليلُ- رحمه الله – أنّهم أدخلوا الألف و اللام في هذه الحروف و تكلّموا به على نيّةِ ما لا تدخله الألفُ و اللام، وهذا جُعل كقولك:" مَرَرْتُ بِهِمْ قاطبةً، ومَرَرْتُ بهم طُرّاً " أي: جميعاً " إلا أنّ هذا نكرة لا تدخله الألف و اللام، كما انّه ليس كلُّ المَصَادر بمنزلة العِراك، كأنه قال مَرَرْتُ بِهِمْ جَميعاً، فهذا تمثيلٌ وإنْ لم يُتكلَّم به. فصار: طُرّاً و قاطبة بمنزلة " سُبْحَانَ اللهِ " في بابه لأنّه لا يتصرّف كما أنّ "طُرّاً" و لا قاطبة " لا يتصرّفان و هما في موضع المصدر و لا يكونان معرفة.

لقد أشار سيبويه إلى أنّ الأسماء النكرة و التي ليست بمصدر لا تكون في موضع الحالِ، لذلك فقد لجأ سيبويه إلى ضَبْط كل الأنماط اللّغويّة التي يُمكن أنْ تخرج عن القاعدة النّحويّة، فقد اعتبر أنّ " الجَّماءَ الغَفيرَ" في موضع المصدر " كالعِراك" لأنّ القاعدة النّحويّة تفرض ذلك[2].

شكل سيبويه وعياً فذّاً بالذّاكرة اللّغويّة، و في ذلك يقول :" مَرَرْتُ بِهِمْ قاطِبَةً" فَهَذا تَمْثيل لم يتكلّم به[3]، فالتمّثيل هو وعي خالص بالذّاكرة التي تختزل الأنماط اللّغويّة ، فذهب جمهور النّحاة إلى أنّ الحال لا يكون إلا نَكرة، و أنّ ما ورد منها معرفاً لفظاً فهو مُنكّرٌ معنى"، [4] ويرى سيبويه أنّ بعض العَرَب يقول: كلّمْتُهُ فُوهٌ إلى فيَّ" كأنّه يقول:" كلمتُهُ وفوُهُ إلى فيّ" أي " كلمتُهُ وهذه حالهُ" و النّصب على قوله:" كَلّمتُهُ في هذه الحالة" و انتصب لأنه حالٌ وقع فيه الفعل [5]، وهذه الحال معرفة ولكنّها مؤولة بنكرة و التقدير:" كلمتُهُ مشافهة " [6] فلمّا جاء الاسم معرفة قطعة النّحاة للابتداء فالذّاكرة اللّغويّة هي التي استدعت عنصر المعنى عند النحاة ، فإذا نَصبْتَ فتقديره:" كلمْتُهُ في هذهِ الحالة " وإذا رَفَعْتَ فتقديُره:" كلّمْتُهُ وهذه حالُهُ" و في مثل ذلك يرى سيبويه أنّ من المصادر ما يَنْتصب لأنّه حالٌ صار فيه المذكور و

---

1 المرجع السابق, ج 1 ص493.

2 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ص303.

3 سيبويه, الكتاب, ج1 ص493.

4 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1ص303.

5 سيبويه, الكتاب, ج1ص518.

6 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ص303

ذلك في تركيب " أمّا كَذَا فَكَذا " و ذلك قولك:" أمّا سمْنا فسمين و أمّا عِلْما فعالمٌ" [1]. فإنْ أدخلت الألف و اللام رفعوا:لأنّه يمتنع من أنْ يكون حالاً " [2].

وقد يَنْصِبُ أهلُ الحجاز في هذا الباب بالألف و اللام، لأنهم قَدْ يتوهّمون في هذا الباب غير الحال ، وبنو تميم يرفعون فيقولون" أمّا العِلْمُ فَعَالِمٌ"[3]. أمّا سيبويه فأجرى الاسم النكرة حالاً حتى لو دخلته الألف و اللام قال الشاعر:[4]

ألاَ لَيْتَ شِعْري هل إلى أُمِّ مَعْمَرٍ   سَبيلٌ فأمّا الصَبْرَ عنها فلا صَبْرا.

فقد استدلّ به سيبويه على نصبه على الحال بمنزلة النكرة، و أهل الحجاز ينصبون بالألف و اللام، على غير الحال أي مفعولا له، وأمّا بَنُو تميم فَيَرْفعون[5] وهذا ما جعل القاعدة النّحويّة اقدر على التعامل مع جميع الأنماط اللّغويّة، لأنّ تعدد وجوه الأعراب قادر على استيعاب اكبر قدر من الأداءات اللّغويّة، و فَرْضِها كنمط استعمالي يُقاس عليه، في هذا يرى المازني[6]:" ما قيس على كَلام العرب فهو من كلام العرب" وقال سيبويه:" هو لك الجَّماءُ الغفيرُ" يرفع كما يرفع الخالص و النصب أكثر لأنه " الجماءَ الغفيرَ" بمنزلة المصدر فكأنّه قال " هو لك خلوصاً وهذا تَمْثيل لا يُتكلّم به" [7]، فالنّصب على تقدير الحال و الرّفع لأنّه خبر مبتدأ، تَنبّه سيبويه إلى نصب الحال في الحروف الخمسة قال:" هذا بابُ ما يَنْتصب فيه الخبر بعد الأحرف الخمسة انتصابه إذا كان ما قبله مبنياً على ابتداء ، لأنّ المعنى واحد في أنّه حال، وأنّ ما قبلة قد عمل فيه و منعَهُ الاسم الذي قَبْلَهُ أنْ يكون محمولاً على " إنّ" وذلك قوله عز وجل:" إنّ هَذِه أُمّتُكُم أُمّةً واحدةً"[8] وقد قرأها بعض النّاس:" أُمّتكمْ أُمّةٌ

---

1 سيبويه, الكتاب, ج1 ص507.

2 انظر, ابن يعيش, شرح المفصل ج2ص67.

3 انظر سيبويه, الكتاب, ج1 ص 510/509.

4 السيرافي, شرح كتاب سيبويه , ج3 ص190,الشنتمري,شرح النكت ج 1 ص197,ابن هشام , مغني اللبيب ج2 ص650.

5 سيبويه, الكتاب, ج1 ص 510.

6 السيوطي, الأقتراح, ص67.

7 سيبويه, الكتاب, ج2 ص185.

8 سورة الأنبياء 92.

واحدةُ " حمل " أمّتُكُمْ" على هذه كأنّه قال:" إن أمّتَكُمْ كُلّها أمَّةٌ واحدةٌ "، فقد رَفْع العرب " أمّتكُم" و نصب " أمّة" على الحال و بعضهم نصب " أمّتَكُم " ورفع "أمة " لأنّها مبنية على الابتداء.

إنّ القاعدة النّحويّة التي اختزلت جميع الأنماط اللّغويّة هي قاعدة قادرة على التعامل مع جميع الأداءات الاستعمالية لذلك يرى النحاة أنّه يقاس على حُكْمٍ ثَبَتَ استعماله عن الغير.[1] وهذا دليل على أنّ القاعدة النّحويّة تتشكل وفقاً للذاكرة اللّغويّة، لذلك تعتبر النظريات الحديثة أنّ أسلوب التعدد في وجوه الإعراب هو أفضل أسلوب لتحديد بنية العبارة لأنّه قادر على إنتاج أكثر من جملة بطريقة يجتاز فيها حدود المكونات [2]. وهذا ما جعل النحاة العرب يلجأون إلى تقدير الرّفع و النّصب وفقاً للمعنى لأنه القاعدة تتشكل بطريقة مفروضة على المعنى، أمّا الذّاكرة اللّغويّة فإنّها تقوم على الإبداع الذي لا يتقيّد بالقواعد و الأعراف النّحويّة [3].

2.3.2 التمييز

هو اسم نكرة بمعنى "من" مبنّي لإبهام اسم وهو المفرد أو نسبة وهو الجملة([4])، مبيَّن لِما قبلهُ، منصوبٌ بِما فَسَّرهُ نحو " لَهُ شِبْرٌ أرضاً، و قُفَيْزٌ بُرّاً "[5]، ويقول سيبويه[6]:" هذا بابُ ما ينْتَصِبُ ، لأنهُ قَبيحٌ أنْ يكون صِفةً ، وذلكَ قولُكَ:"هذا راقودٌ خلاً، و عَلية نحيٌ سمْناً"، وإن شئتَ قُلْتَ: راقُود خلٍّ، وراقودٌ من خَلٍّ، و إنّما فَرَرْتَ إلى النّصبِ في هذا الباب كما فَرَرْتَ إلى الرّفع في قولك " بِصَحيفةٍ طينٌ خَاتَمُها"، لأن " الطّين " اسمٌ و ليس مما يوصفُ به. و اشترط ابن يعيش[7]أن يكون التمييز نكرة جنساً ومقدرا بــ "مَنْ".

---

1 السيوطي, الأقتراح, ص 69.

2 انظر, تشومسكي نعوم, البنى النّحويّة, ص50-65.

3 لوسركل, عنف اللغة, ص115.

4 عبابنة يحيى, تطور المصطلح النّحوي,ص144

5 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ص318.

6 سيبويه, الكتاب, ج2 ص220.

7قباوة, فخر الدين, الظاهرة النّحويّة, ص103، انظر, ابن يعيش, شرح المفصل ج1 ص70,73.

قسّم ابن مالكٍ التمييز إلى قسمين[1]:

المُبيّن إجمال الذّات، وهو الواقِعُ بعدَ المقاديرِ، وهي المسوحات " لهُ شِبْرٌ أرض " و المكيالات نحو " له قفيزٌ برّاً " و الموزوناتُ:" له مَنَوان عسلاً " و الأعداد نحو " عندي عشرون دِرهماً ".

والمبيّن إجمال النّسبة . وهو المَسُوقُ لبيان ما يَعلّق به العاملُ من فاعلٍ أومفعولٍ. نحو وَّ اشْتَعَلَ الـرَّأسُ شَـيْباً "[2]، و " فَجَرْنَـا الأرْضَ عُيُوناً"[3].

إذن فالتمييز اسم يُزيلُ الإبهام عنْ كلمةٍ أو ما هو بمنزلتها و يسمى تمييز " ذات" لأنّ الغالبَ في الكلمة التي يزيل الإبهام عنها أنْ تَكون شيئاً محْسوساً مجسّماً[4] أمّا تمييز " كَمْ" في مثل:" كَمْ رَجُلاً شاركْتَهُم"، فإنّهُ مُفرد من نوع تمييز العدد لأنّ "كَمْ" كفاية عنه[5]. ويقول سيبويه [6]: و أعلَم أن لـ" كَمْ" مَوْضِعَيْن: فأحدهما الاستفهام، وهو الحرف المُسْتَفْهم به بمنزلة "كيف " و" أين ".والموضع الآخر "الخَبَرُ " و معناهُ معنى "رُبّ".

تذهب القاعدة النّحويّة إلى أنّ تمييز" كَمْ" الاستفهامية يكون منصوباً، وتمييز "كَمْ" الخبرية يكون مجروراً لأنه كما قال سيبويه معناه معنى "رُبَّ" إذ يقول[7]:" و اعْلَمْ أنّ ناساً من العرب يُعْملونَها فيما بعدها في الخبر كما يُعملونها في الاستفهام ".
وبعض العرب يُنْشِدون قول الفرزدق[8]:

كَمْ عَمّةٍ لَكَ يا جَرِيرُ و خالةٍ   فَدْعاءَ قَدْ حَلَبتْ عَلَيَّ عشاري

---

1 انظر, ابن عقيل, شرح ابن عقيل ج1 ص 318-319.

2 سورة مريم 4.

3 سورة القمر 12.

4 نظر, حسن عباس, النحو الوافي, ج2 ص 417.

5 حسن عباس, النحو الوافي, ج2 ص427.

6 سيبويه, الكتاب, ج3 ، ص50.

7 المرجع السابق, ج3 ص 50.

8 الفرزدق, ديوانه, ص 821.

فقد نَصَبَ الشّاعر "عمّةً" بعد " كَمْ" الخبرية التي يكون تمييزها مجروراً لأنّها تعمل في هذا الموضع جميع ما تعمل منه "ربّ" فلذلك يجب أن يكون تمييزها مجروراً لأن القاعدة النّحويّة تفرض ذلك.

وقد قال بعض العرب:" كَمْ عمّةٌ لك يا جرير "[1]، بالرّفع على اعتبار أنّ كَمْ ظرفاً، وعمةٌ " مبتدأ مرفوع.

وتقوم القاعدة النّحويّة على ضوابط لغوية تحدد وظيفة العامل و المعمول ضمن علاقة إسنادية قائمة على الأعراب الشكلي من جهة، والاحتفاظ بالدّلالة من جهة أخرى، وهذا ما دفع النّحاة العرب إلى تحديد العلامّات الأصلية للأعراب[2].

ولكن هنالك أنماط لغوية تستطيع أن تفرض نفسها على القاعدة النّحويّة، لأنّها تُمثّل واقعاً استعمالياً يَنْطلق من الذّاكرة اللّغويّة، فلابدّ من حمّل هذهِ الأنماط على القاعدة، لأنّنا لا نستطيع أنْ نَتَجاهل نَمَط استعمالي، ولكنْ نستطيع أنْ نطوّع القاعدة النّحويّة باتجاه جميع الأنماط اللّغويّة. لذلك أجاز سيبويه[3] "أوجه الرّفع و النّصب و الجرّ " في تمييز " كَمْ" الخبرية و الاستفهامية، لأنّ الذّاكرة اللّغويّة التي أوْجَدَت هذه الأنماط كَبنَية عميقة تَفْرِض على القاعدة النّحويّة أنْ تَعْتَبرها جملاً أصولية متحولة عن بنية عميقة أخرى[4] .

وهذا ما دعا له تشومسكي[5]إذ يقول:" إنّ مَعْنَى الجملة مستمد بشكل رئيس من البنية العميقة عن طريق التفسير الدّلالي والتّحقيق الصوتي للجملة المستمّدة من بنيتها السطحية .....وبهذا يُنْظر إلى قواعد اللغة على أنّها نظام متكامل من القواعد التي مهمتها رَبْطُ الجُملة بمعناها الحقيقي".

---

1 انظر سيبويه, الكتاب, ج3 ص55.

2 انظر, قباوة, فخر الدين, مشكلة العامل النّحوي, ص167.

3 انظر سيبويه, الكتاب, ج3 ص 63/43.

4 انظر, زكريا ميشال, مباحث في النظريّة الألسنية, ص135/125.

5 الشايب فوزي, محاضرات في اللسانيات, ص397.

وهذا ما تنبّه له سيبويه أثناء دراسته للقاعدة النّحويّة محاولاً التعامل مع جميع الأنماط اللّغويّة لضَبْط القاعدة لذلك لجأ إلى التّفسير و التّعليق و التّأويل لحصر جميع الأنماط الاستعمالية ضمن الضوابط اللّغويّة.[1]

---

1 انظر, خليل حلمي, مقدمة لدراسة اللغة, ص 270/265.

الفصل الثالث

التوابع

1.3 العطف

عرّفه أبو البقَاء الكفَويّ[1] بأنّه:" هو تابعٌ يتوسّطُ بينّه وبين متبوعةِ أحدُ الحروف العشرة, والأخْصَرُ والأوْلى" " تابعٌ, حُدِّدَ بحرف العطف".

ومعنى العطف[2] الاشتراك في تَأْثير العامل وأصله الميل وكأنّه أميلُ إلى حيِّز الأول. وقيل له نَسْقٌ لمساواته الأوّل في الإعراب. ويَتمُّ العطف بأحد الحروف الآتية[3]:" الواو, ثمّ, الفاء, حتى, أم, أو" نحو" فيكَ صدقٌ ووفاءٌ" وحرف العطف على قسمين[4]: ما يُشَرّكُ بين المعطوف والمعطوف عليه مطلقاً, أي لفظاً وحُكماً. والثاني: ما يُشَرّكُ لفظاً فقط, وهي" بل" و" لا" و" لكن".

يقول سيبويه[5]:" هذا بابُ ما يكون معطوفاً على الفاعِل المُضْمَر في النِّيَةِ ويكون معطوفاً على المفعول, وما يكون صفة المَرْفوُعِ المُضْمَر في النِّيَّةِ ويكون على المفعول وذلك قولُكَ:" إيّاك أنْتَ نَفْسُك أنْ تَفْعَلَ" " و إيّاك نَفْسَك أنْ تَفْعَلَ" وإذا عطَفْتَ قُلْتَ" إيّاك وزيداً والأسَدَ" كأنَّكَ قُلْتَ: اتقِ وزيداً والأسَدَ. وإنْ حَمَلْتَ الثاني على الاسم المرفوع المضمر فهو قبيحٌ لأنَّكَ لو قُلْتَ:" إذْهَبْ وزيدٌ" كان قبيحاً حتى تقول:" إذهَبْ أنتَ وزيدٌ " وإن قلت: إيّاك أنت وزيدٌ فأنت بالخيار, إن شئْتَ حملتَهُ على الاسم المنصوب, وإن شئت على المرفوع المُضْمَر, لأنّك لو قُلْتَ:" رأيتُكَ قُلْتَ: ذاك أنت وزيدٌ. جازَ وإن قُلْتَ: رأيتُكَ قُلْتَ ذاك وزيداً, فالنّصب أَحْسَن[6]". لأنَّ

---

1 عبابنة يحيى, تطور المصطلح النّحوي, ص159.

2 ابن يعيش, شرح المفصل, ج3 ص74.

3 ابن عقيل, شرح ابن عقيل ج1 ص426.

4 انظر, ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ص426, 427.

5 سيبويه, الكتاب, ج1 ص366.

6 انظر سيبويه, الكتاب, ج1 ص367.

المَنْصوب يُعْطفُ على المنصوب المُضْمَر ولا يُعْطف على المرفوع المُضْمَر إلاَّ في الشّعرِ وذلك قبيحٌ. قال جرير: [1]

إيَّاكَ أنْتَ وعبدَ المسيحِ أنْ تَقْرَبا قبْلةَ المَسْجِدِ

الشاهد[2] في هذا البيت: عطف" عبد المسيح" على" إيَّاكَ" ولو رفعه عطف على المُضْمَر المقدّر بأنْتَ لجازَ". لأنّ القاعدة النّحويّة التي ذكرها سيبويه تَذْهب إلى عطف الاسم المنصوب على المَنْصوب المُضْمَر و لا يعطف على المَرْفُوع المُضْمَر[3]. ولكن إذا خُرقت القاعدة النّحويّة أجاز النحاة ذلك بقولهم:" إلاّ في الشعْرِ وذلكَ قبيحٌ".[4]

يقول سيبويه[5]:" واعْلَمْ أنه لا يجوز أنْ تقولَ: إيّاك زيداً" كما أنّهُ لا يجوز أنْ تقول:" رأسَكَ الجدَارَ" حتى تقول:" مِنْ الجدارِ" أو" والجدِارَ" إلاّ أنّهم زعموا أنّ ابن أبي إسحاق أجاز هذا البيت في الشعْر: [6]

إيَّاكَ إيَّاكَ المِراءَ فإنّهُ إلى الشرِّ دَعَّاءٌ وللشرِّ جالبُ

يقول الشَنْتَمَرِيّ[7]:" وسيبويه يذهبُ إلى أنّ المراءَ منصوبٌ بفعلٍ غير الفعل المقدّر لا إيّاكَ, كأنّهُ أضْمَرَ بعد إيّاكَ: اتّقِ المراءَ".

أمّا سيبويه[8] فيقول:" أمّا ما يَحْسُنُ أن يَشْرَكَهُ المُظْهَرُ فهو المُضْمَرُ المنصوبُ, وذلك قولُكَ: رأيْتُكَ وزيداً وإنَّكَ وزيداً لمنطلقان... وأمّا ما يقبحُ أن يَشركَهُ المُظْهَرُ, فهو المُضْمَرُ في الفعل المرفوعُ وذلك قولُكَ: فَعَلْتَ وعبدُ الله وأفْعَلُ وعبدُ الله.

---

1 جرير, ديوانه, ص127.

2 الشنتمري, شرح النكت ج1 ص162.

3 انظر, ابن يعيش, شرح المفصل, ج3 ص 76/74.

4 سيبويه, الكتاب, ج1 ص367.

5 المرجع السابق, ج1 ص368/367.

6 انظر الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص162.

7 المرجع السابق, ,ج1 ص162.

8 سيبويه, الكتاب, ج4 ص47.

واعْلَم[1] أنّهُ قبيحٌ أن تقُولَ:" ذَهَبْتَ وعبدُ الله, وذَهَبْتَ وأنا لأنّ" أنا" بمنزلةِ المُظْهَرْ, ألا ترى أن المُظْهَرْ لا يشركُهُ إلا أن يجيء في الشِّعْرِ, قال الراعي:

فَلَمّا لَحِقْنَا والجيادُ عَشِيَّةً دَعَوْا يا لَكَلْبٍ واعْتَزَيْنَا لِعَامِرِ

فقد عطف الشاعر الاسم" الجياد" على الضمير المتّصل بـــ" لَحِقْنَا" وفيه قبحٌ حتى يؤكد بضمر منفصل:" لَحِقْنَا نحن والجيادُ".[2]

ويرى سيبويه[3] أنّهُ يَجُوز في الشعْرِ أنْ تُشْرِكَ بين الظاهر والمُضْمَر على المرفوع والمجرور. إذا اضطرَّ الشاعرُ. كما في قول الشاعر: [4]

فاليومَ قرَّبْتَ تَهْجُوْنا وتَشْتُمُنا فاذْهَبْ فما بكَ والأيّامِ من عَجَبِ

فقد عطف الشاعر الأيام على المُضْمَر المجرور دونَ إعادة الجار" فما بكَ والأيامِ" وهو قبيحٌ".[5]

وذَكَرَ ابن السّراج[6]:" أنّهُ لا يجوز عطف الظاهر على المُكنّى المتّصل المرفوع حتى تؤكِّده, نحو قوله تعالى:" فاذْهَبْ أنْتَ وربُّكَ فَقَاتِلا".[7]

وذهب الكوفيون[8] إلى أنّهُ يجوز العطف على الضمير المَخْفُوض وذلك:" مَرَرْتُ بكَ وزيدٍ" وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز.

ويرى ابن يعيش[9] أنّ المُضْمَر المتّصل لا يصح عطفه سَواء أكان مرفوعاً أم منصوباً أم مجروراً, فإنْ كان مرفوعاً لم يجز العطف عليه إلا بَعْدَ تأكيده نحو قوله تعالى" اسْكُنْ أنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنّةَ".[1]

---

1 سيبويه, الكتاب, ج4 ص50.

2 انظر السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج3 ص399.

3 سيبويه, الكتاب, ج4 ص53.

4هذا البيت من شواهد سيبويه التي لم يعرف قائلها انظر ,ابن يعيش ,شرح المفصل , ج3 ص78,ابن الأنباري, الإنصاف ج2 ص464.

5 سيبويه, الكتاب, ج4 ص54.

6 قاسم صالح, الظاهرة النّحويّة, ص168.

7 سورة المائدة 24.

8 ابن الأنباري, الإنصاف في مسائل الخلاف, ج2 ص474 المسألة 66.

9 ابن يعيش, شرح المفصل, ج3 ص76.

تشكّلت القاعدة النّحويّة عند سيبويه استناداً إلى الكثير من لغة العرب بعَدَمْ جواز العطف على الضمير المتّصل المَرْفُوع إلا بعَدَ توكيده, وعدم جواز العطف على الضمير المتّصل المجرور إلا بإعادة الجار" تكرار العامل" واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى:" فَقَالَ لَهَا ولِلأَرْضِ"[2]

ولكن سيبويه تنبَّه إلى أنّ هناك أنماطاً لغوية تخرج عَنْ القاعدة النّحويّة, وهذه الأنماط تشكِّلُ واقعاً استعمالياً في اللغة لأنّها تقوم على الذّاكرة اللّغويّة التي تَخْتزل جميع الأنماط اللّغويّة.

فقد أشار سيبويه إلى ذلك بقوله[3]:" وقَدْ يَجُوز في الشِّعر" وهذا دليلٌ إلى عدم جواز ذلك في الأنماط اللّغويّة الأخرى, لأنّ ليس هناك مجالٌ للتقدير والتأويل في التعامل مع هذه الخُروقات لأنّها لا تقوم على المعنى, وإنّما هي عوامل ارتباطيه في بنية العبارة.

لم يلتفت سيبويه إلى الذّاكرة اللّغويّة التي أوجدت هذه الأداءات وأعطتها واقعاً استعمالياً؛ لأنّ المستوى التقعيدي لم يستطع أن يتعامل معها ولكنَّهُ اعتبرها خارجة عن أنظمته فقط وأطلق عليها مصطلح" القُبْح".

يقول ابن الانباري[4]:" ذَهَبَ البصريون إلى أنَّهُ لا يجوز العطف على الضمير" المَرْفوع والمَجْرور" إلا على قُبْحٍ في ضرورة شعرٍ. في حين أنّ أهمّ ما ينبغي أنْ يلتفت إليه عالم اللُّغَةِ هو الجانب الطبيعي المادي من اللغة كما يتمثل في الصوت والبنية. [5]

---

1 سورة الأنعام 148.

2 سورة فصلت 11.

3 سيبويه, الكتاب, ج4 ص53.

4 ابن الأنباري, الإنصاف في مسائل الخلاف ج2 ص475/476.

5 خليل حلمي, مقدمة لدراسة علم اللغة, ص282.

هذه دعوةٌ إلى الالتفات إلى الذّاكرة اللّغويّة التي تستطيع أنْ تتعامل مع اللُّغة بمفاهيمها العقلية, لأنّها قائمةٌ في العقلِ ولَيْسَت بالضرورة أن تكون منطقية بل قد تكون تداوليّة أو تجريبيّة. [1]

يقول سيبويه[2]:" هذا بابُ ما يحْمَلُ فيه الاسم على اسم بُني عليه الفعلُ مرّة, ويُحْمَلُ مرةً أخرى على اسم مبنيٍّ على الفعل, أيَّ ذلك فعلتَ جازَ, فإن حملتهُ على الاسم الذي بُني عليه الفعل كان بمنزلتِه, إذا بَنيْتَ عليه الفعل مبتدأ, وإذا حملته على الذي بُني عليه الفعل اختيرَ فيه النَّصبُ.

قال العجّاج[3]:

يَذْهَبْنَ في نجدٍ وغَوْراً غائراً

كأنّه قال يسلكْنَ غوراً غائراً, ولا يجوز أن تُضْمَرَ فعلاً لا يصل إلا بحرفِ جرٍّ, لأن حرف الجرّ لا يُضْمَرُ[4], ومثل ذلك قوله تعالى:" وَحُوَراً عِيناً".[5]

فقد أجاز سيبويه نَصْب الاسم على فعل محذوف يقدّره السيّاق بدلالة حرف العطف أو انقطاع العطف على المُضمر ورفع الاسم على الابتداء. وهناك من يرى أن سبب ظهور" ظاهرة المعاني المُضْمَرة في الخطاب اللغوي يتجلى في عجز اللغات الطبيعية نفسها, ويفسّرُ هذا العجز تعقّدها وغموض بُنياتها والتباسها الدلالي حتى في مقام تواصلي عادي. [6]

فالمعنى هو الذي دفع النحاة للتعامل مع الأنماط اللّغويّة التي تخرج عن القاعدة النّحويّة دون الاهتمام بالذّاكرة اللّغويّة التي اختزلت هذه الأداءات. يقول سيبويه[7]:" هذا بابُ ما يُجْرَى على الموضع لا على الاسم الذي قَبْلَه وذلك قولُكَ:"

---

1 انظر, سلسلة ندوات, اللسانيات العربية بين النظريّة والتطبيق, ص66/56.

2 سيبويه, الكتاب, ج1 ص145.

3 السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج2 ص511, الشنتمري, شرح النكت ج1 ص91.

4 سيبويه, الكتاب, ج1 ص150.

5 سورة الواقعة 22.

6 سلسلة ندوات, اللسانيات العربية بين النظريّة والتطبيق, ص57.

7 سيبويه, الكتاب, ج1 ص109.

ليس زيدٌ بجبانٍ و لا بَخِيْلاً, وما زيدٌ بأخيكَ و لا صاحِبَك" والوجهُ فيه الجرُّ لأنك تُريد أنْ تُشرِك بين الخبرين, وليس ينقض إجراؤهُ عليه المعنى" وقد حَمَلَهُمْ قُرْبُ الجوارِ على أنْ جرّوا:" هذا جُحرُ ضبٍّ خربٍ[1]" فهو من الشّاذّ الذي لا يُحْمَلُ عليه و لا يجوز ردُّ غيره إليه[2] والأصلُ" جُحرُ ضبٍّ خربٍ جُحرُهُ" " خربٍ" وصفاً على" ضبٍّ" وإنْ كان في الحقيقةِ للحُجْرِ. [3]

ومما جاء في الشِّعر من الإجراء على الموضعِ قولُ عُقَيْبَةَ الأسدي: [4]

مُعاويَ إنَّنَا بَشَرٌ فأَسجِحْ فَلَسْنَا بالجبالِ ولا الحديدا

فحمله على موضع الباء لو لم تكن. [5]

إنّ الذّاكرة اللّغويّة التي تنتمي لها هذه الأنماط اللّغويّة أقدر على التعامل مع جميع الأنماط اللّغويّة, ومهما حاول النحاة الالتفات إلى هذه الأنماط فإنّهم لا يستطيعون أنْ يخالفوا القاعدة النّحويّة, يقول ابن الخشّاب[6]:" إنّ مخالفة المُتقدّمين لا تجوز" فهذا اعترافٌ بأنّ القاعدة النّحويّة لا يمكن أنْ تختزل جميع الأنماط اللّغويّة, ولا يمكن أنْ تكون شاملة لجميع الأداءات اللّغويّة, لذلك لجأ النّحاة إلى" التّقدير والتأويل" محاولين قدر الإمكان اختزال جميع الأنماط اللّغويّة التي يمكن أنْ تخرج عن القاعدة النّحويّة بالمعنى, لأنّ المعنى يُعْطي اللغة قدرة عالية على التعامل مع جميع الأداءات وجذبها باتجاه القاعدة النّحويّة. [7]

---

1 سيبويه, الكتاب, ج1 ص109.

2 السيوطي, الاقتراح, ص55.

3 ابن جني, الخصائص, ج1 ص191.

4 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص78.

5 المرجع السابق, ج1 ص78.

6 السيوطي, الاقتراح, ص56.

7 انظر, المسدي عبد السلام, اللسانيات وأسسها المعرفية, ص92/107.

2.3 البدل

هو تابعٌ, بلا واسطة عاطفٍ, مقصودٌ وحدهُ بالحكم والمتبوع ذُكِرَ توطئةً له. ليكون كالتفسير بعدَ الإبهام[1]. يقول ابن عقيل[2]:" البدل هو التّابع المقصود بالنّسبةِ, بلا واسطة" أمّا سيبويه[3] فقال:" هذا بابُ بدلِ المَعْرفةَ من النكرة, والمعرفةَ من المعرفةِ, وقَطْعِ المعرفةِ من المعرفةِ, وقَطْعِ المعرفةِ مَن المعرفةِ مُبْتَدَأةً.

وقد قسّم النحاة البدل إلى أربعة أقسام[4], وهي:" بدل الكُلِّ من الكُلِّ كقولهِ تعالى[5]:" إهْدِنا الصِّراطَ المستقيم, صِراط الذّين أنْعَمْتَ عليهم". وبدل البعض من الكُلِّ كقولِكَ:" رأيتُ قَوْمَكَ أكْثَرَهُمْ". وبدل الاشتمال كقولُكَ:" أعْجَبَني عمروٌ حُسْنُهُ". وبدل الغلط كقولُكَ:" مَرَرْتُ برجلٍ حمارٍ" أردتَ أنْ تقول بحمارٍ فسبقكَ لسانُكَ إلى رجلٍ ثم تداركته.

ويرى سيبويه أن المعرفة تقطع للابتداء فلا يكون بدلاً من الاسم الذي قبله إذ يقول[6]:" وأمّا الذي يجيءُ مبتدأً فقول الشاعر وهو المُهَلْهَلْ: [7]

ولقد خَبَطْنَ بُيُوتَ يَشْكُرَ خَبْطَةً   أخوالُنَا وهُمُ بنو الأعْمامِ

فرفع" أخوالُنا" كأنّه لمّا قال:" خَبَطْنَ بيوتَ يَشكُرِ, قِيلَ له: مَنْ هُمْ؟ فقال هُمْ أخوالُنا وهم بنو الأعمامِ".[8]

أجاز سيبويه النّصب على البدل والرّفع على الابتداء, إذ يقول[9]:" الابتداء أقوْى وهذا عربيٌّ جَيِّدٌ قولُهُ:" أخوالُنا". لقد ذكر سيبويه جواز الرّفع والنّصب كثيراً في بدل

---

1 عبابنة يحيى, تطور المصطلح النّحوي, ص164.

2ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ص438.

3 سيبويه, الكتاب, ج2 ص82.

4 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ص438.

5 سورة الفاتحة 6/5.

6 سيبويه, الكتاب, ج2 ص82.

7 السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج3 ص296.

8 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص219.

9 سيبويه, الكتاب, ج2 ص83.

البعض من الكل[1]. إذ يقول[2]:" هذا بابٌ من الفعل يُستَعْمَلُ في الاسم, ثُمَّ يُبْدَلُ مكانَ ذلك الاسم اسمٌ آخرُ فَيَعْمَلُ كما عَمِلَ في الأوّل وذلكَ قولُكَ:" رأيتُ أكثرَهُمْ", ورأيت بني زيدٍ ثُلُثَيْهِم.

ومن ذلك قولُهُ عزّ وجلّ:" ولله على النّاسِ حجُّ البيتِ مَنْ استطاعَ إليه سبيلاً"[3]. ومما جاء في الرفع قولهُ تعالى:" ويومَ القيامةِ تَرَى الذّين كَذَبُوا على اللهِ وجُوُهمْ مُسْوَدَّةٌ"[4].

ومما جاء في النّصبِ يقولُ سيبويه[5]:" إنّا سمعنا من يُوثق بعربيته يقولُ:" خَلَقَ اللهُ الزَّرَافَةَ يَدَيْها أطولَ من رجليها" وحدّثنا يونس أنّ العرب تُنْشِدُ هذا البيت, وهو لعبده بن الطَّيب[6]:"

فمّا كانَ قَيسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحدٍ وَلَكنَّهُ بنيانُ قَوْمٍ تَهدّما

فالاختيار في قولك:" هُلْكَ واحدٍ" الرّفع على الابتداء والنّصبُ على خبر كان. [7]

ومثل ذلك بدل الغلط, نحو قولك[8]:" ما مَرَرْتُ برجلٍ صالحٍ بل طالحٌ" ومنه قوله عزّ وجلّ:" وقالوا اتّخذَ الرّحمنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بلْ عِبادٌ مُكْرَمونَ"[9].

ويرى سيبويه أنّه حمل ذلك على المعنى لأنّه لا يَتَغيَّرُ ولا يختلُّ. أمّا القاعدة النّحويّة التي تُعدّ أنّ البدل من التوابع فتذهبُ إلى وجوب إتباع الاسم المبدل بحركة إعراب المبدل منه[10] ويجب التعامل مع جميع الأداءات اللّغويّة من هذا الجانب. ولكن النحاة العرب وضعوا القاعدة النّحويّة استناداً إلى النّظام النحوي الذي

---

1 ابن يعيش, شرح المفصل, ج3 ص65/66.

2 سيبويه, الكتاب, ج1 ص214.

3 سورة آل عمران 97.

4 سورة الزمر 60.

5 سيبويه, الكتاب, ج1 ص220.

6 هو يزيد بن عمرو التميمي من عبد شمس بن سعد بن مناه / شرح المفصل ج3 ص65.

7 انظر الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص119.

8 سيبويه, الكتاب, ج2 ص93.

9 سورة الأنبياء 26.

10 انظر, ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ص438/441.

استطاعوا ضبطه ووضع معايير دقيقه له. ولمّ وجدوا بعض الأداءات اللغوية لا تخضع لهذه المعايير المكتشفة انطلاقاً من الكثير من الأداءات حاولوا تطويعها دون أن يفصلوا ما بين ما يخضع للقاعدة, وما اختزن في ذاكرة أبناء المجموعة اللغوية.

ويُمكننا القول أن هذه الأداءات اللّغويّة هي التي تستطيع أن تفرض نفسها على القاعدة النّحويّة وتجبر النحاة على فتح أبواب القاعدة للذاكرة اللّغويّة. [1]

3.3 النعت

هو تابعٌ يدلُّ على معنى متبوعة مطلقاً[2], وهو الاسم الدّال على بعض أحوال الذات[3], وذلك نحو" طويلٌ, قصيرٌ" وقد عرّف ابن مالك[4] النعت بأنّه:" التابعُ المكمِّلُ متبوعة ببيان صفة من صفاته". وذكر ابن يعيش[5]:" أنّ الصّفة تتبع الموصوف في أحواله: رَفْعِه ونَصْبِه وخَفْضِه وإفرادِهِ وتثنيتِهِ وجمعِهِ وتنكيرِهِ وتعريفِهِ وتذكيرِهِ وتأنيثِهِ. فإنْ كان الاسم الأول الموصوف مرفوعاً فنعتهِ مرفوع, وإن كان منصوباً فنعته منصوب, وإنْ كان مخفوضاً فنعتهُ مخفوض, ومن قبل أن النعت والمنعوت شيءٌ واحدٌ. يقول سيبويه[6]:" هذا بابُ مجرْى النعت على المنعوت. كقولِكَ:" مَرَرْتُ برجلٍ ظَرِيْفٍ قَبْلُ" فصارَ النّعت مجروراً مِثْلَ المنعوتِ لأنّهما كالاسم الواحد. وإنما صَار النّعتُ كالاسم الواحدِ من قِبل أنّك لم تُرِد الواحدَ من الرِّجال الذين كُلُّ واحدٍ منهم رَجُلٌ. ولكنّك أردتَ الواحدَ من الرِّجالِ الذين كلُّ واحدٍ منهم رَجُلٌ ظريفٌ فهو نكرةٌ".

وهذا ما ذكره ابن عقيل [7]:" أن النّعتَ لا بدّ من مُطابقتِهِ للمنعوت في الإعراب والتعريف والتنكير".

---

1 انظر, زكريا ميشال, مباحث في النظريّة الألسنية وتعلم اللغة, ص85/79.

2 عبابنة يحيى, تطور المصطلح النّحوي, ص174.

3 ابن يعيش, شرح المفصل, ج3 ص46.

4ابن عقيل, شرح ابن عقيل ج1 ص409.

5 انظر, ابن يعيش, شرح المفصل, ج3 ص55/50.

6 سيبويه, الكتاب, ج2 ص38.

7 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ص410.

تذهب القاعدة النّحويّة إلى أنّ النعت يطابق الاسم المنعوت في حركة إعرابِهِ كقولك:" مَرَرْتُ برَجُلٍ أيّما رجلٍ[1]". فــ" أيّما" نعتٌ للرجل في كماله, كأنّهُ قال:" مَرَرْتُ برَجُلٍ كاملٍ". ومنه[2]" مَرَرْتُ برَجُلٍ حَسْبُكَ من رَجُلٍ" فهذا نعتٌ للرجل بإحسابِهِ إيّاك من رجل".

ولكن هناك أنماط لغوية تَخْرجُ عن القاعدة النّحويّة؛ لأنّها تنطلقُ من الذّاكرة اللّغويّة وما اختزنه أبناء اللغة, فعمل النحاة على تأويل ذلك وإدراجه تحتَ أنظمه القاعدة النّحويّة بعوامل غير ملفوظةٍ, وإنّما قدّروها تقديراً. قال النّحويون[3]:" عاملٌ لفظي وعاملٌ معنوي لِيُروك أنّ بعض العمل يأتي مُسبباً عن لفظٍ يصحبه, وبعضه يأتي عارياً عن مصاحبة لفظ يتعلق به... وإنما هو للمتكلّم نفسِهِ لا شيء غيرهُ.

يقول سيبويه[4]:" وسمِعنا بعض العرب الموثوق بِهِمْ يقولُ:" مَرَرْتُ برَجُلٍ هَدَّك من رَجُلٍ" و" مَرَرْتُ بامرأةٍ هَدَّتكَ من امرأةٍ" فجعله فعلاً مفتوحاً كأنه قال" فَعَلَ" وفَعَلَتْ" فلو قال:" هَدكَ" صار نعتاً لأنّهُ جرى على الأوّل في إعرابه. وأصبحت الجملة بنية عميقة لأنّها لا تَخْرج عن القاعدة, فالبنية العميقة أوثقُ علاقَةٍ بالمعنى, بينما تكون البنية السطحية أوثق علاقةٍ باللفظ[5]. فمن نصب" هَدَّكَ" جعله نعتاً, ومن فتَّحَ جَعَلَهُ فعلاً ماضياً فيه ضمير, فعلى هذا تقول:" مَرَرْتُ برجلين هدَّاك من رجلَيْن, وبرجالٍ هدُّوكَ من رجالٍ"[6]. وقد تنبّه النحاة العرب إلى الذّاكرة اللّغويّة من خلال تعريفهم للجملة, فيجعل ابن هشام[7]:" الجملة أعمَّ من الكلام الذي يَنْبَغي أنْ تحصل فيه الفائدة بالقصد...اعلم أنّ اللّفظ المفيد يُسمىّ كلاماً وجملة. ونعني بالمفيد ما يحسن السكوت عليه, وأن الجملة أعمُّ من الكلامِ".

---

1 سيبويه, الكتاب, ج2 ص39.

2 ابن يعيش, شرح المفصل, ج3 ص50.

3 قباوة, فخر الدين, مشكلة العامل النّحوي, ص99.

4 سيبويه, الكتاب, ج2 ص40.

5 ليونز جون, اللفظ والمعنى والسياق, ص169.

6 ابن يعيش, شرح المفصل, ج3 ص52.

7 سلسلة ندوات, اللسانيات واللغة العربية بين النظريّة والتطبيق, ص68.

يقودنا هذا إلى أن التوجيه انطلاقاً من الذّاكرة اللّغويّة أقدر على التعامل مع الأداءات اللّغويّة؛ لأنّها تقوم على جملٍ يمكن تفسيرُها حسب معناها الحرفي دون اللجوء إلى الافتراضات المعنوية[1]. يقول سيبويه:" وممّا جاءَ نعتاً على غير وَجْهِ الكلام:" هذا جُحْرُ ضبٍّ خربٍ" فالوجهُ الرّفْعُ, وهو كلامُ أكثر العرب وأفصحهم, وهو القياس, لأنّ" الخَربَ" نعتٌ" للجُحْرِ" و" الجحرُ" رفعٌ, ولكن بعض العرب يجرُّه وليس بنعتٍ لـــ" ضبٍّ" ولكنَّهُ نَعْتٌ للذي أُضيْفَ إلى" الضبِّ" ولأنّه في موضعٍ يقع فيه نَعْتُ الضّبِّ, ولأنّه صار هو و" الضّبِّ" بمنزلةِ اسمٍ واحدٍ.

قال النحاةُ[2] هذا من الشاذّ الذي لا يُحْمَلُ عليه, و لا يجوز ردُّ غيره إليه. وفسّروا مثل هذه الظواهر على أنّها أنماط لغوية قائمة على الشّذوذ لأنّها تخرج عن القاعدة النّحويّة. أمّا البنيويون[3] فيعتبرون أنّ اللغة عادةٌ من العادات تكتسب بالمحاكاة والقياس, وعامل القياس هو الذي يفسِّر كيف للإنسان استناداً إلى صِيَغ لغوية محدودة سمعها يستطيع أن يؤلف صيغاً لم يسمع بها قطّ.

وعرف تشومسكي اللغة:" بأنّها ملكة فطريّة تُكْتَسبُ بالحدس. وإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يتكلم إلا إذا سمع صيغها الأوليّة في نشأته, فإن سماع تلك الصِيَغْ ليس هو الذي يخلق القدرة اللّغويّة في الإنسان وإنما يقدح شرارتها فحسب[4].

يقودنا هذا إلى أنّ الذّاكرة اللّغويّة هي التي تعطي الأنماط اللّغويّة واقعاً استعمالياً فقط لأنها تقوم على التعامل مع الأداءات اللّغويّة كنمط استعمالي دون النظر إلى العناصر التي يُمكنها أنْ تشكّل المستوى التقعيدي للغة. قال ابن الأنباري[5]:" النحو كلُّهُ قياسٌ" لأنهم تعاملوا مع الأنماط اللّغويّة التي يمكن رفضها لأنّها تخرج من الذّاكرة اللّغويّة.

---

1 ليونز جون, اللغة والمعنى والسياق, ص130.

2 السيوطي, الأقتراح, ص55.

3 المسدي عبد السلام, اللسانيات وأسسها المعرفية, ص144.

4 المرجع السابق, ص146.

5 السيوطي, الأقتراح, ص59.

يقول ابن ميّادة المُرّي من غطفان[1]:"

وارْتَـشْنَ حيْنَ أرَدْنَ أنْ يَرْمِيننا نَبْلاً بلاريـــــشٍ و لا بقداحِ

ونَظَرْنَ مِنْ خَلَلِ الخدورِ بأعيُنٍ مَرضى مُخَالِطِها السِّقامُ صِحاح

الشاهد فيه قولُهُ:" مُخَالِطِها" أجراهُ على" أعيُنٍ" وجرّهُ كما لو كان منّوناً".[2]

والذي أجمع عليه النحاة أنّ الصفة إذا كانت فعلاً للأوّل أو لسببهِ أولِمَا التبسَ به كانت منوّنه. فهي تجري على الأول وتنجرُّ بجرّه[3]. يذكر سيبويه:" أنّ الصِّفة إذا كانت للأول, فالتنوين وغيرُ التنوين سواءٌ" يقول الأخطل:" [4]

حَمَيْنَ العراقيبَ العصا وتَرَكْنه بهِ نَفَسٌ عالٍ مخالِطُهُ بُهْرُ

فمُخَالطُهُ صفة للنّفس على معنى مخالطٌ له[5]. لقد أجاز سيبويه التنوين وعدمهُ بين الصفة وموصوفها على الرغم من أنّ القاعدة النّحويّة تفرض المطابقة بين الصفة والموصوف في التذكير والتأنيث والإعراب... [6]". ولكنّ سيبويه احتجّ بأقوال العرب إذ يقول:" سَمِعْنا من العرب من يَرْويه ويروي القصيدة التي فيها هذا البيت[7], لأن الذّاكرة اللّغويّة التي اعتمد عليها سيبويه هي التي تسمح له أنْ يَخْرج عن القاعدة النّحويّة التي وضعها النحاة[8]. وإنّ أقوال العرب هي التي تفرض على القاعدة النّحويّة أن تتعامل معها كنمط استعمالي يَخْرج عن المستوى التقعيدي للغة.

---

1 انظر الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص220, السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج3 ص299.

2 سيبويه, الكتاب, ج2 ص87.

3 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص220.

4 الاخطل, ديوانه ص198, السيرافي, شرحكتاب سيبويه , ج3 ص300, الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص221.

5 الشنتمري, شرح النكت, ص221.

6 انظر, ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ص410.

7 سيبويه, الكتاب, ج2 ص87.

8 انظر الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص 221/220.

يقول سيبويه[1]:" هذا بابُ الرفعُ فيه وَجْهُ الكلام وهو قول العامّة وذلك قولُكَ:" مَرَرْتُ بسرجٍ خزٌّ صُفّتُهُ" و" مَرَرْتُ بصحيفةٍ طينٌ خاتَمُها" و" مَرَرْتُ برجلٍ فِضَّةٌ حِلْيَةُ سَيْفِهِ", وإنما كان الرّفع في هذا أحسن من قِبَل أنهُ ليس بصفة".

يرى سيبويه أنّ هذه الأنماط يكون الرّفعُ فيها هو وجه الكلام لأنك لا تجعل" صحيفةَ طينٍ" اسماً واحداً كقولك:" مَرَرْتُ بِحَسَنٍ أبُوه" كأنّك قُلْتَ:" مَرَرْتُ بِحَسَنٍ".[2]

تنبه سيبويه إلى أنّ هناك أنماطاً لغوية تخرج عن القاعدة النّحويّة إذ يقول[3]:" ومن العَرَبِ مَنْ يقولُ:" مَرَرْتُ بقاعٍ عَرْفَجٍ كُلُّهُ" يَجْعَلونَهُ كأنَّهُ وَصْفٌ".

لقد جمع النحاة العرب الأنماط اللغوية وسجلوا الاداءات ثم قعدوا اللغة, ولكنّهُمْ وجدوا أن هناك أنماطاً لغوية لا يمكن لها أنْ تخضع لقوانين القاعدة. فاختلط عليهم الأمر لذلك لجأوا إلى عناصر تقديريّة تعتمد على المعنى كي يضبطوا هذه القاعدة ما أمكن. في حين أنّهُمْ لم يعترفوا بالذّاكرة اللّغويّة التي خزّنت هذه الأنماط وأعطتها واقعاً استعمالياً نافذاً وحقيقياً. يقول سيبويه[4]:" واعْلَمْ أن مِنْ العَرَبِ مَنْ يقولُ:" ضَرَبُوني قومُكَ, وضَرَبَاني أخواكَ" فشّبهوا هذا بالتّاء التي يُظهرونها في" قالتْ فُلانَة" وكأنهم أرادو أن يجعلوا للجميع علامةً كما جعلوا للمؤنث".

ومن ذلك قول الفرزدق[5]:"

ولكنْ دِيافيٌّ أبوهُ وأُمُّهُ بِحَوْرانَ يَعْصِرْنَ السَّليطَ أقارِبُهُ

فقد جمع الشاعر الضمير في أقاربِهِ" في الفعل المقدم" يَعْصِرْنَ"[1] وأمّا قوله عزّ وجلّ:" وأسَرُّوا النّجْوَى الذّينَ ظَلَمُوا"[2] فإنما يجيءُ على البدل كأنّهُ قال: انْطَلَقوا, فَقِيلَ له من هُمْ؟ فقالَ: بنو فلان".[3]

---

1 سيبويه, الكتاب, ج2 ص91.

2 انظر الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص224.

3 سيبويه, الكتاب, ج2 ص92.

4 سيبويه, الكتاب, ج2 ص113..

5 الفرزدق, ديوانه ص50, السيرافي, شرحكتاب سيبويه , ج3 ص322,ابن يعيش , شرح المفصل ج3 ص89.

ومما جاء في القرآن قدْ حُذِفَتْ فيه التاءُ قوله عزّ وجلّ:" فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ من ربِّه فانتهى"[4].

عالج سيبويه هذه الأنماط اللّغويّة فيما يَجْري مَجْرى الفعل مع فاعله, فإذا تَقدمَ الفعلُ في هذا الضرب, فالأصل الذي رتّبَ اللفظُ لَهُ إثبات علامة التأنيث وحذفها جائزٌ[5] في ذلك قال سيبويه[6]:" هذا بابُ ما جَرَى من الأسماء التي مِن الأفعال وما أشبَهَها من الصفات التي ليست بعَمَلٍ نحو" الحَسَنِ, الكريمِ" وما أشْبَهَ ذلك مجرى الفعلِ إذا أظهَرْت بَعْدَهُ الأسماء وأضمَرْتها وذلك قولُكَ:" مَرَرْتُ برجلٍ حَسَنٍ أبواهُ, وأحْسَنٌ أبواه".

لقد اتّسم النحو القديم بدراسة اللغة دراسةً ترابطية بين المادة اللّغويّة ومعرفة الإنسان الضمنية بلغته, ولذلك فإن مُتكلمٍ اللغة يستطيع أنْ يتعامل مع جميع الأنماط اللّغويّة ويستطيع أنْ يصدر الحكم عليها من حيث الصواب والخطأ. [7]

وبهذا يستطيع النّحوي أنْ يضع قواعد لغته بشكلٍ محكمٍ دقيقٍ, ولكنْ هناك مجموعة من الأنماط اللّغويّة تصدر من الذّاكرة اللّغويّة أثارت اهتمام النحاة وسمحت لهم باستنباط قوانين جديدة عملت على إحداث تغيرات على بُنية القاعدة النّحويّة. [8]

يقودنا هذا الأمر إلى أن الذّاكرة اللّغويّة أقدر في التعامل مع اللغة وإنها حقلٌ واسعٌ لاستيعاب جميع الأنماط اللّغويّة.

وقد تنبّه سيبويه إلى ذلك إذ يقول[9]:" هذا بابُ ما لا يكونُ فيهِ الاسمُ إلا نكرةً. وذلك قولُكَ:" هذا أوّلُ فارسٍ مُقْبلٌ, وهذا كلُّ متاع عندك موضوعٌ, وهذا خيرٌ

---

1 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص225.

2 سورة الانبياء3.

3 سيبويه, الكتاب, ج2 ص115.

4 سورة البقرة 275.

5 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص225.

6 سيبويه, الكتاب, ج2 ص108.

7 انظر, زكريا ميشال, مباحث في النظريّة الألسنية ص40.

8 انظر, تشومسكي نعوم, تأملات في اللغة, ص74/75.

9 سيبويه, الكتاب, ج2 ص210.

منك مُقْبِلٌ ومِمّا يدلُّكَ على أنّهُنَّ نكرَةٌ أنّهُنَّ مضافاتٌ إلى نكرَةٍ وتُوصَفُ بِهُنَّ النَّكِرَةُ وذلك أنَّكَ تقولُ فيما كان وصفاً" هذا رجلٌ خيرٌ مِنْكَ".

فالقاعدة النّحويّة تذهب إلى أن" مُقْبِلٌ" نعتٌ للأوّل فالاسم نَكِرَةٌ وصِفَ بالنَكِرَةِ[1].

يقول سيبويه[2]:" وحدَّثنا الخليلُ أنّهُ سَمِعَ من يوثق بعربيته يُنْشِدُ هذا البيت وهو قول الشمّاخ[3]:"

وكُلُّ خليلٍ غيرُ هاضِمِ نَفْسِهِ لِوَصْلِ خليلٍ صارِمٌ أو معازِرُ

فجعل" غيراً" وصفاً لــ" كُلٍّ" ولو حَمَلَها على" خليلٍ" لجازَ. [4]

يقول سيبويه [5] في ذلك:" حَدَّثني أبو الخطّاب أنّهُ سمع مَنْ يوثقُ بعربيّتِهِ من العرب يُنْشِدُ هذا البيت [6]:"

كأنا يَوْمَ قُرّى إنّمــــا نَقْتُلُ إيّانا

قَتَلْنا منهم كُلَّ فتىً أبيضَ حُسّانا

فجعل"أبيضَ" وصفاً لــ" كُلٍّ".

إنّما احتجَّ سيبويه بهذه الأبيات ليقطع من زعم أن" أوّل" و" كلّاً" وما أشبههُما ممّا يضاف إلى واحدٍ معرفة إذا كانت الألف واللام لا تدخل في المضاف إليه. [7]

فقد وصف الشاعر الاسم النكرة بالمعرفة [8]. ولكن القاعدة النّحويّة تفرض أنْ يصف الشاعر الاسم النكرة بنكرة كقولِكَ:" هذا أوّلُ فارسٍ مقبلٌ".

---

1 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص250.

2 سيبويه, الكتاب, ج2 ص211.

3 الشماخ, ديوانه ص83,انظر السيرافي, شرحكتاب سيبويه , ج3 ص451,الشنتمري, شرح النكت, ص251.

4 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص251.

5 سيبويه, الكتاب, ج2 ص211.

6 البيت لذي الإصبع العدواني, انظر, ابن جني, الخصائص,ج2 ص194, الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص251, ابن يعيش, شرح المفصل, ج3 ص102.

7 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص251.

8 سيبويه, الكتاب, ج2 ص210.

إنّ هذه الأنماط اللّغويّة تمثّل واقعاً استعمالياً؛ لأنّ الذّاكرة اللّغويّة هي التي تختزل هذه الأنماط, فقد تنبّه سيبويه إلى أنّ الذّاكرة اللّغويّة التي تَسْتطيع أن تتعامل مع جميع الأنماط اللّغويّة هي التي تستطيع أنْ تفرض نفسها على القاعدة النّحويّة. وتجدر بنا الإشارة إلى أن أهداف اللغويين التقليدين, المُعْلَنة وغير المُعلَنة, القضاء على البنى والتراكيب اللّغويّة التي لا يرغبون في أنْ يُروّج استعمالها في اللغة[1], وذلك حرصاً منهم على سلامة اللغة وانسجامها مع المقاييس الجمالية التي يتبنونها.

في حين أن هناك أنماطاً لغوية مليئة بالوسائل الإقناعية رفضها النحاة لأنها تَخْرج عن القاعدة النّحويّة ولكن النظريات الحديثة استطاعت أنْ تتعامل مع جميع الأنماط اللّغويّة باعتبارها واقعاً استعمالياً يَخرُجُ من البُنية السّطحية للغة [2].

أمّا النّحاة العرب فقد توجّهُوا في دراسة اللغة تَوَجْهاً وصفياً فقالوا:" هكذا قَالَتْ العَرَب", إذ يعني ذلك أنّ على العلماء أنْ يَدْرُسوا اللغة التي يتداولها الناس لاستنباط القواعد الصرفية والنّحويّة دون اللغة التي يعتبرها النّحويون معيارية, ويقود ذلك إلى القياس الحسّي, والابتعاد عن التجريد. [3]

---

1 زكريا ميشال, مباحث في النظريّة الألسنية ص79.

2 انظر, ليونز جون, اللغة والمعنى والسياق, ص221/215.

3 الحمداني, موفق, اللغة وعلم النفس, ص125.

الفصل الرابع

المجروران

1.4 الجرُّ بحرف الجرِّ:

عرَّفهُ الزّجاجي بقوله[1]:"وأما الجرُّ فإنّما يسمى بذلك لانّ معنى الجرِّ الإضافة وذلك أنّ الحروف الجارة تجرُّ ما قبلها فتوصله إلى ما بَعْدها كقولك" مَرّرُتُ بِزيْدٍ " فالباء أوصلت مَرَرْتُ إلى زيدٍ، كذلك " المالُ لعبْدِ اللهِ" و حروف الجرّ عشرون كُلُّها مُخْتَّصة بالأسماء و هي تعمل فيها الجرَّ[2] واعْلَمْ أنّ هذه تُسمى حروف الإضافة، لأنها تُضيفُ معاني الأفعال قبلها إلى الأسماء بعدها. وتسمى حروف الجرّ لأنها تجرُّ ما بعْدها من الأسماء، أي تخفضها، وقد يُسميها الكوفيون حروف الصّفات لأنها تقع صفات لِمّا بعْدها من النكِرات[3].

وبعض النحاة يسّمي حروف الجرّ" حروف الإضافة " لأنها تضيف إلى الأسماء معاني الأفعال و شبهها من كل ما تتعلق به تلك الحروف[4].

و جعل سيبويه الجرَّ في كل اسمٍ مضاف إليه و جعل المجرور بحرف جرٍّ[5].وأعلَمْ أنّ الجرّ يكون بشيئين: أحدهما بدخول حرفٍ ليس باسم و لا ظرفٍ. و الآخر: بإضافة اسمٍ إلى اسمٍ[6].

ويقول سيبويه[7] في ذلك:" إنّ العَرَبَ لا تقول:" هو جَوْفَ المَسْجِدِ" ولا هُوَ داخلَ الدّار، ولا هو خارج الدّار، حتى تَقُولَ: هو في جَوْفِها، وفي داخِلِ الدّار ومِنْ خارجِها. وقد أشار سيبويه إلى أنّ حروف الجرِّ تعمل في الاسم الذي بعدها و توصله بما قبلها ،فإذا قُلْتَّ: مَرَرْتُ بِزيدٍ ،فإنّما أضفْتَ " المرورَ" إلى "زيدٍ" بالباء و

1عبابنة يحيى, تطور المصطلح النّحوي ص187.

2 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ص323.

3 ابن يعيش, شرح المفصل, ج8 ص7.

4 حسن عباس, النحو الوافي, ج1 ص71.

5 انظر سيبويه, الكتاب, ج2ص34.

6 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص209

7 سيبويه, الكتاب, ج2 ص19.

كذلك: هذا لِعبْدِ اللهِ، و إذا قُلتَ أنّتَ كَعَبْدِ اللهِ، فقد أضفت إلى " عبد الله " الشَّبَهُ بالكاف، وإذا قُلْتَ: أخذتُهُ من عَبْدِ اللهِ. فقد أضفْتَ " الأخْذَ" إلى "عبد الله " بِمِن"[1].

وقد تحذف حروف الجرّ فيتعدى الفعل بنفسهِ[2]، كقوله تعالى " واختارَ موسى قَوْمَهُ سَبْعينَ رجلاً"[3]. قال المتَلمِّس[4]:

آليت حُبَّ العِراقِ أطعَمُهُ   والحبُ يأكلُهُ في القريةِ السُّوسُ

هذا شاهد لجواز حذف حرف الجرِّ[5] والتقدير "على حبِّ العراق"[6] و يرى سيبويه انّه يجوز النصب على حذف الجرّ إذْ يقول [7]:" إنْ شئتَ نصبت، فقُلْتَ:ضُرِبَ زَيْدٌ الظَهرَ و البَطن، ومُطِرنا السَهلَ والجَبَلَ، و قُلْتَ زَيْدٌ ظهرهُ و بطْنَهُ، ولكنهم أجازوا هذا كما أجازوا: دخلْتُ البيتَ، وإنما معناهُ دَخَلْتُ في البيتِ، والعامل فيه الفعل".

وقد يحذف حرف الجرّ إذا كان في اللفَظ ما يدل عليه ، قال ابن يعيش[8]:" حروف الجرّ قد تحذف في اللفّظ اختصاراً و استخفافاً إذا كان في اللّفظ ما يدُلُّ عليها فتجري مجرى الثابت الملفوظ به و يكون مراده في المحذوف منه".

لقد أجاز النحاة حذف حرف الجرّ وإبقاء عمله إذا دلَّ عليه السيّاق؛ لأن القاعدة النّحويّة تفرض عليها التعامل مع كافة الأنماط اللّغويّة التي تمثل واقعاً استعمالياً، ومن ذلك قوله تعالى:" واختَار مُوسى قَوْمَهُ سِبْعينَ رجلاً"[9] فقد تعدّى

---

1 سيبويه, الكتاب, ج2 ص36.

2 ابن يعيش, شرح المفصل, ج8 ص51.

3 سورة الأعراف 155.

4 المتلمس, ديوانه ص65, شرح السيوطي ج2 ص255, الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص56.

5 الشنتمري, شرح النكت, ج1ص56.

6 سيبويه, الكتاب, ج1 ص62.

7 المرجع السابق, ج1 ص224 .

8 ابن يعيش, شرح المفصل, ج8 ص52.

9 سورة الأعراف 155.

الفعل إلى مفعولين بعد حذف "حرف الجرّ" و " التقدير" من قومه (سبعين رجلا)[1].
ومن ذلك قول الفرزدق[2]:

مِنَّا الذي اختِيرَ الرجالَ سَماحةً وَجُوداً إذا هَبَّ الرِّياحُ الزّعازِعُ

فقد حذف الشاعر حرف الجرّ" الرجال " و انتصاب المفعول به[3] وهذا شاهد لقولهِ: "اخْتَرْتُ الرجالَ زيداً"[4].

ويرى سيبويه أنّ العرب تقول[5]:" مَطَرَتَهُمْ ظَهْراً و بَطْناً" قياساً على حذف " حرف الجرّ "ولكنّ المعنى لا يقتضي وجود حرف جرٍّ، كقولك: مُطِرَ قوْمُكَ اللّيلَ و النهارَ، على الظرف وعلة الوجه الأخر، وإن شئت رفعتهُ على سعة الكلام[6].

لقد تنبه سيبويه إلى أن القاعدة النّحويّة قادرة على التعامل مع جمع الأنماط اللّغويّة، لذلك نجد في كتابة عبارات تدلُّ على حرصِهِ الشديد على الأخذ عن الثقاتِ[7]. لكنَّهُ وجدَ أنماطاً لغوية تخرج عن القاعدة النّحويّة لأنّها مستدعاة من الذّاكرة اللّغويّة التي يمكن اعتبارها الوعاء الذي يستطيع أن تختزل كافة الأنماط اللّغويّة. ومدى صلاحية النظام اللغوي هي قدرة هذا النظام على التمييز بين الجمل القاعديّة من الجمل الغير القاعديّة[8].

انطلاقاً من هذا المفهوم علّل سيبويه حذف حرف الجرّ إذ يقول[9]:" لَمْ يَجُزْ في غير(السهلِ و الجَبَلِ) و(الظَّهْرِ و البَطْنِ) كما لَمْ يَجُزْ:" دَخَلْتُ عبدَ اللهِ، كما لم يجزْ حذف حرف الجرِّ إلا في الأماكن في مثل:دخلتُ البيتَ".

---

1 انظر, ابن يعيش, شرح المفصل, ج2 ص51/50.

2 الفرزدق, ديوانه ص516, ابن يعيش, شرح المفصل, ج8ص51, الشنتمري,شـرح النكـت , ص561.

3 ابن يعيش, شرح المفصل, ج8 ص51.

4 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص57.

5 سيبويه, الكتاب, ج1 ص225.

6 المرجع السابق, ج1 ص225.

7 انظر, السنجري, المذاهب النّحويّة في ضوء الدراسات اللّغويّة الحديثة, ص17.

8 انظر, تشومسكي نعوم, البنى النّحويّة, ص10-18.

9 سيبويه, الكتاب, ج1ص224.

لأنّ هذه الأنماط الاستعمالية مستدعاة من الذّاكرة اللّغويّة لذلك لا يستطيع النحاة تجاهلها، بل يستطيعون أن يطوّعوا القاعدة النّحويّة لتصبح قادرة على التعامل مع جميع الأنماط اللّغويّة، ولا يمكن القياس على هذه الاستعمالات المحدودة. ولكنّها الشّواذ التي تثبت القاعدة و لا تنفيها[1].

2.4 المجرور على الجِوارِ:

جرُّ الجوارِ هو أنْ تصير الكلمة مجرورة بسبب اتصالها بكلمة مجرورة سابقة عليها، و لا بسبب غير الاتصال، فيكون جرّ الأول بسبب العامل، و جرّ الثاني لا بعامل ولا بسبب التبعيّة كجرِّ التوابع بل إنمّا يكون بسبب الاتصال و المجاورة كجرِّ[2]:"أرجلكم" في قوله تعالى:" وامْسَحوا برؤوسِكُمْ وأرجُلِكُمْ"[3].

قال سيبويه[4]:" هذا بابُ ما يجري على الموضوع لا على الاسم الذي قبله، وذلك قوْلُكَ: ليس زيدٌ بَجَبانٍ ولا بَخيلاً، وما زيدٌ بأخيكَ ولا صاحبِكَ، و الوجهُ فيهِ الجرُّ، لأنّك تُريد أنْ تشرِكَ بين الخبرين وليس ينقض إجراؤه على المعنى، وأنْ يكون أخره على أوّله أولى ليكون حالهما في الباءِ سواءً كحالِهما في غيرِ الباءِ".

لقد أجاز سيبويه النّصب على الموضع و الجرّ على الجوار و قد اعتبر الجرَّ أجود لأنكَّ تريد أنْ تشرك بين الخبرين، قال الشّنتمّري[5] :" اعْلَمْ أنكّ إذا قُلتَ: ليس زيدٌ بِجَبانٍ ولا بخيلاً، جاز النصبُ و الجرُّ في بخيلٍ غير أنّ الجرَّ أجود، لأن معناهما واحدٌ ولفظ الأخر مطابق للفظ الأول، فإذا تطابق اللّفظان مع تساوي المعنيين كان أفصح من تخالف اللفظين، والعربُ تَخْتار ذلكَ وتحرِص عليه و تختار

---

1 مصطفى لطفي, اللغة العربية في إطارها الاجتماعي, ص156.

2 عبابنة يحيى, تطور المصطلح النّحوي, ص192.

3 سورة المائدة 6.

4 سيبويه, الكتاب, ج1 ص109.

5 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص78.

حمل الشيء على ما يجاوره. ومما جاء في الشِّعر من الأجراء على الموضع[1] قول عُقَيبةَ الأسدي[2]:

مَعاويَ إنّنا بَشَرٌ فأسجِحْ   فَلَسْنا بالجبالِ ولا الحديدا

فحملة على موضع الباء، لو لم تكن[3]. ويرى سيبويه أنّ الجرَّ في هذا الشاهد أجود، أمّا النصب فيجوز أن يكون الذي أنْشَد إياه نقل هذا إلى النَّصب، ويجوز أنْ يكون من قصيدة منصوبة[4].

لا يستطيع سيبويه أن يتجاهل هذه الأنماط اللّغويّة لأنّها تمثّل واقعاً استعمالياً في اللغة، لذلك أجاز النّصب في هذا الشاهد: إذ قال[5]:" لأنّ الباء دخلت على شيءٍ لو لم تدخل عليه لَمْ تُخلَّ بالمعنى ولم يحْتَجْ إليها، وكان نصباً. فالشاهد في هذا البيت" ولا الحديدا" وفيه حمل المعطوف على موضع الباء، وما عملت فيه لأنّ" لَسْنا بالجبالِ" و " لَسْنا الجبالَ" بمعنى واحد[6].

لقد تعامل سيبويه مع هذه الأنماط اللّغويّة لأنّها مستدعاة من الذّاكرة اللّغويّة التي تستطيع أنْ تختزِلْ جميع الأنماط اللّغويّة سواء أكانت قاعديّة. أم غير قاعديّة وأنّ عمل ابن اللغة ضمن المستوى التقعيدي يقوم على تطويع القاعدة من جميع الاتجاهات "اللفظية و المعنوية " كي تستطيع هذه القاعدة أن تستوعب كل الأنماط اللّغويّة التي تكْمن في الذّاكرة اللّغويّة[7]. قبل سيبويه الكثير من الأداءات اللّغويّة التي تخرج عن القاعدة النّحويّة. مقدّماً لها تخريجات نحوية مستندة إلى المعنى تارة و إلى القياس تارة أخرى. محاولاً جعل هذه القاعدة شاملة لجميع الأداءات اللّغويّة. لذلك اعتبر النحاة بعض الأداءات مطردّة في الاستعمال شاذّة في القياس، وبعضها

---

1 سيبويه, الكتاب, ج1 ص109.

2 الشنتمري, شرح النكت,ج2 ,ص78.

3 سيبويه, الكتاب, ج1 ص109.

4 الشنتمري, شرح النكت, ج اص88.

5 سيبويه, الكتاب, ج1 ص110.

6 المرجع السابق, ج1 ص110.

7 انظر, عبابنة يحيى, علم اللغة المعاصر, ص116-166 .

الأخر مطردَة في القياس شاذّة في الاستعمال[1] حتى تتمكن القاعدة النّحويّة من التعامل مع كافة الأداءات اللّغويّة واختزالها وقال سيبويه[2]:" وقد حَمَلَهُمْ قُرْبُ الجوارِ أن جرُّ:" هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَربٍ". فقد جرّوا "خرباً" وهو نعت للجحر لمجاورة الضّبّ"[3]. قال السيوطي[4]:" إنه من الشّاذ الذي لا يُحمَلُ عليه و لا يجوز ردُّ غيره إليه... والأصل:"جُحرِ ضبٍّ خَربٍ جُحرُهُ "خربٍ" وصفاً على"ضَبٍّ" وإن كان في الحقيقة للجُحْرِ كما تقول:" مَرَرْتُ بِرَجُلٍ قائمٍ أبوهُ" وإن كان القيام للأبِ لا للرجُلِ". لأن العرَبَ تخْتارُ حمل الشيء على ما يجاوره[5]. وإنْ كان ذلك مخالفاً للمعنى. لذلك اعتبر النحاة هذه الأنماط شاذة و خارجة عن القاعدة النّحويّة و لا يقاس عليها.

لقد تنّبه سيبويه إلى الذّاكرة اللّغويّة أثناء تعامله مع مثل هذه الأنماط اللّغويّة مشيراً إلى أنّ القاعدة النّحويّة قادرة على التعامل مع كافة الأنماط اللّغويّة حتى لو خرجت عن المستوى التقعيدي للغة.فقد قدّم سيبويه البراهين العقلية و العلّل الفلسفية و الأقيسة المنطقية أثناء تعامله مع الأنماط اللّغويّة[6]. محاولاً إثبات أنّ هذه القاعدة شاملة لجميع الأداءات اللّغويّة وأنّها تستطيع أنْ تحكم اللغة بقوانين وضوابط لا يمكن خرقها[7].

إنّ النظريات الحديثة التي تعوّل على السليقة اللّغويّة أثبتت أنّ الذّاكرة اللّغويّة تعتمد على استقلالية الكلمة في المعنى الحقيقي دون النظر إلى المصاحبات المعجمية. أو بصرف النظر عن العلاقات الإعرابية المترافقة مع الكلمات الأخرى، فكلُّ كلمة تمثّل وحدة مُستقلة عند الأخرى و لا تحتكم معها بنظام معيّن[8].

لكنّ سيبويه لم يأبَهْ لذلك وإنّما جعل للقاعدة مكانةً خاصة لأنّها تنْبثِق عن قوانين لغويّة محكمة لا يمكن خرقها.

---

1 انظر, السيوطي, الاقتراح, ص35.
2 سيبويه, الكتاب, ج1 ص109.
3 الشنتمري, شرح النكت ج1 ص78.
4 السيوطي, الاقتراح, ص55.
5 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص78.
6 السنجري, المذاهب النّحويّة ص18.
7 انظر, السيوطي, الاقتراح, ص14-18.
8 انظر, تشومسكي نعوم, البني النّحويّة, ص40/20.

الفصل الخامس

حروف المعاني

1.5 حروف المعاني

الحرف ما جاء لمعنى وليس باسمٍ ولا فعلٍ نحوُ: ثُمَّ, وسوفَ, وواو القسم, ولام الإضافة ونحوها[1]. فَنَجد عناية بهذه الموضوعات في كتاب سيبويه. إذ أفرد لها باباً خاصاً وهو" بابُ عُدَّة ما عليه الكَلِم"[2]. وكان الحديثُ عن الأدوات وحروف المعاني يختلفُ من مصنف إلى آخر, فنجد بعضهم استشعر أهمية هذه الأدوات والحروف, فأفرد لَهَا باباً أو أبواباً خاصة ضمن مصنفاته, كما فعل ابن السّراج في كتابه" الأصول في النحو" والزّجاجي في كتابه" الجمل في النحو" وأبو علي الفارسي في كتابه" الإيضاح العضدي" وابن جني في كتابه" اللمع"... بينما مصنفات أخرى في التأليف اللغوي لم تُولها العناية الواضحة ولم تُفْرِد لها أبواباً منفردة[3].

وعليه فإنّ هذه الحروف تبدو وكأنّها كانت في الأصل كلمات مستقلّة, أفرغتا من معناها الحقيقي, بسبب كثرة استعمالها عِنْد العَرَب, واستعملت مجرّدة أو وسائل نحوية موضحة لأجزاء الجملة[4].

1.1.5 ألف الاستفهام:

تدخل في الكلام لمعانٍ[5], تكون استفهاماً مَحْضاً كقولك: أزيدٌ عندَكَ أم عمروٌ؟ وتكونُ تقديراً وتَوْبيخاً, فالتقدير كقوله تعالى:" أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بني آدَمَ[6]"

---

1 سيبويه, الكتاب, ج1ص 16.

2 المرجع السابق, ج4 ص216.

3 أنظر, الزجاجي, حروف المعاني, ص19/18.

4 عبابنة يحيى, تطور المصطلح النّحوي, ص230.

5 الزجاجي, حروف المعاني, ص19.

6 سورة يس 60.

والتوبيخ كقولك:" ألم تُذنِبَ فأغْفِرَ لَكَ" وتكون الهمزة للاستفهام وحقيقته طَلَبُ الفَهْمِ, نحو" أزَيْدٌ قائمٌ؟"[1]

وحروف الاستفهام لا يَليها إلا الفعلُ, إلا أنَّهم قدْ تَوَسَّعوا فيها فابتدأوا بعدها الأسماء. والأصلُ غيرُ ذلكَ, ألا ترى أنّهم يقولون:" هَلْ زيدٌ منطلقٌ؟" " وهل زيدٌ في الدّارِ؟" فإن قُلْتَ: هل زيداً رأيتَ؟ وهل زيدٌ ذَهَبَ؟ قُبْحَ, ولم يَجُزْ إلا في الشِّعر[2]. فيجب نصب الاسم إذا وقع بَعْدَ أداةٍ لا يليها إلا الفعل, كأدوات الاستفهام إلا الهمزة[3].

فالقاعدة النّحويّة تَفْرض أنْ يُنْصَبَ الاسمُ بعد حروف الاستفهام إلا الهمزة, فإنّهُ يجوز في الاسم الذي بعدها الرّفع والنّصبُ. يقول سيبويه[4]:" واعْلَمْ أن حروف الاستفهام كُلَّها يقبحُ أن يُصيّر بعدها الاسمُ إذا كان الفعلُ بعد الاسم, لو قُلْتَ:" هل زيدٌ قامَ؟" لم يجز إلا في الشِّعر.

وينْتَصب الاسم بعد الألف, كقولِكَ:" أعَبْدَ اللهِ ضَرَبْتَهُ" و" أزَيْداً مَرَرْتَ بهِ؟" ويرى سيبويه[5]:" أنّكَ في كُلِّ هذا قد أضْمَرْتَ بَيْنَ الألف والاسم فعلاً. قال جرير [6]:

أثَعْلَبَةَ الفوارِسَ أمْ رِياحاً عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ والخِشَابا

فقد نصب" ثعْلَبَةَ" بإضمار فعل دلّ عليه الفعل الذي بعده[7].

إنّ حروفَ الاستفهامِ مُختصَّةٌ بالدخول على الأفعال, ولكنّ النحاة طوّعوا هذه القاعدة, فابتدأوا بعدها الأسماء[8]؛ لأنّهم وجدوا أنماطاً لغوية تَخْرج عن القاعدة

---

1 ابن هشام, مغني اللبيب, ج1 ص15.

2 سيبويه, الكتاب, ج1 ص156.

3 انظر, حسن عباس, النحو الوافي, ج2 ص131.

4 سيبويه, الكتاب, ج1 ص159.

5 سيبويه, الكتاب, ج1 ص160.

6 جرير, ديوانه ص66. السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج2 ص539.

7 انظر الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص94.

8 انظر , حسن عباس, النحو الوافي, ج2 ص133/130.

النّحويّة, لذلك أجاز سيبويه ذلك في الشّعر. إذ يقول[1]:" ألا ترى أنّهم يَقُولون: هل زَيْدُ ذَهَبَ؟ قُبْحٌ, ولم يجز إلا في الشّعر, لأنه لمّا اجتمع الاسم والفعل حملوه على الأصل.

تذهب القاعدة النّحويّة إلى جواز رفع الاسم ونَصْبه بعد همزة الاستفهام, فالرّفع على الابتداء والنّصب على إضمار الفعل[2]. وضَعَ النحاة هذه القاعدة وفقاً للأنماط اللّغويّة التي تَخْرج عن القاعدة النّحويّة, فالذّاكرة اللّغويّة هي التي دفعت النحاة إلى قبول الكثير في الأنماط اللّغويّة لأنّهم وجدوا أنماطاً لغوية لا يمكن تجاهلها, لذلك حاولوا جاهدين تطويع القاعدة النّحويّة باتّجاه جميع الأنماط اللّغويّة, وهذا ما اعترف به سيبويه وجَميع النّحاة العَرَب, بقولهم:" وهذا لا يَجُوز إلا في الشّعر". وقد اخْتَلفوا في تخريج الكثير من الأنماط اللّغويّة[3], مثالُ ذلك حروف العطف بعد همزة الاستفهام, كقوله تعالى:" أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكرَ صفحاً[4]" وقوله تعالى:" أَثُمَّ إذا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ[5]". " أو كُلَّمَا عاهَدُوا عَهْداً[6]".

فذهب الزمخشري[7] إلى أنّ همزة الاستفهام لَهَا الصّدارة, وأنّ حرف العطف بعد الاستفهام, وذهب سيبويه إلى أنّ حرف الاستفهام بعد حرف العطف, وأصلها في الآية:" ثُمَّ إذا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ".

إنّ الخلاف الذي وقع بين النحاة في مثل هذه المسائل يَقُوم على اختلافٍ في بناء العبارة, فالزمخشري عاد إلى تقدير فعلٍ بعد أداة الاستفهام كي لا يخرج عن القاعدة النّحويّة. أمّا سيبويه, فقال:" إنَّ الواو لا تدخلُ على ألف الاستفهام, ولكن

1 سيبويه, الكتاب, ج1 ص156.

2 انظر, ابن عقيل ,شرح ابن عقيل, ج1 ص250/251.

3 قاسم صالح, الظاهرة النحويّة بين الزمخشري وأبي حيان, ص163.

4 سورة الزخرف 5.

5 سورة يونس 51.

6 سورة البقرة100.

7 قاسم صالح, الظاهرة النحويّة بين الزمخشري وأبي حيان, ص163.

الألف هي التي تدخلُ عليها[1]". في حين أنَّ الذّاكرة اللّغويّة هي التي تستطيع أن تتعامل مع كافة الأنماط اللّغويّة لأنّها تعتبر أنَّ كلّ جملة من الجمل السابقة هي جملة قاعديّة, لأنّها تمثّل واقعاً استعمالياً في اللغة. وأنّ كلّ جملة تمثّل نموذجاً قاعديّاً سليماً ينطلق من المعنى الذي تؤديه تلك الجملة بعيداً عن ترتيب الكلمات داخلها[2].

2.1.5 "إنّ" و"أنّ":

هما حرفا توكيد عند جميع النحاة[3]. ينصبان الاسم و يرْفعان الخبر[4] لشبههما بالفعل وذاك من وجهين: احدهما من جهة اللّفظ والآخر من جهة المعنى, فأمَّا الذي من جهة اللفظ فبناؤهُما على الفتح كالأفعال الماضية, وأما الذي من جهة المعنى فمن قِبَلْ أنَّ هذه الحروف تطلب الأسماء وتَخْتصُ بها[5].

وتَلْحَقها" ما" الكافة فتعزلهُما عن العمل, ويُبْتدأ بعدهما الكَلام[6]. قال تعالى:" أنَّما إلَهُكُمْ إلهٌ واحدٌ"[7].

قال سيبويه[8]:" أمَّا" أنْ" فهي اسمٌ وما عَمِلَتْ فيه صلةٌ لها كما أنَّ الفعل صلةُ لــ" أنْ" الخفيفة وتكون" أنْ" اسماً ألا ترى أنَّكَ تقول: قد عَرَفْتُ أنّكَ مُنْطَلَقٌ. فــ" أنّكَ" في موضع اسمٍ منصوب كأنّكَ قُلْتَ: قد عَرَفْتُ ذلك. وتقولُ: بَلَغني أنَّكَ مُنْطَلِقٌ, فــ" أنّكَ" ي موضع اسم مرفوع, كأنّكَ قُلْتَ: بَلَغَني ذلك".

ويرى سيبويه[9] أنّ همزة" أنّ" تكون مع" ظنَّ" و" لولا" وغيرهما كما يلي" بَعْدَ" ظنَّ" :" ظَنَنْتُ أنّهُ مُنْطلقٌ".

---

1 انظر قاسم صالح, المرجع السابق, ص164.

2 انظر, المسدي عبد السلام, اللسانيات وأسسها المعرفية, ص58/54.

3 عبابنة يحيى, تطور المصطلح النّحوي, ص233.

4 ابن هشام, مغني اللبيب, ج1 ص43.

5 ابن يعيش, شرح المفصل, ج8 ص54.

6 المرجع السابق, ج8 ص54.

7 سورة الكهف 110.

8 انظر سيبويه, الكتاب, ج4 ص269.

9 انظر, المرجع السابق, ج4 ص278/271.

بَعْدَ" لولا": لو لا أنّهُ مُنْطلقٌ لفعَلْتُ".

بَعْدَ" لو": لو أنَّهُ ذاهبٌ لَكَانَ خَيْراً".

-بَعْدَ" ما". فتذهب القاعدة النَّحويّة إلى فتح همزة" أنّ" بعد" ما" كقولك: ما يُدْرِيْكَ أنَّهُ لا يَفْعَلُ؟. أمّا قوله تعالى:" وما يُشْعِرُكُمْ إنَّها إذا جاءَتْ لا يُؤْمِنونَ"[1]. وأهلُ المَدينة يقولون:" أنّها"[2]. قال الخليل[3]: هي بمنزلة قولِ العرب:" ائتِ السُّوقَ أنّكَ تشتري لنا شيئاً. أي:" لعلّكَ" قال" لَعلَّها إذا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ[4]" فقد لجأ النحاة لتفسير هذا الخرق إلى المعنى, قال سيبويه[5]:" إنّ كسر الهمزة في" إنَّها" يكون على الابتداء, وفتح الهمزة يكون حملاً على الفعل, ومن ذلك قول ساعدةُ بنُ جؤيَّة[6]:"

رَأَتْهُ على شَيْبِ القَذَالِ وأنّها تُواقِعُ بَعْلاً مرَّةً وتَئِيمُ

ففتحُ" أنّ" على تقدير" رَأَتْهُ" ولو كسرها على القطع لجاز[7].

فالقاعدة النَّحويّة تفرض كَسْرَ همزة" إنّ" بعد" الواو". ولكن هناك أنماط لغوية تخرج عن القاعدة؛ لذلك لجأ النحاة إلى تَطْويع هذه القاعدة كي يُخَرِّجُوا جميع الأنماط التي تمثل واقعاً استعمالياً مفروضاً في اللغة. قال سيبويه[8]:" وإنْ شِئْتَ حَمَلْتَ الكلامَ على الفِعْلِ فَفَتَحْتَ".

أمّا في تركيب" ذاك وأنّ" فيقول سيبويه[9]:" يَقولُ ذلك وأنَّ لَكَ عِنْدي ما أحْبَبْتُ, وقال الله عزَّ وجلّ:" ذلِكُم وأنَّ الله مُوْهِنُ كَيْدِ الكَافِرِيْن"[10]. وقال عزَّ وجلّ:"

---

1 سورة الأنعام 109.

2 انظر تفسير أبي حيان ج4 ص203/201.

3 انظر سيبويه, الكتاب, ج4 ص275.

4 انظر الشنتمري, شرح النكت, ج2 ص404.

5 انظر سيبويه, الكتاب, ج4 ص274.

6 ديوان الهذليين ج1 ص228,السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج4 ص521.

7 الشنتمري, شرح النكت, ج2 ص405.

8 سيبويه, الكتاب, ج4 ص274.

9 المرجع السابق, ج4 ص278.

10 سورة الأنفال 18.

ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وأَنَّ للكافِرينَ عذابَ النارِ"[1]. وذَلِكَ لأنّهَا شَرِكَتْ" ذلك" فيما حُمِلَ عليه كأنَّهُ قال:" الأمرُ ذلك وأنّ الله". وإنْ استَأْنَفتَ " إنّ" فَكَسَرْتَها فهو جيدٌ لأنّها جملةٌ معطوفة على جملة قبلها[2]. يدلل على ذلك قوله تعالى:" ذَلِكَ ومَنْ عاقَبَ بمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بَغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ الله"[3].

ومن ذلك قول الأحوص[4]:"

عَوَّدْتُ قومي إذا الصيْفُ نَبَّهَني	عَقْرَ العِشارِ على عُسْري وإيساري
إنيِّ إذا خَفِيَتْ نارٌ لمُرْمِلَةٍ	أُلفى بأرْفعِ تلٍّ رافعاً ناري
ذاكَ وإنّي على جاري لذو حَدَبٍ	أحنو عليه بما يُحْنى على الجارِ

قال سيبويه[5]:" فهذا أيضاً يقوّى ابتداءَ" إنّ" في الأول كقوله تعالى:" إنَّ لَكَ **ألاّ** تَجُوّعَ فيها ولا تَعْرَى, وأنّكَ لا تَظْمَأُ"[6]. فقد كَسَرَ" إنَّ على الابتداء ولم يحملها على" ذاك"[7].

تَذْهَب القاعدة النّحويّة إلى فَتْح همزة" إنّ" في تركيب" ذاك و أنّ" ولكنْ هذه الأنماط الاستعمالية فرضت على النحاة جَذْب القاعدة النّحويّة باتجاهها, لذلك أجاز سيبويه فتح وكسر همزة" إنّ" في هذه التراكيب؛ لأنّ الواقع الاستعمالي للغة يعطي الذّاكرة اللّغويّة مساحة من الحركة ضمن المُستوى التقعيدي وغير التقعيدي[8]. وفي مثْل ذلك يقول سيبويه[9]:" هذه بابٌ آخر من أبواب" أنَّ", تقول: جِئتُكَ أنَّكَ تُريدُ المعروفَ, وإنّما أرَادَ: جِئتُكَ لأنَّكَ تُريدُ المعروفَ ولكنك حَذَفْتَ" اللام" هنا. كقوله

---

1 سورة الأنفال 14.

2 الشنتمري, شرح النكت, ج2 ص 405.

3 سورة الحج 60.

4 الاحوص, ديوانه ص107, الشنتمري, شرح النكت,ج2 ,ص405.

5 سيبويه, الكتاب, ج4 ,ص279.

6 سورة طه 119/118.

7 الشنتمري, شرح النكت, ج2ص405.

8 انظر, زكريا ميشال, مباحث في النظريّة الألسنية, ص31/38.

9 سيبويه, الكتاب, ج4 ص 280.

تعالى:" وأنّ هذه أُمتكُمْ أُمَّةً واحدة وأنا ربُكُمْ فاتقون[1]". ولو قرأها بكسر" إنّ" كان جيداً[2].

ومن ذلك قوله تعالى:" فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلوبٌ ما انْتَصر[3]". إنّما أراد" بأنّي مَغْلوبٌ" قال الفرزدق[4]:"

مَنْعَتُ تميماً مِنْكَ أنَّي أنا ابنُها   وشَاعِرُها المَعْروفُ عِنْدَ المواسمِ

ففتح الشاعرُ" أنّ" على معنى" لأنّي أنا ابنُها" وكَسْرُها على القَطْعِ جائزٌ[5]. قال سيبويه[6]:" وسَمِعْنا من العرب من يقولُ:" إنِّي أنا ابنُها". فهذا البيت ينشد على وَجْهَين على إرادة اللام والابتداء. أمّا الكسائي[7] فيقول:" إنّها في موضع جرٍّ". فقد اختلف النّحاة في كسر همزة"إنّ" في بعض المواضع, لأنّ القاعدة النّحويّة تفرض ذلك, ولكنّ الذّاكرة اللّغويّة تَمْتَلك القدرة على إنتاج أنماط لغوية تمثّل واقعاً استعمالياً مفروضاً على اللغة لذلك أجاز النحاة كسر همزة"إنّ" وفتحها في الكثير من الأنماط اللّغويّة[8]. يقول سيبويه[9]:" هذا بابُ تكونُ فيه" أنّ" بدلاً من شيءٍ ليس بالأول. ومن ذلك قوله تعالى:" وإذْ يَعِدُكُمْ اللهُ إحْدَى الطّائِفَتَيْن أنّها لَكُمْ[10]" فـــ" أنَّ" مُبْدَلَةٌ مِنْ" إحدى الطائفتين". قال سيبويه[11]:" وزعم الخليلُ– رحمه اللهُ– أنّ مثلَ ذلكَ قولُهُ

---

1 سورة المؤمنين 52.

2 سيبويه, الكتاب, ج4 ص 281.

3 سورة القمر 10.

4 الفرزدق, ديوانه ص587, السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج4 ص531.

5 الشنتمري, شرح النكت, ج2 ,ص406.

6 سيبويه, الكتاب, ج4 ,ص 283.

7 الشنتمري, شرح النكت, ج2 ,ص 406.

8 انظر, ابن عقيل, شرح ابن عقيل ج1 ص184/187.

9 سيبويه, الكتاب, ج4 ص 290.

10 سورة الأنفال 7.

11 سيبويه, الكتاب, ج4 ص 292.

تعالى:" أَلَمْ يَعلَمُوا أنَّهُ من يُحادِدِ اللهِ ورَسَوُلَهُ فأنَّ له نارُ جَهَنَّمَ[1]". ولو قال فـــ" إنّ" كانت عربية جيدةً. يقول ابن مُقبل[2]:"

وَعِلْمِي بِأَسْدَام المياهِ فَلَمْ تَزَلْ	قلائصُ تَخْدِي في طريقٍ طلائحُ
وأنّي إذا ملَّتْ ركابي مُناخَها	فإنِّي على حَظٍّ من الأمرِ جـــامِحُ

استُشْهِدَ به على كَسْرِ" إنّ" بعد الفاء في قوله" فإنِّي" فلو فتَحَهَا على التَّكرير والتوكيد الأول لجاز[3]. ومثل ذلك قوله تعالى:" أنّهُ من عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمّ تابَ **مِنْ** بَعْدِهِ وأصلَحَ فإنَّهُ غفورٌ رحيمٌ"[4].

تنبه سيبويه إلى الذّاكرة اللّغويّة أثناء تعامله مع الأنماط اللّغويّة. لذلك نراه يجيز كسر همزة" إنّ" في بعض الأنماط التي تخرج عن القاعدة اللّغويّة. ويجيز فتحها أحياناً. لأنّ هذه الأنماط تتشكل من خلال فَهْمِ ابن اللغة للغتهِ. دون التقيّد بقاعدة معينة تفرض عليه التعامل مع لغته بمحدوديّة. ولعل بدهيات العقل تقود إلى الجزم بأنّ أحقّ أفْنَان المعرفة البشرية بتناول حصول الإدراك في طرائقه وتقلباته إنما هو علم اللغة؛ لأنّ اللغة سبيلٌ شاملٌ وغير مقيّد في كلّ تحصيل معرفي واكتساب إدراكي[5].

من خلال هذا نستطيع أنْ نتعامل مع اللغة لأنّ الذّاكرة اللّغويّة هي التي تُعْطي العقل قدراً من الحرية في إنتاج الجمل والأنماط اللّغويّة, لذلك لجأ النحاة إلى التقدير والتأويل؛ لتطويع القاعدة النّحويّة كي تَسْتَوعب جميع الأنماط اللّغويّة, وكي تتّصف بالشمولية في التعامل مع الأداءات اللّغويّة.

---

1 سورة التوبة 63.

2 ابن مُقبل, ديوانه ص46, السيرافي, شرحكتاب سيبويه , ج4 ص544, الشنتمري, شرح النكت, ج2ص409.

3 الشنتمري, شرح النكت, ج2 ص409.

4 سورة الأنعام 54.

5 المسدي عبد السلام, اللسانيات وأسسها المعرفية, ص140.

إنّ العامل الحقيقي في الإعراب غالباً ما يكون ذا وظيفتين معاً مختلفتين هما: العمل اللّفظي في عناصر الكلام, والعمل المعرفي في دلالة التّركيب[1], لذلك أجاز النحاة فتح همزة" إنّ" وكسرها في بعض الأداءات اللّغويّة وفقاً للمعنى. يقول الجرجاني[2]:" ثُمَّ أنَّ التّوق إلى أنْ تَقرّ الأمور قرارها. وتُوَضْع الأشياءُ مواضعها, والنزاع إلى بيان ما يُشكل, وحلُّ ما ينعقد والكشف عمّا يخفى وتلخيص الصفة حتى يزداد السامع ثقة بالحجة واستبانة للدليل. فهذا دليل على أنّ تقديم الحجة هو خيرُ سبيل لجأ له النحاة في التعامل مع الأداءات اللّغويّة التي تخرج عن القاعدة النّحويّة.

3.1.5 " إنْ"

إذا خُفِّفت" إنْ" فالأكثر في لسان العرب إهْمالها, فتقول:" إنْ زيدٌ لقائمٌ". وإذا أُهْملت لزمتها اللام فارقةً بينها وبين" إنْ" النافية[3]. وتكون للتّحقيق فيلزمها في الخبر اللام كقولك:" إنْ زيداً لقائمٌ"[4]. وحكى الإعمالُ سيبويه والأخفش فلا تلْزمُها حينئذٍ اللام[5]. قال سيبويه[6]:" أمّا " إنْ" فتكونُ للمجازاة وتكونُ أنْ يُبتدأ ما بعدها في معنى اليمين, كما قال اللهُ عزَّ وجلّ:" إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَا عَلَيْها حافظ[7]", " وإنْ كُلٌّ لَمَا جَميعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ"[8].

يرى سيبويه أنّ" إنْ" المُخففَة من الثقيلة إذا دخلت على الجملة الاسمية فإنّها تَنْصب الأوّل وترفع الثاني. إذ يقول[9]:" وحَدّثني مَنْ لا اتَّهِمُ عن رجلٍ من أهل

---

1 قباوة, فخر الدين, مشكلة العامل النّحوي, ص132.

2 الجرجاني, دلائل الإعجاز, ص28.

3 ابن عقيل ,شرح ابن عقيل, ج1 ص193.

4 الزجاجي, حروف المعاني, ص57.

5 بن عقيل ,شرح ابن عقيل, ص193.

6 سيبويه, الكتاب, ج4 ص319.

7 سورة الطارق 4.

8 سورة يس 32.

9 سيبويه, الكتاب, ج4 ص319.

المدينة موثوقٌ به أنّهُ سمع عربياً يتكلمُ بمثل قولكَ:" إنْ زيدٌ لذاهبٌ". وهي التي في قوله تعالى:" وإنْ كانوا ليقولونَ لَوْ أنَّ عِنْدَنا ذِكْراً مِنَ الأولين"[1].

فقد اعتبر سيبويه هذا خَرقاً للقاعدة النّحويّة, لأنّ" إنْ" في هذه الأنماط اللّغويّة جاءت مهملة ولم تَعْمل فيما بعدها. ولكنّ النحاة أجازوا إعمال" أنْ" المخففة من الثقيلة وإهمالها, وإنْ خُففت" إنْ" فلا يليها من الأفعال إلا الأفعال الناسخة للابتداء[2].

وتكون بمنزلة" ما" كما في قوله تعالى:" إنْ الكافِرُون إلاّ في غُرورٍ[3]" فالقاعدة النّحويّة ثابتة في هذا الخصوص. ولكنْ هناك أنماط لغوية اعتبرها سيبويه خارجة عن القاعدة النّحويّة فقد تنبّه لها وحاول الوقوف عندها لأنّها تمثّل واقعاً استعمالياً. أمّا النحاة العَرَب فقد اعتبروا هذه الأنماط لا تخرج عن القاعدة النّحويّة لذلك أجازوا إهمال"إن" وأجازوا إعمالها"[4].

4.1.5 " أنْ"

أنْ الخفيفة المفتوحة لها أربعة مواضع[5]:

تكون ناصبه للفعل المستقبل كقولك:" أُريدُ أنْ تَخرُجَ".

وتكون مُخففّةً من الثقيلة كقولِهِ تعالى:" عَلِمَ أنْ سيكونُ مِنْكُم مَرْضى"[6].

وتكون بمعنى" أي" كقوله تعالى" وانْطَلَقَ المَلأُ مِنهُمْ أنْ امشوا واصْبِرُوا على آلِهَتِكُم"[7].

وتكون زائدة لقولِكَ" لَمّا أنْ جاءَ زيدٌ أَحْسَنْتُ إليه".

---

1 سورة الصافات 168/167.

2 ابن عقيل ,شرح ابن عقيل, ج1 ص194.

3 سورة الملك 20.

4 انظر, ابن عقيل ,شرح ابن عقيل, ج1 ص193.

5 الزجاجي, حروف المعاني ص58.

6 سورة المزمل 20.

7 سورة ص6.

ويقول ابن عقيل[1]:" إذا خُفِفَت" أنْ" بقيت على ما كان لها من العمل, لكنْ لا يكونُ اسمُها إلاّ ضمير الشأن المحذوف وخبرها لا يكون إلاّ جملة. قال سيبويه[2]:" هذا بابٌ من أبوابِ" أنْ" التي تكون والفعل بمنزلة المَصْدر. كقوله تعالى:" وأنْ تَصُوْمُوا خَيْرٌ لَكُمْ"[3].

قال الشاعر عبد الرحمن بنُ حسَّان[4]:"

إنِّي رأَيْتُ مِنَ المكارِمِ حَسْبَكُمْ   أَنْ تَلْبَسُوا حُرَّ الثِّياب وتَشْبَعُوا

" رأيتُ" هنا من رؤية القلب و" حَسْبَكُمْ" المفعول الأول و" أَنْ تَلْبَسُوا" المفعول الثاني والتقدير:" إنِّي عَلِمتُ الكافي لَكُمْ لبسَ الثياب"[5].

ويرى سيبويه[6] أنّهم يقولون:" عَسَى أن يَفْعَلَ, وعسى أنْ يَفْعَلوا... واعْلَمْ أنّ من العرب مَنْ يَقُولُ" عسى يَفْعَلُ" يُشَبِّهها بـــ" كاد يفعل". قال هُدْبَه[7]:"

عَسَى الكرْبُ الذي أَمْسَيتُ فيه   يكونُ وراءَهُ فَرَجٌ قَرِيبٌ

فقد حذف الشّاعر" أنْ" من خبر عسى[8]. ولكنّ القاعدة النّحويّة تَقْتضي وجود" أنْ" في خبر عَسَى, ولكنّ هذا النمط الاستعمالي فَرَض على القاعدة النّحويّة قبول حذف" أنْ"؛ لأنّ الذّاكرة اللّغويّة تَفْرض على القاعدة أنماطاً استعمالية, لذلك لجأ النحاة إلى

---

1 انظر,ابن عقيل ,شرح ابن عقيل, ج1 ص195.

2 سيبويه, الكتاب, ج4 ص321.

3 سورة البقرة 184.

4 انظر السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج4 ص584,الشنتمري, شرح النكت, ج1ص416.

5 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص416.

6 سيبويه, الكتاب, ج4 ص327,328.

7 انظر, ابن يعيش,شرح المفصل , ج7 ص117,السيرافي, شرحكتاب سـيبويه , ج4 ص588, الشنتمري, شرح النكت, ج2ص418.

8 ابن يعيش, شرح المفصل, ج7 ص117.

جواز حذف" أنْ" من خبر عسى, وقد جاء في الشِّعر" كاد أنْ يَفْعَل" شبَّهُوهُ بعسى[1].

قال رؤبه[2]:"

" قَدْ كَادَ مِنْ طُولِ البِلى أنْ يَفْعَلا"

قال سيبويه[3] في ذلك:" وقد يجوز في الشعر أيضاً" لَعَلّي أنْ أفْعَلَ" بمنزلة" عَسَيْتُ أنْ أفْعَلَ". وتقول:" يُوشِكُ أن يجيءَ"... وقد يجوز يُوشِكُ يجيءَ" بمنزلة" عسى يجيءُ". وقال أُميَّةُ بنُ أبي الصَّلت[4]:"

يوشِكُ مَنْ فَرَّ مَنَ مَنيَّتِه   في بعضِ غِرّاتِه يُوافقُها

فقد حذف الشاعر" أنْ" بعد يوشك[5] في حين أنّ القاعدة النّحويّة تفرض وجود" أنْ" بعد الفعل" يوشك" فيقال:" أوشكَ فلان أنْ يَفْعل" ويوشك أنْ يَفْعَله"[6].

إنّ هذه الأنماط تمثّل واقعاً قائماً في اللغة؛ لأنّها تفرض نَفْسها على القاعدة النّحويّة من الناحية الاستعمالية, لذلك تَقَبّل النحاة هذه الأنماط وطوّعوا القاعدة النّحويّة بحيث تستطيع أنْ تتعامل مع كافة الأداءات اللّغويّة التي استعملها الشعراء, فقد أجاز النحاة ذلك في الشِّعر. قال سيبويه[7]:" وقد يجوز في الشعر" لَعَلّي أنْ أفْعَلَ" بمنزلة" عَسَيْتُ أن أفْعَلَ". فهذه الإشارة تدل على أنّ القاعدة النّحويّة لم تستطع أن تتعامل مع كافة الأداءات اللّغويّة, ولكنها وقفت أمام العديد من هذه الأداءات؛ لأنها من وجهة نظر القاعدة تمثّل شذوذاً لا يقاس عليه. وهذا ما يقودنا إلى أنّ الذّاكرة اللّغويّة أقدر على التعامل مع جميع الأداءات اللّغويّة في حين أنّ القاعدة قاصرة على التعامل معها إلاّ إذا طوعت[8].

---

1 سيبويه, الكتاب, ج4 ص330.

2 رؤبة, ديوانه، ص172,السيرافي, شرحكتاب سيبويه , ج4 ص588شرح المفصل ج 7 ص121.

3 سيبويه, الكتاب, ج4 ص330.

4 أُمية, ديوانه ، ص42, شرح المفصل ج7 ص126, الشنتمري, شرح النكت, ج2 ص419.

5 الشنتمري, شرح النكت, ج2 ص419.

6 انظر, ابن يعيش, شرح المفصل, ج7 ص126.

7 سيبويه, الكتاب, ج4 ص330.

8 انظر خليل حلمي, مقدمة لدراسة اللغة, ص282/265.

5.1.5 "الواو"

تكون عطفاً و لا دليلَ فيها على أنّ الأول قَبْلَ الثاني[1]. ومعناه مُطلق الجمع. فتعطف الشيءَ على مُصاحبِه[2]. نحو:" فأَنْجَيْنَهُ وأَصْحَابَ السَّفينة[3]" وعلى سابقهِ نحو:" ولَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وإبراهيمَ[4]". وأطلق عليها سيبويه مُصطَلَحْ" واو الجمع والضّم"[5], والواو يَنْتَصب ما بعدها بِشَرْط أنْ يتقدم الواو نفي أو طلب, ويسمي الكوفيون الواو, واو الصرف[6]. واعلم أنّ النّاصب بعد الواو" أنْ"[7]. قال سيبويه[8]:" واعلم أنّ" الواو" ينتصبُ ما بعدها في غير واجبٍ من حيث انتصب ما بعد الفاء, وأنَّها قد تُشْرِكُ بَيْنَ الأوّل والآخرِ, وأنّها يُستَقْبَحُ فيها أنْ تُشْرِك بين الأوّلِ والآخر. كما يُستَقْبَحُ ذلك في الفاء, وأنها تجيء ما بعدها مرتفعاً منقطعاً من الأوّل".

ومن النّصب في هذا الباب قوله عزّ وجلّ:" لَمّا يَعلَمِ اللهُ الذين جَاهَدوا منكم ويَعْلَمَ الصّابرينَ"[9]. وقد قرأها بعضهم" ويَعْلَمِ" عطفاً على" لَمّا يَعْلَمِ"[10]. وقوله تعالى:" ولا تُلْبسُوا الحَقَّ بالباطلِ وَتكتمُوا الحَقَّ وأَنْتُم تَعْلَمُونَ"[11]. وإن شِئْتَ جَعَلْتَ" وتكتمُوا على النهي, وإنْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ على الواو.

قال سيبويه[12]:" وسَمْعنا مَنْ يُنْشِدُ هذا البيت من العرب, وهو لكعب الغَنَويّ[1]:"

---

1 الزجاجي, حروف المعاني, ص36.

2 ابن هشام, مغني اللبيب, ج1 ص337.

3 سورة العنكبوت 15.

4 سورة الحديد 26.

5 عبابنة يحيى, تطور المصطلح النّحوي, ص282.

6 ابن هشام, مغني اللبيب, ج1 ص343.

7 الشنتمري, شرح النكت, ج2ص374.

8 سيبويه, الكتاب, ج4 ص161.

9 سورة آل عمران 142.

10 قراءة الحسن وأبي يعمر وعمرو بن عبيد, تفسير أبي حيّان ج3 ص66.

11 سورة البقرة 42.

12 سيبويه, الكتاب, ج4 ص166.

وما أنَا للشيءِ الذي ليس نافِعي ويَغْضَبَ منه صاحبي بقَؤُولِ

والرّفع أيضاً جائزٌ حسنٌ, وهو في صلة الذي عطفاً على موضع ليس وتقديره" الذي لا يَنْفَعُني ويَغْضَبُ مِنْهُ صاحبي"[2]. فقد أجاز النّحاة نَصْبَ الفعلِ بَعْدَ واو العطف بـــ" أنْ" المُضْمَرة, والحقُّ أنّ هذه واو العطف[3].

وضع النحاة العرب القاعدة النّحويّة التي تذهبُ إلى أنّ الواو هي واو عاطفة تجمع الأول والآخر في الحدث, فهي" للجَمْع والضَّم"[4]. ولكنَّهُم وجدوا أنماطاً لغوية تخرج عن القاعدة النّحويّة. فقد وجدوا الفعل بعد الواو لم يدخل في العطف وإنّما جاء منصوباً, فلذلك أجازوا إضمار" أنْ" بعد الواو, فهذا دليلٌ على أنّ النحاة تنبّهوا للذاكرة اللّغويّة مدركين أنّها تستطيع أنْ تختزل جميع الأنماط اللّغويّة, ولكنَّهُم وقفوا أمام القاعدة النّحويّة مقدمين الكثير من الجوازات التي تدل على معرفتهم الواعية بالذّاكرة اللّغويّة, في حين أنّ المُستوى التقعيدي يفرض عليهم تجاهل الذّاكرة اللّغويّة وإحكام القاعدة النّحويّة بتقديم الكثير من التعليلات والتقديرات. في ذلك قول قيس بن زهير بن جَذَيمةَ[5]:"

فَلاَ يَدْعُني قَوْمي صَرِيحاً لِحُرَّةٍ لَئِنْ كُنْتُ مَقْتُولاً ويسْلَمُ عامِرُ

فَرَفعهُ على أنّ الواو واو حالٍ كأنّهُ قال:" وعامِرٌ هذه حاله" والنّصب في" يَسْلَمُ" أجود[6].

فقد أجاز النحاة العطفَ على الذي قبله أو النّصبَ على إضمار" أنْ" أو الرّفعُ على الابتداء. فهذا دليلٌ على إحكام القاعدة النّحويّة.

6.1.5 "الفاء"

---

1 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص375.

2 المرجع السابق, ج1 ص 376.

3 ابن هشام, مغني اللبيب, ج1 ص344.

4 عبابنة يحيى, تطور المصطلح النّحوي, ص282.

5 السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج4 ص369/ الشنتمري, شرح النكت, ج1ص376.

6 الشنتمري, شرح النكت, ج1ص 376.

وهي كالواو لكنَّها تَخْتلف عنها في الثاني بَعْدَ الأول لا محالة ولكن ليس بينهما مُهْلَة طويلة[1]. وتكون ناصبه للفعل في جواب الأمر والنهي والتمني والعرض والنفي والاستفهام والدعاء[2], وهي حرفٌ مهملٌ خلافاً لبعض الكوفيين في قولهم إنّها ناصبه[3]. واعلمْ أنَّ الأصل في جميع أماكنها عاطفة وإنْ اختلفتْ معانيها[4]. قال سيبويه[5]:" هذا بابُ" الفاء" واَعْلَمْ أنَّ ما انتصبَ في باب الفاء ينتصب على إضمار" أنْ" وما لم ينتصب فإنَّهُ يُشْرِكُ الفعْلَ الأوّلَ فيما دخل فيه, أو يكون في موضع مبتدأ مبني على المبتدأ, أو موضع اسمٍ مما سوى ذلك". ويرى سيبويه أنّه يجوز رفع الفعل بعد الفاء, ونصب الاسم بـــ" أنْ" المضمرة[6]. فمثل النّصب قوله تعالى:" لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيمُوتوا"[7]. ومثل الرّفع قوله عزّ وجلّ:" هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ ولا يُؤذَنُ لَهُمْ فَيَعْتذِرون"[8]. وتقولُ: وَدَّ لو تأتيهِ فتُحَدِّثُهُ". والرّفعُ جيدٌ على معنى التمني, ومثله قوله عزّ وجلّ:" وَدُّوا لو تُدْهِنَ فَيُدْهِنُوا"[9].

قال سيبويه[10]:" وَزَعَمَ هارونُ أنَّها في بعضِ المصاحف:" وَدُّوا لو تُدْهِنَ فَيُدْهِنُوا"[11].

أجاز النّحاة النّصب بعد الفاء بـــ" أنْ" المضمرة في بعض المواضع التي تقتضي الرّفع. يرى سيبويه[12]:" أنّه قد يجوز النصبُ في الواجب في اضطرارِ

---

1 عبابنة يحيى, تطور المصطلح النّحوي, ص283.

2 الزجاجي, حروف المعاني, ص283.

3 ابن هشام, مغني اللبيب, ج1 ص161.

4 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص 369.

5 سيبويه, الكتاب, ج4 ص145.

6 انظر سيبويه, الكتاب, ج4 ص148/147.

7 سورة فاطر 36.

8 سورة المرسلات 36/32.

9 سورة القلم 90.

10 سيبويه, الكتاب, ج4 154.

11 انظر تفسير أبي حيّان ج8 ص309.

12 سيبويه, الكتاب, ج4 ص158.

الشِّعر, ونصبه في الاضطرار مِنْ حيثُ انتصبَ في الواجب وذلك لأنّكَ تجعل" أنْ" العامِلة. فمما نُصِبَ في الشعر اضطراراً قول طرفةُ[1]:"

لنا هَضْبَةٌ لا يدخُلُ الذُّلُّ وَسْطها   ويأوي إليها المُسْتَجيرُ فَيعْصمَا

فنصبه وهو خبر واجب بإضمار" أنْ" ضرورة[2]. قال الأعشى[3]:"

ثُمَّتَ لا تَجْزُونَني عِنْدَ ذاكُمْ   ولكنْ سيجزيني الإلهُ فيُعْقبا

تنبّه سيبويه إلى أنّ هذه الأنماط تجاوزت القاعدة النّحويّة وأنّها مَثَّلتْ خرقاً لقوانين القاعدة إذ يقول[4]:" وهو ضعيفٌ في الكلام ولكنّها تمثّل واقعاً استعمالياً في اللغة, لأنّ الذّاكرة اللّغويّة أقْدر على التعامل مع مثل هذه الأنماط, لذلك أجاز سيبويه مثل ذلك اضطراراً في الشِّعر لأنّ القاعدة النّحويّة تفرض رَفْع الفعل بالابتداء بعد الفاء إذا كان المعنى يستوجب العطف والنّصب بأنْ المضمرة[5].

7.1.5 "أو"

حرف عطفٍ وقد ذكره المتأخرون بمعانٍ كثيرة[6], نحو التخيير كقوله تعالى:" فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أو صَدَقَةٍ أو نُسُك"[7]. وتكون بمعنى الإبهام كقوله تعالى:" أو كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماء"[8] واعْلَمْ أنّ أصل" أو" العطف حيثُ كانت[9]. ويُجيزُ النُحاة نصبُ الفعل بعد" أو" بأنْ المضمرة لأن معنى"أو" يكون كـــ" إلاّ. قال سيبويه[10]:"

1ديوان طرفة ص 4, السيرافي, شرحكتاب سيبويه , ج4 ص352,الــشنتمري,شــرح النكــت , ج1ص373.

2 انظر الشنتمري, شرح النكت, ص 374.

3 الأعشى, ديوانه, ص90, السيرافي, شرحكتاب ســيبويه , ج1 ص466, الــشنتمري, شــرح النكت, ج1ص373.

4 سيبويه, الكتاب, ج4 ص158.

5 انظر الشنتمري, شرح النكت, ج1ص373/372.

6 ابن هشام, مغني اللبيب, ص76.

7 سورة البقرة 196.

8 سورة البقرة 19.

9 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص374.

10 سيبويه, الكتاب, ج4 ص168.

اعْلَمْ أنّ ما انتصبَ بعدَ" أو" فإنَّهُ ينتصبُ على إضمار" أنْ" كما انتصب في" الفاء" و" الواو" على إضمارها, ولا يُستَعْمَلُ إظهارُها كما لم يُستَعْمَلُ في" الفاء" و" الواو" ... واعْلَمْ أنّ ما انتصبَ بَعدَ" أو" على" إلاّ أنْ". قال امرؤ القيس[1]:"

فَقُلْتُ لَهُ: لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنَّما نُحاوِلُ مُلْكاً أو نَمُوتَ فَنُعْذَرَا

فقد نصب على معنى" إلاّ أنْ نموتَ"[2] ولو رفعت لكان عربياً جائزاً على وجهين, على أنْ تُشرِكَ بَيْنَ الأوّل والآخر, وعلى أن يكون مبتدأ مقطوعاً من الأول يعني:" أو نَحْنُ ممَّن يموت"[3]. وذلك كقوله تعالى:" سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولي بأسٍ شديدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أو يُسْلِمُون"[4].

قال سيبويه[5]:" وسألتُ الخليلَ عن قول الأعشى[6]:"

إنْ تَرْكَبُوا فَرُكوب الخَيْلِ عادَتُنا أو تَنْزلونَ فإنّا مَعْشَرٌ نُزُلُ

فقال الكلامُ ها هنا على قولِكَ: يكون كذا أو يكونُ كذا, لمّا كان موضعُها لو قال فيهِ:" أتركبون" لم يَنْقُض المعنى, فهذا محمولٌ على المعنى كأنّه قال:" أتنزلون أو تركبون" وذكَرَ عن يونس أنّه يرفعُه على الابتداء, كأنه قال:" أَنْتُمْ تَنْزِلُون"[7].

أجاز النحاة رفع الاسم بعد" أو" على الابتداء, إذا جاء النَّمَط الاستعمالي مرفوعاً, وكذلك أجازوا النَّصب بأنْ المُضْمَرة بعد" أو" تعليلاً للنَّصب, فهذا التعدد في الإعراب يُعطي القاعدة النَّحويّة القدرة على التعامل مع جميع الأنماط اللّغويّة وتخريجها تخريجاً سليماً لا يخرج عن المستوى التقعيدي للغة. يقول سيبويه[8]:" وسألتُ الخليلَ عن قوله عزّ وجلّ:" وما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاّ وحْيَاً أو مِنْ

---

1 امرؤ القيس, ديوانه ص66, السيرافي, شرحكتاب سيبويه , ج4 ص374, الشنتمري, شرح النكت, ص376.

2 الشنتمري, شرح النكت, ج1ص377.

3 سيبويه, الكتاب, ج4 ص169.

4 سورة الفتح 16.

5 سيبويه, الكتاب, ج4 ص173.

6 الاعشى, ديوانه, ص48/ الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص378.

7 الشنتمري, شرح النكت, ص378.

8 سيبويه, الكتاب, ج4 ص171.

وراء حِجَابٍ أو يُرْسِلَ رَسُوْلاً بإذْنِه ما يشاءُ"[1]. فزعمَ أنّ النَّصبَ محمولٌ على" أنْ" وأهلُ المدينة يَرْفعون هذه الآية:" أو يُرْسِلُ"[2] فإنّه قال:" لا يُكلِّمُ اللهُ البَشَرَ إلاّ وحياً أو يُرْسِلُ رَسُوْلاً".

لجأ النحاة إلى التأويل والتفسير لإحكام القاعدة النّحويّة وتعليل ما خرج عن المستوى التقعيدي للأنماط اللّغويّة, دون ردٍّ هذه الأنماط إلى الذّاكرة اللّغويّة التي هي الأقدر على التعامل مع كافة الأداءات اللّغويّة, لذلك قالوا في هذه الأنماط: إنّ النَّصبَ محمولٌ على المعنى, والرّفع على الابتداء والعطف على التقدير[3].

8.1.5 "أم"

وتكون مُتّصلة, وهي منحصرة في نوعين[4], وذلك لأنّها إما أنْ تتقدم عليها همزة التسوية نحو قوله تعالى:" سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أ ستَغْفَرْتَ لَهُمْ أمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ"[5]. أو تتقدم عليها همزة يطلب بها و بـــ" أم" التعيين نحو" أزَيْدٌ في الدّار أم عمر"[6], وتكون استفهاماً للتعيين. وقد يستقبل بها الاستفهام عما قبله كقول العرب[7]:" إنّها لإبلٌ أمْ شاءٌ" وتقدره" بَلْ شاءٌ". كقوله تعالى:" لا ريبَ فيهِ مِنْ رَبِّ العَالَمين أم يقُولون افْتَرَاهُ"[8].

فقد ذهب النحاة إلى أنّ" أم" تكون مُتّصلة ويجب أنْ تُسْبَقَ بهمزة, إمّا للتسوية أو للتعين وأنَّ الواقع بعد همزة التسوية لا يستحق جواباً, لأنّ المعنى ليس على الاستفهام أمّا الواقع بعد همزة يُطْلَب بها و بـــ" أم" التعيين, فيكون الجواب بالتعيين؛

---

1 سورة الشورى 81.

2 قراءة نافع وأهل المدينة تفسير أبي حيّان ج7 ص527.

3 انظر الشنتمري, شرح النكت, ج1ص378.

4 ابن هشام,مغني اللبيب, ج1 ص47.

5 سورة المنافقين 6.

6 ابن هشام,مغني اللبيب, ج1 ص47.

7 الزجاجي, حروف المعاني, ص48.

8 سورة السجدة 3/2.

لأنّها سؤال عنه[1]. قال سيبويه[2]:" هذا بابُ" أمْ" إذا كان الكلام بها بمنزلة" أيُّهُم" و" أيُّهُما" وذلك قولُكَ:" أزَيْدٌ عِنْدَكَ أم عمروٌ" فأنْتَ مُدَّعٍ أنّ عنده أحدهما أو أنّ أحدهما عنده".

وتكون" أم" منقطعة مما قبلها ومنزلتها منزلة الألف إذا اتّصلت بكلام قبلها. إلاّ أنّ" الألف" تكون ابتداء و" أم" لا تكون ابتداء وقد تعطف شيئاً على شيءٍ وهما من جملةٍ واحدة[3], قال سيبويه[4]:" هذا بابُ" أمْ" منقطعة, وذلك قولُكَ" أعمرٌ عندكَ أم عِند زيدٌ؟ فهذا ليس بمنزلة: أيُّهما عندك؟, ألاّ ترى أنّكَ لو قُلْتَ: أيُّهما عندك عندك, لم يستقم إلا على التكرار والتوكيد. ويدلُّكَ على أنّ هذا الآخر منقطعٌ عن الأوّل". ومن ذلك قوله تعالى:" أم اتَّخَذَ مِمّا يَخْلُقُ بناتٍ وأصْفاكُمْ بالبنين"[5].

فقد علم الرسول_ صلى الله عليه وسلّم_ والمسلمون أنّ الله عزّ وجلّ لَمْ يتّخذ ولداً, ولكنّهُ جاء على حرف الاستفهام ليُبَصَّروا ضَلالَتَهُمْ"[6].

أشار سيبويه إلى أنّ هناك أنماطاً لغوية تخرج عن القاعدة النّحويّة إمّا بحذف الهمزة ويكون المعنى على الاستفهام. وإمّا مجيء أم منقطعة في غير موضعها[7]. يقول سيبويه[8]:" وزعم الخليل أن قول الأخطل[9]:"

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أمْ رأيْتَ بواسطٍ غَلَسَ الظَّلام مِنْ الرَّبابِ خيالاً

يقول الشَّنْتمريّ[10]:" يجوز أنْ يكون على حذف الألف من" أ كَذَبَتْكَ".

---

1 انظر ابن هشام,مغني اللبيب, ص47/48.

2 سيبويه, الكتاب, ج4 ص344.

3 الشنتمري, شرح النكت, ج2 ص423.

4 سيبويه, الكتاب, ج4 ص348.

5 سورة الزخرف 16.

6 سيبويه, الكتاب, ج4 ص349.

7 انظر الشنتمري, شرح النكت,ج2 ,ص423/424.

8 سيبويه, الكتاب, ج4 ص350.

9 الاخطل, ديوانه ص41,السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج2 ص67, مغني اللبيب ج1 ص51.

10 الشنتمري, شرح النكت, ج2 ص424.

ويرى سيبويه[1] أنّهُ يجوز في الشِّعر أنْ يُرِيدَ بـ" كَذَبَتْكَ" الاستفهام وبحذف الألف. ومثل ذلك قول التميمي وهو الأسود بن يَعْفُر[2]:"

لَعَمْرُكَ ما أدري وإنْ كُنْتُ دارياً　　　شُعَيْثُ بن سَهْمٍ أم شُعَيْثُ بن مِنْقَرِ

فقد حذف الشّاعر ألف الاستفهام والتقدير" أشُعَيْث" لأنّ قوله" ما أدري" يقتضي وقوع الألف و" أم" مساوية لها. فحذفها للضرورة والمعنى" ما أدري أيُّ النسبين هو الصحيح"[3].

فقد تنبه سيبويه إلى أنّ هذه الأنماط اللّغويّة مُشيراً إلى أنّ هذا لا يجوز إلاّ في الشِّعرِ لأنّ القاعدة النّحويّة تفرض وجود همزة الاستفهام في هذه الأنماط اللّغويّة؛ لأنّ" أم" مساوية للاستفهام. قال عمرو بنُ أبي ربيعة[4]:"

لَعَمْرُكَ ما أدري وإنْ كُنْتُ دارياً　　　بسبعٍ رَمَيْنَ الجَمْرَ أم بِثَمانِ

فقد حذف الشّاعر ألف الاستفهام في حين أنّ القاعدة النّحويّة تَفْرض وجودها. أمّا الذّاكرة اللّغويّة فتستطيع أنْ تتعامل مع هذه الأنماط اللّغويّة وتفرضها على القاعدة النّحويّة كنمط استعمالي يجب على القاعدة أنْ تعترف به. يقول سيبويه[5]:" هذا بابُ أو" تقولُ: أيُّهم تَضْرِبُ أو تَقْتِلُ؟, ومن يأتيك أو يحدّثك؛ ولا يكون ههنا إلاّ" أو وتقولُ: هل عِندكَ شَعيرٌ أو بُرّ أو تمرٌ؟. وإنْ شِئْتَ قُلْتَ: هل عندك بُرٌّ أم شَعِيرٌ؟ على الكلامين.

---

1 سيبويه, الكتاب, ج4 ص351.

2 ابن هشام, مغني اللبيب, ج1 ص48,السيرافي, شرحكتاب سيبويه , ج4 ص622, الشنتمري, شرح النكت, ج2 ص424.

3 ابن هشام,مغني اللبيب, ص48.

4عمرو بن أبي ربيعة , ديوانه ص58, ابن يعيش ,شرح المفصل , ج8 ص154, الشنتمري, شرح النكت, ج2 ص424.

5 سيبويه, الكتاب, ج4 ص352.

فالقاعدة النّحويّة تذهبُ إلى أنّ" أو" تأتي بعد حرف الاستفهام" هل" وأنّ" أم" تأتي بعد" الهمزة" ومن ذلك قوله تعالى:" هل يَسْمَعُونَكُمْ إذ تَدْعونَ أو يَنْفَعُونَكُمْ أو يضُرُّون"[1]. قال مالك بنُ الرَّيب[2]:"

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغيَّرَتِ الرَّحا رَحَا الحَزْنِ أو أضحت بفُلْجٍ كما هيا

فقد جاءت" أو" عاطفة بعد" هل" يقول سيبويه[3]:" وكذلك سمعناهُ ممَّن يُنْشِدُهُ من بَنِي عَمِّهِ. وقال أناسٌ:" أم أضحت" على كلامين لأنّ" أم" لا تكون للتسوية إلاّ بعد الألف خاصة"[4].

قال علقمة بن عبده[5]:"

هَلْ ما علِمْتَ وما استُودِعْتَ مَكْتُومُ أم حَبْلُها إذا نَأتْكَ اليومَ مَصْرومُ

أمْ هَلْ كبيرٌ بَكَــــى لم يَقْضِ عَبْرَتَهُ إثْرَ الأحبَّةِ يومَ البَيْنِ مَشْــــكومُ

جاءت" أمْ" في البيتين منقطعة ولو استعملت" أو" هنا لجاز[6]. لقد أجاز سيبويه مجيء" أم" المنقطعة بعد" هل", ولكن القاعدة النّحويّة تقتضي مجيء" أو" بعد" هل", أمّا الذّاكرة للغوية فإنّها تختزل جميع الأنماط اللّغويّة وتفرضها على القاعدة النّحويّة كنمط استعمالي يجب تطويع القاعدة باتجاهه. فقد أشار سيبويه إلى أنّ هذه الأنماط عن القاعدة النّحويّة وذلك بقوله:" سمعنا ممَّن يُنْشد من العرب"[7]. فهذه الإشارة تدل على أنّه شكَّلَ وعياً كاملاً بالذّاكرة اللّغويّة التي تستطيع أنْ تختزل جميع الأنماط اللّغويّة. وأنّهُ وقف عند الأنماط اللّغويّة التي تخرج عن القاعدة النّحويّة مقدماً

---

1 سورة الشعراء 72/73.

2 السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج4 ص630, الشنتمري, شرح النكت, ص425.

3 سيبويه, الكتاب, ج4 ص355.

4 الشنتمري, شرح النكت,ج2 ,ص425.

5 علقمة, ديوانه ص129/ السيرافي, شرحكتاب سيبويه , ج4 ص630/ الشنتمري, شرح النكت,ج2 ,ص425.

6 الشنتمري, شرح النكت,ج2 ,ص425.

7 سيبويه, الكتاب, ج4 ص355.

الكثير من التعليلات والجوازات, لأنّه لا يستطيع أنْ يعترف بقصور القاعدة النّحويّة من هذا الجانب, وأنّ المستوى التقعيدي ليس مستوى شمولياً لجميع الأداءات اللّغويّة.

9.1.5 "أي"

اسمٌ يأتي على خمسة أوجه[1]:

شرطاً نحو:" أيًّا ما تدْعُوا فلَهُ الأسْمَاءُ الحسنى"[2].

استفهاماً نحو:" فبأيِّ حَديثٍ بَعْدَهُ يُؤمِنوُن"[3].

أن تكون دالَّه على معنى الكمال نحو:" زيدٌ رجلٌ أيُّ رَجُلٍ".

أنْ تكون وصله إلى نداء ما فيه أل:" يا أيُّها الرجل".

أنْ تكون موصولاً نحو:" لننْزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أيُّهُمْ أشدُّ"[4].

وذكر سيبويه[5] أن العرب تقول:" اضْرِبْ أيُّهُم أفضلُ" والكوفيون يأبون هذا ويجرونه على القياس فينصبون. قال سيبويه[6]:" وحدّثنا هارونُ أنَّ ناساً وهُمْ الكوفيون يَقْرَؤنها:" ثُمَّ لننْزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أيُّهُمْ أشدُّ على الرَّحْمَن عِتيا"[7]. وهي لغة جيدةُ نصبوها كما جرُّوها حين قالوا:" امْرُر على أيِّهِمْ أفْضَلُ" ومذهبُ الخليل أنّهُ محمولٌ على الحكاية في قولهم:" اضْرِبْ أيُّهُم أفضلُ" وجه هذا أنّ العرب تكلَّمَتْ به مرفوعاً. ولمّا يونس فزعم أنّ" اضْرِبْ" معلقة بالجملة[8]. ويرى سيبويه[9] أنّهُم

---

1 ابن هشام , مغني اللبيب, ج1 ص82ويرى ابن الزجاجي أنها على أربعة أوجه انظر , الزجاجي, حروف المعاني ص62.

2 سورة الإسراء 110.

3 سورة الأعراف 185.

4 سورة مريم 69.

5 الشنتمري, شرح النكت,ج1 ,ص351.

6سيبويه, الكتاب, ج4 ص77.

7 سورة مريم 69.

8 انظر الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص352.

9 سيبويه, الكتاب, ج4 ص78.

جعلوا هذه الضمة بمنزلة الفتحة في" خَمْسَةَ عَشَرَ" وبمنزلة الفتحة في" الآنَ" حين قالوا:" من الآن إلى غدٍ". ومن العرب أنّه أنشدَ[1]:"

إذا مَا أتَيْتَ بني مالكٍ   فَسَلّمْ على أيُّهُمْ أفْضَلُ

فقد حمله سيبويه على البناء, أمّا الخليل فحمله على الحكاية لأنّ العرب تكلّمَتْ به مرفوعاً, وهو شاذٌ في القياس عندهم" على أيِّهِمْ". كان حمله على الحكاية أقوى منه على البناء الذي اختاره سيبويه[2].

لقد اختلف النحاة في هذه الأنماط اللّغويّة لأنّها تمثل واقعاً استعمالياً لا يُمكن تجاهله, فالقاعدة النّحويّة تذهب إلى أنّ الاسم الموصول" أيّ" معرب تتغير حركة آخره بتغير موقعه في الجملة كالشرطية والاستفهامية[3]. ولكن هناك أنماط لغوية خرجت عن القاعدة النّحويّة استَوْجَبَتْ على النحاة استدعاءها كحالةٍ فردية بعيدة عن القاعدة محاولين تقديم الكثير من التعليلات.

لذلك اختلف النحاة في التعامل مع هذه الأنماط واعتبروها شاذة؛ لأنّ القياس هو العنصر المثالي الذي يمكن من خلاله التعامل مع الأداءات اللّغويّة[4]. قال سيبويه[5]:" هذا بابُ مجرى" أيّ" مضافاً على القياس وذلك قولُكَ: اضْرِبْ أيَّهُمْ هو أفْضَلُ" و" اضْرِبْ أيَّهُمْ كان أفضل" جرى هذا على القياس؛ لأنّ الذي يحسُنُ ها هنا", فإن قُلْتَ:" اضْرِبْ أيَّهُمْ عاقلٌ" رَفَعْتَ لأنّ الذي عاقلٌ قبيحٌ, فإذا أدْخَلت هو نصبتَ لأنّ" الذي هو عاقلٌ" حَسَنٌ. ألاّ ترى أنّكَ لو قُلْتَ هذا هو عاقلٌ كان حسناً, بمعنى أنّ نصب" أيُّهم" على تقدير" هو عاقلٌ" والرّفعُ على البناء بمنزلة الفتحة في" خَمْسَةَ عَشَرَ" وحينَ"[6].

1شرح المفصل ج 3 ،ص 147, السيرافي, شرحكتاب سيبويه , ج4 ص25, الشنتمري, شـرح النكت, ج1 ص352.

2 انظر الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص352, انظر, ابن يعيش, شرح المفصل, ج3 ص147.

3 ابن هشام, مغني اللبيب, ص81.

4 انظر, السيوطي, الاقتراح, ص59/60.

5 سيبويه, الكتاب, ج4 ص84.

6 انظر, ابن يعيش, شرح المفصل, ج3 ص147/148.

تعامل النحاة مع هذه الأنماط كواقع استعمالي لا يمكن للقاعدة النّحويّة تجاهله, وهذا ما جعلهم أنْ يقدموا الكثير من التعليلات من جهة المعنى مرة ومن جهة اللفظ مرة ثانية ومن جهة العلامة الشكلية مرة ثالثة دون الالتفات إلى الذّاكرة اللّغويّة[1], لذلك قال لوسركل[2]:" لا يمكن التعامل مع اللغة من خلال تحويلها إلى قوالب صورية". وهذا يقودنا إلى أنّ الذّاكرة اللّغويّة أقدر في التعامل مع مثل هذه الأنماط, وتستطيع أنْ تعطيها واقعاً وجودياً داخل القاعدة النّحويّة نفسها.

10.1.5 " إذا"

هي ظرف لزمان مستقبل[3] :" فالغالب أنّ تكون ظرفاً للمستقبل مُضمّنة معنى الشرط "[4] وتختص بالدخول على الجملة الفعلية نحو قوله تعالى :" فإذا أصَابَ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إذا أنْتُمْ تخرجون بهِ "[5]. قال سيبويه [6]:" وسألت الخليل عن "إذا" ما مَنَعَهُمْ أن يُجَازوا بها؟ فقال: الفعْلُ في" إذا " بمنزلته في "إذْ " إذا قُلْتَ: أتذَكّرُ إذْ تقول و "إذا" فيما يُستَقْبَلُ بمنزلةِ "إذْ" فيما مضى. وتبين هذا أنّ " إذا " يجئ وقتاً معلوماً، ألا ترى أنكَ لو قُلْتَ:" آتيكَ إذا احمرَّ البُسْرُ"، كان حَسَناً ولو قُلْتَ: آتيك إنْ احمرّ البُسْرُ كان قبيحاً " و " إن أبداً مبْهَمةٌ". ومن ذلك قول ذي الرُمَّة[7]:

تُصغي إذا شدَّها بالرَّحْل جانحةً حتَّى إذا ما استوى في غَرْزها تَثِبُ

استشهد على أنَّ "إذا " لا يُجْزَمُ الفعل بعدها لأنّها تدل على وقت بعينه، فهي حرف شرط مبني على الإبهام وعدم التحديدات[8].

---

1 انظر, مصطفى لطفي, اللغة العربية في إطارها الاجتماعي, ص115/ 125.

2 لوسركل, عنف اللغة ص219.

3 الزجاجي, حروف المعاني, ص63.

4 ابن هشام, معنى اللبيب ،ج1 ص96.

5 سورة الروم 25.

6 سيبويه, الكتاب, ج4 , ص188.

7 ديوان ذي الرُمَّة ص 9, ابن يعيش , شرح المفصل ج 4 ص97,السيرافي, شرحكتاب سيبويه , ، ج4، ص394,الشنتمري, شرح النكت, ج1 ,ص381.

8 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ,ص382.

وقد جازوا بها في الشعر مضطرّين، شبهوها بـــ"إنْ" حَيْثُ رأوها يُستَقْبلُ، وأنها لا بدَّ لها من جواب[1]، وقال قيس بن الخطيمِ الأنصاري: [2]

إذا قَصُرتْ أسيافُها كانَ وصْلُها   خُطانا إلى أعدائِنا فَنُضارِبِ

فجازى بـــ" إذا " صرورة " وقَصُرَتْ" في موضع جزمْ بـــ " إذا" و كان جوابُها" و موضعها جزم ، فعطف " فنضارب" على موضعها و كسر ما يجب على القوافي [3] قال الفرزْدق [4]:

وتَرْفَعُ لي خِنْدفُ و اللهُ يَرْفعُ لي ناراً إذا خَمَدَتْ نيرانُهُمْ تَقِدِ

فجزم "تَقِدْ" على الجزاء[5]. تذهب القاعدة النّحويّة إلى أنّ "إذا" ظروفٌ لما يُسْتَقْبلْ من الزمان و لايجازى بها، ولكن هذه الأنماط خرجت عن القاعدة النّحويّة "فجزمت الفعل على الجزاء" ولم يعترف سيبويه بالذّاكرة اللّغويّة التي أوجدت هذه الأنماط كواقع استعمالي قال[6]:" فهذا اضطرار وهو في الكلام خطأً ". وإنما اعتبر هذا خارجاً عن القاعدة النّحويّة و لايقاس عليه و لكنّ الجيّد قول كعب بن زهير[7]:

وإذا ما تَشَاءُ تَبْعَثُ منها   مَغْرِبَ الشمْسِ ناشِطاً مَذْعوراً

فلم يجاز بـــ"إذا " وهو الجيّد فيها[8].

11.1.5 "إذَنْ"

---

1 سيبويه, الكتاب, .ج4، ص189.

2قيس بن الخطيم , ديوانه ص14,السيرافي, شرحكتاب سيبويه , ج4 ص395 , الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص382.

3 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص382.

4 الفرزدق, ديوانه –ص216/ الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص 382.

5 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص382.

6سيبويه, الكتاب, ج4 ص190.

7 الشنتمري, شرح النكت,ج1 ,ص383.

8 المرجع السابق, , ج1 ,ص383.

هي حرفُ جواب و جزاء ، كقولِكَ: سأَقْصُدكَ غداً ، فيُقال: إذَنْ أُكرِمَكَ[1]، و مذهب سيبويه أن "إذن" هي العاملة الفاصلة[2] ومعناها الجواب والجزاء[3]، والأكثر أن تكون جواباً "لأن" أو " لو" ظاهرتين أو مُقَدَّرتين:قال كُثَيِّرُ عَزَّة[4]:

لَئِنْ عادَ عبدُ العزيزُ بِمِثلِها وامْكَنَني منها إذَنْ لا أقيلُها

ألغى الشاعر "إذَنْ "و رفع "لا أقيلها" لاعتماده على القَسَم[5]. قال سيبويه[6]:و اعلم أن "إذَنْ " إذا كانت بين" الفاء" و "الواو" و بين الفعل فإنَّكَ بالخيار، إن شِئْتَ أعْمَلتها.... وإن شِئْتَ ألغيتها. و قال جماعة من النّحويين [7]. إذا وقعت "إذَنْ " بعد الواو أو الفاء جاز فيها الوجهان: " رفعُ المضارع بَعْدها و نصبُهُ" ،نحو قوله:" وإذاً لا يَلْبَثُونَ خِلفَك إلا قليلاً" [8] و قوله " فإذا يُؤْتونَ النّاسَ نَقِيرا"[9]

قال سيبويه[10]: وسمعنا بعض العرب قرأها فقال[11] :"وإذَنْ لا يَلْبَثُوا" وقوله عزّ وجل:" فإذَنْ لا يُؤْتونَ النّاسَ نَقِيرا".

فقد أجاز النحاة الرّفع و النّصب بعد "إذَنْ" لأنّها قد تقع حشواً بعد حرف العطف و يكون المعطوف على الأول أول, أو قد يتعيّن النّصب لأنّ ما بعدها مستأنف[12]. فقد فرضت هذه الأنماط على النحاة تطويع القاعدة النّحويّة كي تستطيع

---

1 الزجاجي,حرف المعاني, ص6.

2 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ,ص363.

3 ابن هشام, معنى اللبيب ، ج1 ، ص24 .

4 كُثير, ديوانه عزة ج2 ص78، السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ص317, الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص364.

5 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص364.

6 سيبويه, الكتاب, ج4 ص127.

7 ابن هشام, معنى اللبيب ، ج1، ص26.

8 سورة الإسراء 76.

9 سورة النساء 53.

10 سيبويه, الكتاب, ج4 ، ص127.

11 قراءة أُبي و عبد الله بن مسعود , أبو حيان الأندلسي, تفسير أبي حيان ج6, ص66. .

12 ابن هشام, معنى اللبيب ، ج1، 26 .

أن تتعامل مع جميع الأدوات اللّغويّة لأنها تنبع من الذّاكرة اللّغويّة التي تستطيع أن تختزل جميع الأدوات اللّغويّة، لذلك فإنّ الهدف الاستراتيجي لّلغة هو الكشف بين جميع المتكلمين التي تُمكِنَهُم من فهم و بناء عدد غير محدود من الجمل الصحيحة قاعدياً ، والتي لم تسمع بها من قبل[1]. وهذا ما يقودنا إلى أنّ اللغة يجب أن تتعامل مع جميع الأنماط اللّغويّة سواء كانت قاعديّة أو غير قاعديّة. ومن ثم فإن المستوى التقعيدي هو الذي يستطيع أن يحدّد مدى مقبولية الجملة من الناحية القاعديّة وبالتالي فإنّ عليه أن يعترف بالذّاكرة اللّغويّة لأنّها أقدر على التعامل مع كافة الأنماط اللّغويّة[2].

12.1.5 " مَنْ"

تأتي على أربعة أوجه[3]:- شرطية كقوله تعالى:" مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجزَ بِه"[4] موصلة نحو:" أَلَمْ تَرَ أَنْ اللهَ يَسْجُدُ لهُ مَنْ في السَّموات و من في الأرض"[5] ، نكرة موصولة – استفهامية نحو :" مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا "[6] .

وفي ذلك قال سيبويه[7]:" هذا بابُ "مَنْ" إذا كُنْتَ مُسْتَفهِماً عنْ نكِرة: اعْلَمْ أنْكَ تُثْني "مِنْ " إذا قُلْتَ:رأيتُ رجلين:كما تُثَنِّي "أَيًا" و ذلك قولُكَ:رأَيْتُ رَجُلين، فتقول:مَنَانْ، وأتاني رجالٌ فتقُولُ مَنُونْ ". وهذه العلامات إنّما تلْحقُها في الوقفِ و

---

1 الشايب فوزي, محاضرات في اللسانيات ، ص374.

2 انظر, زكريا ميشال, مباحث في النظريّة الالسينة, ص75,ص95.

3 ابن هشام, معنى اللبيب ، ص314, الزجاجي, حروف المعاني, ص55.

4 سورة النساء 123.

5 سورة الحج 18.

6 سورة يس 52.

7 سيبويه, الكتاب, ج4 ، ص92.

ليس بإعراب لها؛ لأنّها مبنية على السكون، وإنما هي دلالة على المسؤول عنه. و إنَّما أدخلوا الضمة على "مَنْ " ولم يجز الوقفْ على الضمّة لأنه لا يوقف على متَحَرِك[1].

قال الشاعر[2]:

أتَوا ناري فَقُلْتُ:مَنُونَ أَنْتُم؟ فقَالوا: الجِنُّ، قُلْتُ:عِمُوا ظلاماً

فقد جمع الشاعر:" مَنْ:منون، في الوصل ضرورة و إنما يجمع في الوقف. قال الزّجاج[3]، كأنه وقف على "منون " و سكت عندها ثم ابتدأ.

تذهب القاعدة النّحويّة إلى أنّ اسم الاستفهام" مَنْ" يُجمع و يُثنّى في الوقف، لكنَّ الشاعر في هذا الشاهد أجراه مجرى الوصل. يقول الشَنْتَمري[4]:" و للشاعر أنْ يُجري الكلام في الوصل مجراه في الوقف". فهذا دليلٌ على أن النحاة قد لجأوا إلى الذّاكرة اللّغويّة التي تختزل جميع الأنماط اللّغويّة لذلك أجازوا بعض الأدوات للشعراء ولم يجيزوها في الكلام. قال سيبويه[5]:"و زعم يونس أنّهُ سَمِعَ أعرابياً يقول: ضَرَبَ مَنٌ مَنَاً ؟". وقال السيرافي[6]:" لأنّ قولهُ:" ضَرَبَ مَنٌ مَنَاً؟" استفهام عن الضّارب والمضروب بلفظين من ألفاظ الاستفهام. وقد قُدّم الفعل على الاستفهامين جميعاً، والاسم المستفهم به يتضمن حرف الاستفهام ولا يكون إلا صدراً. قال سيبويه[7]:" وهذا بعيدٌ لا تتَكَلَّمَ به العربُ، و لا يستعمِلهُ مِنْهُم ناسٌ كثيرٌ. كان يونس إذا ذكرهم يقول:" لا يَقْبَلُ هذا كلُّ أحدٍ، فإنمّا يجوز "مَنُونٌ يا فتى على هذا ". ولقد قدّم النحاة الكثير من التعديلات على مثل هذه الأدوات التي تخرج عن

---

1 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص355.

2 البيت لـ"سُمَرْ بن الحارث " انظر الشنتمري,شرح النكت , ج1 ص356,السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج4ص267.

3 الشنتمري, شرح النكت, ج1ص356.

4 المرجع السابق, ج1ص356.

5 سيبويه, الكتاب, ج4 ص95.

6 السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج3 ص451.

7 سيبويه, الكتاب, ج4 ص 96.

القاعدة النّحويّة. قال السيرافي[1]:" وفي قول العرب:"ضَرَبَ مَنٌ مَنًا؟" لو رددناهما إلى ما تضمنتاه من حروف الاستفهام، لصار تقديره ضَرَبَ أزيدٌ أعمراً؟ وهذا باطل مُضْمَحِلٌ.

لأنّ القاعدة النّحويّة لا تقتضي قياس"مَنَهْ على أيّة " فتقول :منةٌ، ومنةٍ باعتبارها معربة و تتغير حركة أخرها بحسب موقعها الإعرابي.

13.1.5 "لام الأمر"

حروف الجزم وهي حروف مختصة بالدخول على الفعل المضارع، لا تجزم غيره لأنّ الأفعال مبنية، أما الفعل المضارع فمعرب لذلك هو عرضة للعوامل اللفظية والمعنوية[2]، قال سيبويه[3]:" هذا بابُ ما يُعْمَلُ في الأفعال فيُجْزِمُها وذلك لَمْ، لمّا، واللام التي في الأمر، وذلك قولُكَ لِيَفْعلْ، و"لا" في النهي، وذلك قولُكَ: لا تَفْعلْ".

وقد يجوز حذف الجازم في الشّعر وإعماله مضمراً[4] قال سيبويه[5]:"واعْلَمْ أنّ هذه "اللّام" قد يجوزُ حذفُها في الشّعر وتعملُ مُضمرة كأنّهُمْ شبهوها بـــ"أنْ " إذا اعملوها مضمرة. و احتجّ لذلك بقول الشاعر[6]:"

مُحَمَّدٌ تَفْدِ نَفْسكَ كُلُّ نَفسٍ　　　　إذَا ما خِفْتَ مِنْ شيءٍ تَبالاً

أي: ليكُنْ و لتفدِ[7] وكان المبِّرد ينكر هذا البيت و يزعم أنّهُ باطلٌ[8] وعند ذلك قوله تعالى:" مَا كُنَّا نَبْغِ فارْتَدّا على آثارِهِما قَصَصًا"[9]، وقال مُتَمِّمُ بنُ نُوَيْرَة: [1]

---

1 السيرافي, شرح كتاب سيبويه, ج3 ص451.

2 عبابنة يحيى, تطوير المصطلح النّحوي ص262.

3 سيبويه, الكتاب, ج4 ، ص119.

4 الشنتمري, شرح النكت, ج1ص361.

5سيبويه, الكتاب, ج4 ، ص119.

6لم ينسب لأحد ,انظر السيرافي, شرحكتاب سيبويه , ج4 ص301, الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص361, ابن هشام, مغنى اللبيب, ج 1 ص221, ابن يعيش, شرح المفصل ج7 ص60 .

7 ابن هشام, مغنى اللبيب, ج1 ص221.

8 الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص361.

9 سورة الكهف 64.

عَلى مِثْلِ أصحابِ البعوضةِ فاخْمُشي   لَكِ الويلُ حَرَّ الوجْهِ أو يبْكِ مِنْ بكى

ومحل الاستشهاد فيه قوله:" أو يَبْكِ " حيْثُ جَزَمَ "يَبْكي" على إضمارِه لام الأمر"[2].

لقد تنبه سيبويه إلى الذّاكرة اللّغويّة التي تستطيع أن تتعامل مع هذه الأنماط اللّغويّة، لذلك قدّم تفسيراً لهذه الأنماط لأنّ مستوى التقعيدي لا يستطيع أن يتعامل مع مثل هذه الأنماط معتبرها شاذة و خارجة عن القاعدة.

قال سيبويه[3]:" و الجزم في الأفعال نظيرُ الجرّ في الأسماء فليس للاسمٍ في الجزم نصيبٌ، وليس للفعلِ من الجرّ نصيبٌ، لم يُضمِروا الجازم كما لم يُضمروا الجار، وقد أضْمَرَهُ الشاعر؛ شَبّهَهُ بإضمارهمْ "رُبَّ " و "واو القسم" في الكلام بعضهُمْ. وقد اختلف النحاة في ذلك. قال ابن هشام [4]:" وهذا الذي منعه المبّرد في الشعر أجازه الكسائي في الكلام، ولكن بشرطٍ تقدُمْ "قُلْ " وجعل منه قولهُ تعالى :"قُلْ لِعِبادي الَّذِينْ أمنُوا يُقيموا الصلواة "[5]. أي ليقيموها و وافقه ابن مالك في شرح الكافية.

هذا دليلٌ على أنّ النحاة العرب قد شكلوا وعياً كافياً بالذّاكرة اللّغويّة، لأن الأنماط اللّغويّة التي تخرج عن المستوى التقعيدي للغة تمثل واقعاً إستعمالياً لا يمكن تجاهله. وهذا ما دعاهم إلى قبول كافة الأنماط اللّغويّة و تطبيقها على القاعدة النّحويّة، وتقديم الكثير من التعديلات والشروحات حولها محاولين إحكام القاعدة النّحويّة ما أمكنهم[6].

2.5 الضمائر

---

1 السيرافي, شرح كتاب سيبويه , ج4 ص 302, الشنتمري,شرح النكت , ج1ص361 ،مغني اللبيب ج1 ص222، ابن يعيش, شرح المفصل, ج7 ص60.

2 ابن يعيش, شرح المفصل, ج7 ص60 .

3 سيبويه, الكتاب, ج4 ص120.

4 ابن هشام, مغنى اللبيب, ج1 ص522.

5 سورة إبراهيم 31.

6 انظر, قباوة, فخر الدين, مشكلة العامل النّحوي, ص97/120.

لَقَدْ عَالج النُّحاة العَرَب الضَمَائر بكافة أنْواعها وأقسامها من حَيثُ الاتصال والانفصال, ومن حيث المَوْقع الذي تبوأته هذه الضَمائر, بقواعد نحوية ثابتة يمكن لها إحكام المادة اللّغويّة التي بُنِيَتْ عليها, لذلك نَرَى أنّ القواعد الشُّمولية في النّحو العربيّ تَذْهَب إلى تقسيم الضمائر إلى عدّة أقسام بِحَسْب مدلولاتها:" إلى ما يَكون للمُتكلِّم فقط, وللمُخَاطب فقط وللغَيْبَة كذلك.[1]

وتُقَسَّم الضَّمائر من حيثُ الاتِّصال والانْفِصال إلى قسمين: الضَمير المُتَّصل هو ما لا يُبْتَدأ به, ولا يَقَع بعد إلاّ الاستثنائية اختياراً, أمّا البارِزُ يقسم إلى قِسْمين: مُتّصل ومُنْفَصل, فالمُنفَصل هو الذي لا يُبتدأ به كالكاف من" أكرمكَ" ونحوه ولا يقع في الاختيار.[2]

إنّ الحديث عن الضَمَائر يَطُول, ونَحْن بهذه الدِّراسة لسنا بِصَدَد الوقوف عليها وقْفَة مختصَة, ولكنْ في البدء يجب التَّعريف بالضمير: فَهُو اسم جامِدُ يَدلّ على مُتَكلِّم أو مُخَاطب أو غَائِب.[3]

1– ضمير الرفع المنفصل.

حَدّد سيبويه استِعْمالهم علامة الإضمار الّذي وَقَع مَوْقع ما يُضْمر في الفعل إذا لم يقعْ موقعه, فالقاعدة النّحويّة تَذْهَب إلى أنّه لا يجوز أنْ يُذْكر الضّمير أذا كان في الحَدَث أو الفعل ما دلّ عليه, فسياقُ الكَلام يَقْتَضي عَدَم ذِكر ضمير الرّفع المُنْفصل إذا كان سِياق الحال يدلُّ عليه.

فقد ذهب سيبويه في حديثه عن هذا الباب ما كَانَتْ تلفظه العَرب ضِمْن ذلك قولهم: كَيْفَ أنْتَ؟ وأيْنِ هو؟ من قِبَل أنَّكَ لا تُقَدِّر على التّاء ههنا ولا على الإضْمَار الّذي في الفعل. وإنمّا استعملت هذه الحروف هنا؛ لأنّكَ تُقدِّر على شيءٍ من الحُروف التي تَكُون عَلامة في الفعل ولا على الإضمار الذي في فعل. وزعم الخليلُ أن"ها" هنا هي التي مع"ذا" إذا قلت هَذَا, وإنَّما أرادوا أنْ يقولوا: هَذَا أَنْتَ لَكنَّهم

---

1 حسن عباس, النحو الوافي, ج1 ص219.

2 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ص 70.

3 حسن عباس, النحو الوافي, ج1 ص 217.

جَعَلوا أَنْتَ بين"ها" و"ذا" وأرادوا أنْ يقولوا: هَذَا أَنَا, وأَنَا هَذَا, فقدّمُوها فَصَارَتْ أنا بَيْنَهُما".[1]

فالقاعدة النّحويّة التي قَدَّمها سيبويه ثابتةٌ بهذا الخُصوص, فَضمير الرّفع المُنْفصل إذا كان مقدراً على الإضمار الذي في الفعل فإنَّه يُحْذَف, أمّا إذا لم يُقَدَّر فإنّه يَظْهر.

لقد تَنبّه سيبويه للذاكرة اللّغويّة التي بِطَبيعتها تَخْتزل جميع الأنْمَاط اللّغويّة مُوضّحاً ذلك بعبارات دالّة على أنّ القاعدة النّحويّة هي أَقْرَب ما تتمتّع بِصفة العمُوميّة, ولكنّ الذّاكرة اللّغويّة تَتمتّع بِصفة الشموليّة, لأنّ الأداءَات اللّغويّة تَستَند على قدرات لغوية قادرة على التّعامل مع جميع الجمل التي يمكن أنْ تكون قاعديّة أو غير قاعديّة.

لذلك يقُولُ سيبويه:"إنَّ العرب المُوثوق بِهم يقولون: أَنَا هَذَا, وهَذَا أَنَا".[2] فالعلاقة الإسنادية القَائِمة بين الضّمير واسم الإشارة هي عَلاقة قائمة على أَنْمَاط لغوية تُمثِّل خَرْقاً للقاعدة النّحويّة. وإنّما هي مُسْتَندة لقولات لا تَحكُمها القاعدة النّحويّة, وإنّما يحكمها نظام يَخْتزل جميع تلك القواعد قائمٌ على عَنَاصر ذِهنيّة مُعينة باكتشاف الحقيقة الذّهنية المُبطَّنة للسلوك الفعلي.[3]

وهذا ما تَنبّه له سيبويه في كتابه إذ يقول:" حَدَّثنا يُونس أيضاً تَصْديقاً لقول أبي الخطّاب: أنّ العَرب تقولُ:" هذا أَنْتَ تقول كذا وكذا" لَمْ يُرد بقولِه:" هذا أنت" أنْ يُعرّفه لكنّه أراد أن يُنبِّهَهُ كأنّه قال:" الحَاضِرُ عندنا أَنْتَ" " والحاضِرُ القائل كذا وكذا أَنْتَ".[4]

إنّ أهمُّ نقطة في تحديد مَدى صلاحية النِّظام القاعديّ من النّاحية التّطبيقيّة هي قدرة ذلك النظام على الرّبط بين المتواليات التي يولِّدّها النِّظام القاعديّ ومدى

---

1 سيبويه, الكتاب, ج4 ص 219.

2 سيبويه, الكتاب, ج 4 ص11.

3 الشايب فوزي, محاضرات في اللسانيات, ص 37.

4 سيبويه, الكتاب, ج1 ص 12.

قَبول هذه المُتواليات ابن اللّغة نفسُه.[1] ففي هذا الخصوص نُلاحظ أنّ القُدرة في التعامل مع النظام النّحوي هي أقْرُب ما تكون مَحْكومة بمجموعة من الأنّظمة والقوانين التي لا يُمكن خرقها, في حين أنّ الذّاكرة اللّغويّة تُعْطي ابن اللّغة مساحة عالية في التعامل مع الأنّماط اللّغويّة. وقد تَنبَّه علماء النحو إلى هذه الظاهرة محاولين الوقوفَ عليها في مجمل قضاياهم, فلا يُقال:" ما أكْرَمْتُ إلاّك" وقد جاء شاذاً في الشِّعر".[2] فهذا الشّذوذ في خَرْق القاعدة النّحويّة هو ماّ كانَتْ تعوِّل عليه الذّاكرة اللّغويّة.

2-الفصل بضمير الرفع:

ذَهَبَ سيبويه إلى أنّ" هو وأَنْتَ وأَنَا ونَحْنُ وأخواتهنّ فصلاً, فهذه الضمائر تَقَع مع الحروف الخمسة:" واعْلَم أنّها تكون في" إنّ " وأخواتها فصلاً في الابتداء, ولكنّ ما بَعْدها مَرْفوع؛ لأنّه مَرْفوع قبل ، تذكر الفصل".[3]

أمّا ابن يعيش فيقول:" يَتَوسّط بين المبتدأ و خبره قَبْل دخول العوامل اللّفظيّة وبَعْده إذا كان الخَبَر معرفة أو مضارعاً له في امْتناع حرف التعريف عليه كأَفْعَل من كذا أحد الضّمائر المَنفْصلة المَرْفوعة ليفيد ضَرْباً من التّوكيد... وكثير من العرب يَجْعلونَهُ مبتدأ وما بَعْدَه مبنياً عليه.[4]

فالقاعدة النّحويّة تَذْهب إلى أنّ ضَمائر الرّفع يحسن أنْ تَكون فصلاً إذا كان الاسم الذي بَعْدها معرفة أو شِبة معرفة, فالمَوْقع الإعرابي بِحَسب ما تَذْهَب إليه القاعدة النّحويّة إلى أنَّ إعراب الضمير يكُون فصلاً لا محلّ له من الإعراب وقد ذهب سيبويه [5] إلى أنّ نّاساً من العَرب جَعَلَ" هو" وأخواتها في هذا الباب بمنزلة

---

1 موور تيرنيس وكرستين كارلنغ, فهم اللّغة, ص 197.

2 ابن عقيل, شرح ابن عقيل, ج1 ص 76.

3 سيبويه, الكتاب, ج 4 ص 63.

4 ابن يعيش, شرح المفصل, ج3 ص 110.

5 سيبويه, الكتاب, ج4 ص 64.

اسم مبتدأ, وما بَعْده مبنيّ عليه. وحَدَثَنا عيسى أنّ ناساً من العَرَب يقولون:" ومَا ظَلَمْناهُمْ ولَكِنَ كَانُوا هُمُ الظَّالِمُون".[1]

إنّ التّحْليل النّحوي للقاعدة النّحويّة التي يُمكن للنظام أنْ يَخْتَزِلها يُتيحُ لهذا النّظام إنتاج أعْداد لا متناهية من الجُمل القاعديّة. فاللّغة التي تَخْضَع لنظام القواعد هي لغة محكومة بنظامٍ يكتسبُ صِفَة المَحْدوديّة, ولَكنّ النَحو العربيّ لا يُمكن له أنْ يكون نظاماً محكوماً؛ لأنّ مجموعة القَوْلات اللّغويّة إذا ما طُبِّقَتْ على القاعدة فإنّها تَسْتطيع أنْ تحكم مَحْدوديّة الضّمير من حيثُ العمل في الابتداء, أو في الفصل.

فالجانب التّوليديّ للّغة هو الذي يُكْسب هذا النظام القدرة على التعامل مع جميع الأداءات اللّغويّة, سَواء أكانت قاعديّة أمْ غير قاعديّة,[2] فتحليل الجملة إلى عَنَاصِرها بحسب النظريات الحديثة هو الذي يَسْتَطيع أنْ يكشف عن مجموعة من البُنى النّحويّة العَميقة والسَّطحية للجملة. فلو كان التحليل على اعتبار أنّ الضمير فَصْلاً لا مَحلّ له من الإعراب تَكُون الجملة المتحوّلة هي جملة عميقة أخرى. فَهَذا الأمر يَقُودُنا إلى أنّنا عندما نتعامل مع التحليل التّحويلي للجملة بشكل دقيق فإنّنا نَسْتطيع أن نُدْرك مدى قُدرة اللّغة في التّعامل مع جَميع الأداءات اللّغويّة التي يُمْكنها أنْ تَخْضع لنظام ذي عَلاقة مَحْدودة داخل بنية العبارة.

3- ضمير النصب المنفصل:

قد تُقدِّر" إيّا" على علامة الإضْمَار في الكاف التي في" رَأيْتُك " وكما في "رَأيتُكما" وكما في" رأيتكُم" والهاء في" رَأيتُه".[3]

فقد ذَهَبَ سيبويه [4] إلى استعمالهم" إيّا" إذا لَمْ يقع موقع الحرُوف التي ذَكَرْنا. فمن ذلك قولهم:" إيَّاكَ رَأيْتُ, وإيّاكَ أعْني" فإنّما استعملت ههنا فمن قَبِل أنَّكَ لا تَقْدرُ على الكاف, وقالَ عزَّ وَجلَّ:" وإنَّا أو إيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَىً أو في ضَلَالٍ مُبين".[1]

---

1 سورة الزخرف 76- " الظالمورقرّاءة عبد الله وأبي زيد النّحويين تفسير أبي حيان ج 8 ص 27.

2 موور تيرنيس وكرستين كارلنغ, فهم اللّغة, ص 87.

3 سيبويه, الكتاب, ج4 ص 14.

4 المرجع السابق, ج4 ص15.

ذَهَبَ ابن يعيش إلى أنّه إذا كان المُتَّصل به الضميْران مصدراً نحو عجبْتُ من ضَرْبِي إيَّاك ومِنْ ضَرْبِيكَ " فلك في الثاني وجهان: أنْ تَأْتي بالمتّصل نحو: عَجبْتُ من ضَرْبِيك, وأن تأتي بالمُنْفَصل," عَجِبْتُ من ضَرْبِي إيَّاك" والثّاني هو الأجودُ المختار"."[2]

فقد ذَهَبت القاعدة النّحويّة إلى أنّه يجوز تقديم الضمير إيَّاكَ بالفَصْل والوَصْل[3] وفي حقيقة الأمر أنّ تَعدّد قبول القاعدة لبعض الظّواهر هو ماَ يُشَكّل عَجْز تلك القاعدة في التعامل مع العَنَاصر التّحليلية الأوليّة التي يُمكن أنْ تقدّم اللّغة بشكل مضبوط ومحكوم. أمّا اللّغة التي تستند إلى الفطرة اللّغويّة فإنّها تتَعامل مع عناصر اللّغة بشكل أكثر دِقّة وضبطاً؛ لأنّ الذّاكرة اللّغويّة هي التي تستطيع أنّ تقدّم أعلى مستوى من مستويات البنية اللّغويّة التي تَرْفض الغموض. فيرى ابن يعيش أنّه يجوز أنْ تَأْتي بالمتّصل معه جوازاً حَسَناً وليس بالمختار, وإنّما جاز اتصّال الضميرين به من نحو:" عَجِبَ من ضَرْبِيك" وإن كان القياس يَقْتَضي انفِصال الثاني".[4]

لقد استطعنا من خلال ذلك أنْ نتنبّه إلى أنّ عَدَم الدّقة في البنية النّحويّة للقاعدة تَقُودنا إلى شيء من التشابك والغموض في التّحليل إلى المُكّونات الأساسية لبُنية الأداء. وهذا ما يقودنا إلى الاحْتِكام إلى الذّاكرة اللّغويّة التي تَفْرِض على النظام التعامل مع جميع الأنّماط المستعملة في حدود الدّقة, لذلك يرى سيبويه أنّ العَرَب الموثُوق بِهِم يَقُولون:" لَيْسَني" و"كأنَنِي"[5] على اعتبار أنّ خبر كان وأخواتُها يدخلنَ على المُبْتَدأ والخبر, فكما أنّ خبر المبتدأ مُنْفصلاً من المبتدأ كان الأحسن أنّ تفصله مما دخل عليه".[6]

---

1 سورة سبأ 24.

2 ابن يعيش, شرح المفصل, ج3 ص 104.

3 حسن عباس, النحو الوافي, ج1 ص 273.

4 ابن يعيش, شرح المفصل, ج 3 ص 104.

5 سيبويه, الكتاب, ج 3 ص 107.

6 ابن يعيش, شرح المفصل, ج3 ص 107.

وبهذا فإن اللّغة خاصيّة إنسانية وانْعِكاس للعقل فهي قادرة على احتواءِ جميع الأنّماط اللّغويّة, والتعامل معها بِكلِّ مرونة؛ لأنّ عملية الاكتساب اللّغوي تنطلق من كَونْ اللّغة مجموعة من العناصر والرّوابط ذات مُكّونات صوتية وصرفيّة ودلاليّة تَتَفاعل مع بعضها لتُعطي في نهاية المطاف حالة قاعديّة تَستَند على نظام قاعديّ افْتِراضي من النّاحية الوجودية".[1]

4- إيّا في الشعر:

يقول سيبويه[2]:" هذا بابُ ما يجوزُ في الشِّعرِ من " إيّا" و لا يجوزُ في الكلامِ, فمن ذلك قول حميد الأرقط:[3]

إليكَ حتىّ بَلَغْتَ إيّاك

تَذْهَبُ القاعدة النّحويّة إلى أنّه يجوزُ وضْعُ ضميرِ الفصلِ مَوْضِعَ الضميرِ المُتَّصل, فالكلام يجب أنّ يكون على قولِكَ:" بَلَغْتُك" فالضّمير المُنْفصل الذي جيء به ههنا قبيحٌ لأنّه شُبِّه بالاسم الظاهر الذي يَتَوجّب على الكَلام أنْ يَشْتمل عليه, فقد أشار سيبويه إلى أنه لا يَجُوز هذا إلاّ في الشّعر, أمّا ابن يعيش فقد أشَار إلى أنّ المتّصل أخصر لم يسوغوا تركه إلى المُنْفصل إلاّ عند تعذّر الوصل, فلا تقول" ضَرَبَ أنْتَ" ولا هو ضَرَبْتُ إيّاك إلاّ ما شذّ".[4]

إنّ المُعالجة النّحويّة للقاعدة تَجْري على نَسقٍ يَعْتمد على العامل النّحوي, فقد نَادت النّظريات النّحويّة القديمة بالوقوف على العامل الذي يُمثّل الجانب الواقعي للغة من جهة, وجانب تحليلي للظواهر النّحويّة من جهة أخرى, فيرى عبّاس حَسَن أنّ النّحاة قَصَروا عليه العمل, وبحثُوا عنه في بعض التّراكيب العربية الصّحيحة, فلم يَجِدوه فاضطرّوا أنْ يقدروه أو يَفْترضُوا وجودَه"[5].

---

1 موور تيرنيس وكرستين كارلنغ, فهم اللّغة, ص 194.

2 سيبويه, الكتاب, ج4 ص27.

3 ابن الأنباري الإنصاف في مسائل الخلاف , ج2 ص699,السيرافي, شرح كتاب سيبويه , ج4 ص188, الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص340.

4 ابن يعيش, شرح المفصل, ج3 ص101.

5 النحو الوافي ج1 ص73..

هذا الأمر يَقُودنا إلى قوّة اعتقاد سيبويه في عمل الضمير في بعض المّواضِع, وتقدير عمله في الاتِّصال والانْفصال. فقد وجب الموقع فيما تَقدّم في"إِيَّا" أنْ يكون الضّمير مُتّصلاً, بالاعتبار أنّ القاعدة تَسْتوجب على الضمير في الموقع أنْ يكون متّصلاً. ولكنّ الذّاكرة اللّغويّة قد تَجَاوزت الموقع القاعديّ بالاحتكام إلى المقدرة الاستيعابية للغة باعتبارها قائمة على العقل[1]. وهذا ما يُعْطيها حقاً في التعامل مع كلٍّ ما يُمْكنه خرق القاعدة. فقد تَنبّه سيبويه لهذا الأمر مدركاً أنّ اللّغة أوسْعَ من أن تقولب بأنماط قاعديّة ثابتة. فيرى ابن يعيش[2] في قول حميد الأرقط:

إليكَ حتّى بلَغْتَ إيّاك

أنّ وضع إيَّاك موضع الكاف ضَرُوْرَة القياس:" بَلَغْتُكَ " وكان أبو إسحاق الزجاج يقولُ تقديره:" حتى بَلَغْتُكَ إيّاك" وهذا التقدير لا يُخْرجه عن الضّرورة سواء أراد التوكيد أو البدل.[3] وقال الآخرُ لبعضِ اللصُوصِ:[4]

كأنّا يومَ قُرَّى إ نّمـــــا نَقْتُلُ إيّانا

قَتَلْنَا منهم كُـــلَّ فتىً أبيضَ حُسّانا

الشاهد فيه وضع"إِيَّاك" موضع الضمير المتصل[5], إلاّ وكان حقٌّ الكلام أن تقول:" نَقْتُلُ لأنْفُسِنَا"؛ لأنّ الفعل لا يتعدى فاعله إلى ضميره إلا إذا كان من أفعال القلوب".[6]

إذا أَرَدْنا أنْ نفهم هذا وفق النظريّة الحديثة علينا تحليل هذه الجملة إلى العناصر التي تتألف منها, فالقاعدة النّحويّة تَذْهب إلى أنَّ المُكوِّن الفعلي يتكون من"

1 انظر,ليونز جون, نظرية تشومسكي نعوماللغوية, ص140/135

2 ابن يعيش, شرح المفصل, ج3 ص102.

3 المرجع السابق, ج3 ص 102.

4 البيت نسبة سيبويه لبعض اللصوص الشنتمري, شرح النكت, ج1 ص340. ونسبه ابن يعـــيش لذي الأصبع العدواني ابن يعيش, شرح المفصل, ج3 ص102. – انظر, ابن الأنباري, الأنْصاف في مسائل الخلاف ج2 ص 699.

5 سيبويه, الكتاب, ج4 ص 23.

6 ابن يعيش, شرح المفصل, ج3 ص 102.

فعل+ فاعل+ مفعول به"[1] على أنْ يكون كلٌّ من الفاعل والمفعول به اسماً ظاهراً أو ضميراً, فيُشْترط من حيثُ الاتّصال أنْ يتوافق الضميران, فيسند ضمير الفاعل إلى المفعول به, فإذا كان المفعول به ضميراً والفاعل أسماً ظاهراً تقدم على الفاعل, فتحليل الجملة إلى عناصرها يفرض على القاعدة أن يكون المفعول به ضميراً متّصلاً و لا يكون منفصلاً. ولكنّ اللّغة الّتي تفْترض وجود هذه العناصر التّحليليّة هي التي تَمْتلك عناصر توليديّة قادرة على التعامل مع جميع الجمل التي يُمكن لها أنْ تَخْرُج عن القاعدة النّحويّة. وبهذا فإنَّ عملية التّوليد تَسْبق عملية التّحويل ولا بُدَّ لكلٍّ من العُنصرين الاحتكام لنظام الذّاكرة اللّغويّة الذي باستطاعته أن يتعامل مع كل الأنّماط اللّغويّة, وهذه الطريقة يسميها تشومسكي:"Phrase Structure" وترجع فكرتها إلى طريقة الإعراب التقليديّة وهي طريقة تُشبه التحليل الإعرابي في النحو العربيّ إلى حدٍّ كبير. إنّ كل جملة تتكون من عناصر أساسية مباشرة هي التي يُنْظر إليها في طريقة الإعراب".[2]

ولكنّ العنصر الأهم الذي يسبق عمليّة التحليل إلى العناصر, هو العُنْصر الذي يَسْتند على الذّاكرة اللّغويّة, التي باستطاعتها تحليل مقدرة المُتكلّم على إنتاج الجمل التي لم يسمع بها من قبل, في حين أن الأداء الكلامي يُمْكن له أنْ يخرج عن الواقع القاعديّ لعدَّه أسباب أهمُهَا السلوك والبيئة اللّغويّة".[3]

1 خليل حلمي, العربية وعلم اللّغة البنيوي, ص 175.

2 الراجحي عبده, النحو العربي والدرس الحديث, ص 132.

3 انظر, بركة فاطمة, النظريّة الألسنية عند جاكبسون, ص 40.

الخاتمة:

كتاب سيبويه أحد أهم الآثار النحوية في اللغة العربية وقد تعرض لدراسات كثيرة تحليلية وتركيبية ومنهجية, وكانت هذه الدراسات تنطلق من النظر إلى القاعدة النحوية على أنها تشتمل على جميع عناصر العملية اللغوية , حتى الدراسات التي حاولت أن تتلمس النظريات اللغوية الحديثة كالنظرية التركيبية والتحويلية ووجهة النظر التاريخية المقارنة , بل إن بعضها حاول أن يرسم ملامح هذه النظريات ووجودها في الكتاب , غير أن هذه الدراسات قد انطلقت من هذه النظرية ولم تخرج عنها , قد رأينا أن هذه النظريات تتعرض باستمرار للتعديل والإلغاء والنقد الحاد حتى من أصحابها .

سعت هذه الدراسة لإثبات أن العملية اللغوية أوسع من أن نخضعها للنظام اللغوي العام المجرد الذي يختزن القواعد اللغوية العامة , وأن الأداءات اللغوية الصادرة عن الإنسان ليست خاضعة لهذا النظام برمتها بل قد تخضع لاختبارات أخرى غير قابلة للتقعيد واستعمالها يقوم على الاستدعاء وليس على الإبداع , ومن ثم أثبتت هذه النظرية أن النحو السوسيري لم يعالج إلا جانباً واحداً من جونب اللغة وهو جانب القاعدة أو النظام,ولم يركز على عدم خضوع الذاكرة للقاعدة النحوية .

أثبتت هذه الدراسة أن كتاب سيبويه يشتمل على جميع محاور العملية اللغوية, وأن سيبويه كان على وعي كامل بالنظام اللغوي الذي يحتوي على قواعد الذاكرة اللغوية المعتمدة على الاستدعاء استناداً إلى تحليل مجموعة من الاداءات اللغوية تحليلاً موضوعيا وفق عناصر القاعدة النحوية,فقد تحدثت هذه الدراسة عن قضايا تتعلق بالذاكرة اللغوية وعدم خضوعها للنظام العام المجرد بصورة نظرية ؛وذلك بتحليل مجموعة من الاداءات اللغوية بصورة تركيبية وفق ما نادت به النظرية التحويلية, ومدى تأثير العناصر اللغوية التحويلية في بنية العبارة .

إن القاعدة النحوية في كتاب سيبويه قاعدة اتصفت بالشمولية في التعامل مع الأنماط اللغوية لأنها تمثل جميع عناصر العملية اللغوية, فقد عمد النحاة إلى التعامل مع جميع الأنماط اللغوية بوصفها أنماطاً لا تخرج عن الواقع الاستعمالي للغة وأن اللغة تمتلك قابلية عالية لاحتواء جميع الاداءات بفعل قوانين التطور اللغوي. ولكن من خلال هذه الدراسة تبين لنا أن هناك مجموعه من الأنماط اللغوية لا يمكن لها أن تخضع لقوانين القاعدة النحوية لذلك لجأ النحاة إلى عناصر تقديرية تعتمد على المعنى كي يضبطوا هذه القاعدة, في حين أنهم لم يعترفوا بالذاكرة اللغوية التي خزنت هذه الأنماط وأعطتها واقعا استعماليا نافذاً وحقيقياً لهذه المعايير المكتشفة انطلاقاً من الذاكرة حاولوا تطوير القاعدة دون أن يفصلوا بين ما يخضع للقاعدة وما يختزن في ذاكرة أبناء المجموعة اللغوية .

وأخيراً أثبتت هذه الدراسة أن العملية اللغوية في كتاب سيبويه هي عملية مضبوطة بقاعدة نحوية ولكن الذاكرة اللغوية أقدر على التعامل مع كافة الأنماط اللغوية لأنها تخزن جميع الأداءات وتعطيها واقعاً استعماليا في اللغة .

قائمة المراجع:

الأخطل, أبي مالك غياث بن غوث التغلبي, 1996,**ديوانه**, ط4, تحقيق فخر الدين قباوة, دار الفكر المعاصر, بيروت,.

الأعشى, ميمون بن قيس, " د.ت", **ديوانه**,"د.ط", دار صادر, بيروت .

امرؤ القيس, أبو وهب بن حجر الكندي ," د.ت", **ديوانه** " د.ط", دار صادر, بيروت.

ابن الأنباري كمال الدِّين عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد , " د.ت", **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين " البصريين والكوفيين"**, تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد"د.ط", دار الفكر, بيروت.

الأنصاري, جمال الدين ابن هشام الأنصاري, 2005, **مغني اللبيب**, ط1, تحقيق مازن مبارك, دار الفكر, بيروت.

بركة فاطمة, 1993, **النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون**, ط1, دار المعرفة, بيروت.

بشر كمال, 1969, **دراسة في علم اللغة**," د.ط", دار المعارف, مصر.

بيكرتون ديريك, 2001 ,**اللغة وسلوك الإنسان**, ترجمة محمد زياد كبّه, ط1,جامعة الملك سعود, إدارة البحث العلمي.

تشومسكي نعوم, 1987, **البُنى النحوية**, ترجمة يوئيل يونس عزيز, ط1, دار الشؤون الثقافية العامة, بيروت.

تشومسكي نعوم,1990, **تأملات في اللغة**, ترجمة مرتضى جواد باقر وعبد الجبار محمد علي, ط1, بغداد,.

ثابت, حسان بن ثابت, **ديوانه**, تحقيق سيد حنفي حسنين, "د.ط", مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة.

الجرجاني, عبد القاهر الجرجاني, 1978, **دلائل الإعجاز**," د.ط", دار المعرفة, بيروت.

ابن جني, أبو الفتح عثمان بن جني," د.ت", **الخصائص**, تحقيق محمد علي النجار ، ط2, دار الهدي, بيروت.

حسان تمام, **اللغة بين المعيارية والوصفية**, " د.ت", دار الثقافة, ط1الدار البيضاء, المغرب.

حسان تمام, 1979, **اللغة العربية معناها ومبناها**, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ط1,القاهرة.

حسن عباس, "د.ت", **النحو الوافي**, ط5, دار المعارف, مصر.

الحمداني, موفق الحمداني, 1982, **اللغة وعلم النفس**, ط1, المكتبة الوطنية, بغداد.

أبوحيان, 2000, **تفسير أبي حيان الأندلسي**, منشورات الكتب العلمية, ط1, بيروت.
ابن الخطيم, أبو زبيد الأنصاري, 1967, **ديوانه**, ط2, تحقيق ناصر الدين الأسد , , دار صادر, بيروت.
خليل حلمي, 1996, **العربية وعلم اللغة البنيوي**, "د.ط", دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية.
خليل حلمي, 1996, **مقدمة لدراسة اللغة**, ط1, دار المعرفة الجامعية ,الإسكندرية.
ذو الرمة, 1972, **ديوانه**, جمع وتحقيق عبد القدوس أبو صلاح, ط1, مطبوعات مجمع اللغة العربية, مطبعة طربين.
الراجحي, عبده الراجحي, 1988, **النحو العربي والدرس الحديث**, ط1, دار المعارف, مصر.
رشوان محمود, 1998, **دراسات في فلسفة اللغة**, ط1, دار القباء.
رؤبة بن العجاج, "د, ت", , **ديوانه**, جمع وليم بن الورد, ط2, دار الآفاق الجديدة, بيروت.
الزجاجي, أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي اسحق, 1984, **حروف المعاني**, تحقيق على توفيق الحمد, ط1, دار الأمل, إربد.
زكريا صيام, عبد الرحمن صيام زكريا," د.ت", **شرح ديوان لبيد بن ربيعة**, ط1, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر.
زكريا ميشال, 1985, **مباحث في النظرية الألسنية وتعلم اللغة**, ط2, بيروت.
زكريا ميشال, 1984, **مباحث في النظرية الألسنية وتعلم اللغة**, ط1, بيروت.
زيدان, محمود فهمي زيدان,1985, **في فلسفة اللغة**, ط1, دار النهضة العربية, بيروت.
سعد محمد علي," د.ت", **الأحوص بن محمد الأنصاري حياته وشعرة**, ط1, منشورات دار الآفاق الجديدة, بيروت.
السعران محمود, 1999, **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**, ط1, دار الفكر العربي, القاهرة.
سعيد الصاوي, " د.ت", **ديوان الأحوص الأنصاري**, ط1, دار صادر, بيروت.

سعيد الصاوي, " د.ت", **شرح ديوان جرير**, ,ط1, المكتبة التجارية, القاهرة.

السكري, أبو القاسم السكري, 1965, **ديوان الهذليين**,ط1, الدار القومية للطباعة والنشر, مكتبة الخانجي, القاهرة.

سلسلة ندوات, 1992, **اللسانيات العربية بين النظرية والتطبيق**, ط1, جامعة المولى إسماعيل, الرباط.

السنجري, 1981, **المذاهب النحوية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة**, ط1, دار المعارف, مصر.

سوسير فردناند, "د.ت", **علم اللغة العام**, ط1, ترجمة يوئيل عزيز.

سيبويه, أبو بشر بن عمرو بن عثمان بن قنبر,2004, **الكتاب**, تحقيق محمد كاظم البكاء, ط1, دار البشير, عمان.

السيرافي, أبو سعيد السيرافي,1986, **شرح كتاب سيبويه**, تحقيق محمد محمود حجازي ورمضان عبد التواب, "د.ط", الهيئة العامة للكتاب, القاهرة.

السُيُوطي, جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر, 1996, **الأقتراح في علم أصول النحو**, تحقيق محمد حسن الشافعي, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت.

الشايب فوزي, 1999, **محاضرات في اللسانيات**, ط1, عمان, الأردن.

الشنتمري, أبو الحجاج يوسف بن سليمان, 2005, **شرح النكت في تفسير كتاب سيبويه**, تحقيق يحيى مراد, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت.

الشماخ, بن ضرار الذبياني, "د.ت", **ديوانه**, تحقيق صلاح الدين الهادي, ط1, دار المعارف, مصر.

صالح حسن, "د.ت", **علاقة اللغة بالمنطق**, ط1, دار الوفاء, الإسكندرية.

صالح قاسم, 1991, **الظاهرة النحوية بين الزمخشري وأبي حيّان التوحيدي**, ط1.

ابن أبي الصّلت,"د.ت", **شرح ديوان أمية بن أبي الصّلت**, قدّمه سيف الدين الكاتب,ط1, منشورات دار مكتبة الحياة, بيروت لبنان.

طرفة بن العبد ، 1995, **ديوانه**, شرح وتحقيق محمد محمود, ط1, دار الفكر العربي, بيروت.

عبابنة يحيى, 2005,**علم اللغة المعاصر**, دار الكتاب الثقافي, إربد.

عبابنة يحيى, 1993, **أثر التحويلات الأسلوبية في تغيير الإعراب في الآيات القرآنية والشواهد الشعرية**, أبحاث اليرموك, المجلد الحادي عشر, العدد الأول, ص27/25.

عبابنة يحيى, 2006, **تطور المصطلح النحوي البصري من سيبويه حتى الزمخشري**, ط1, عالم الكتب الحديث, إربد.

عزّة حسن, 1992, **ديوان ابن مقبل**, ط1, وزارة الثقافة السورية.

العسقلاني, ابن حجر العسقلاني,"د.ت", **فتح الباري**, ط1, تحقيق محي الدين الخطيب, دار المعرفة , بيروت.

ابن عقيل, عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل, 1996, **شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك**, تحقيق محمود مصطفى حلاوي, ط1, دار إحياء التراث, بيروت.

عمر بن ابي ربيعة, 1992, **ديوانه**, جمع وتحقيق فايز محمد,, ط1, دار الكتاب العربي, بيروت.

عيد محمد, 1973, **أصول النحو العربي**, ط1, عالم الكتب, القاهرة,.

الفرزدق, همام بن غالب بن صعصعه, 1987, **ديوانه** , ط3, دار الكتب العلمية, بيروت.

الفهري, عبد القادر الفاسي الفهري, " د.ت", **اللسانيات واللغة العربية**, ط1, دار توبقال للنشر, الدار البيضاء.

قباوة, فخر الدّين, 2003, **مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء**, ط1, دار الفكر, دمشق.

القيسي نوري, 1967, **ديوان أبي زبيد الطائي**, ط1, مطبعة المعارف, بغداد.

كرستل دافيد, 1993, **التعريف بعلم اللغة العام**, ط1 , ترجمة حلمي خليل.

كثير عزة, أبو صخر بن عبد الرحمن بن الأسود, 1996, **شرح ديوان كثير**, شرح وتحقيق رحاب عكاوي,ط1, دار الفكر العربي, بيروت.

لطفي مصطفى, 1981, **اللغة العربية في إطارها الاجتماعي**, ط1, معهد الإنماء العربي.

لوسركل, جان جاك لوسركل, 2005, **عنف اللغة**, ترجمة محمد بدوي, ط1, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت.

ليونز, جون ليونز, 1987, **اللغة والمعنى والسياق**, , ترجمة عباس صادق الوهاب, ط1, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد.

ليونز, جون ليونز, 1985, **نظرية تشومسكي اللغوية**, ترجمة حلمي خليل, ط1, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية.

المتلمّس, جرير بن يزيد بن عبد المسيح, 1970, **ديوان شعر المتلمّس الضُبَعي**, تحقيق حسن كامل الصيرفي, " د.ط", معهد المخطوطات العربية, الكويت.

المسّدي, عبد السلام المسّدي, 1986, **اللسانيات وأسسها المعرفية**, ط1, الدار التونسية.

ملكاإفتش, 2000, **اتجاهات في البحث اللساني**, ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل," د.ط", المجلس الأعلى للثقافة.

موور, تيرنيس موور وكرستين كارلنغ, 1998, **فهم اللغة نحو علم لغة لما بعد مرحلة تشومسكي**, ط1, ترجمة حامد حسين, بغداد.

الميداني, أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم, 1987, **مجمع الأمثال**, ط2, دار الجيل, بيروت.

نهر هادي, 1987, **التراكيب اللغوية في العربية**, ط1, مطبعة الإرشاد, بغداد.

وليم روبنز, "د.ت", **موجز في تاريخ علم اللغة في الغرب**, ط1, ترجمة أحمد عوض.

ابن يعيش, موفق الدين بن يعيش النحوي, " د.ت", **شرح المفصل**, ط1, عالم الكتب, بيروت.

السيرة الذاتية

الاسم : **مأمون" علي حيدر" الحباشنة**

الكلية : الآداب

التخصص:اللغة العربية

السنة :2007

الهاتف النقال : 077/4958650